وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة المستنصرية
كلية التربية
قسم التاريخ

اللورد هنري جون تمبل بالمرستون ودوره في السياسة الخارجية البريطانية

(1830-1865)

أطروحة تقدم بها الطالب

اياد تركان ابراهيم الدليمي

إلى مجلس كلية التربية– الجامعة المستنصرية

وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة

في التاريخ الحديث

بإشراف

الأستاذ الدكتور

لطفي جعفر فرج

1433هـ 2012م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ

كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾

الله

صدق العظيم

(يوسف: من

الآية76)

الإهـــداء

إلى ... المرحوم والدي ... اسكنه اللّه فسيح جناته

إلى ... من هي أحق الناس بصحبتي ... والدتي الغالية أطال اللّه في عمرها

إلى ...النبع المتدفق عطاءً ومحبة...زوجتي العزيزة هديل... حبا ووفاءً

إلى ...من يسمو قلبي بمحبتهم وتشرق روحي بجمعهم... إخوتي وأخواتي

الباحث

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرار المشرف

أشهد أن إعداد هذه الأطروحة الموسومة

اللورد هنري جون تمبل بالمرستون ودوره في السياسة الخارجية البريطانية(1830-1865)

التي تقدم بها طالب الدكتوراه **اياد تركان ابراهيم** قد جرى تحت إشرافي في كلية التربية – الجامعة المستنصرية وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه (فلسفة) في التاريخ الحديث .

التوقيع :

المشرف : **أ.د.لطفي جعفر فرج**

التاريخ : / / 2012

بناء على التوصيات المتوفرة ، أرشح هذه الأطروحة للمناقشة

التوقيع

أ.د.نعيم دنيان عبيد

رئيس قسم التاريخ

التاريخ : / / 2012

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرار لجنة المناقشة

نشهد أننا أعضاء لجنة المناقشة ، قد اطلعنا على الأطروحة الموسومة- **اللورد هنري جون تمبل بالمرستون ودوره في السياسة الخارجية البريطانية**(1830-1865) ، التي تقدم بها الطالب **إياد تركان ابراهيم** ، وقد ناقشنا الطالب في محتوياتها وفيما له علاقة بها ، ونقر بأنها جديرة بالقبول لنيل درجة دكتوراه (فلسفة) في التاريخ الحديث ، وبتقدير (   ) .

التوقيع :	**التوقيع :**
الاسم :أ.د.خالد حسن جمعة	**الاسم :أ.د.سميرة عبد الرزاق**
التاريخ : / / 2012	**التاريخ : / / 2012**
رئيساً	**عضواً**
التوقيع :	**التوقيع :**
الاسم : أ.م.د.بشرى محمود الزويعي	**الاسم : أ.م.د.قحطان حميد كاظم**
التاريخ : / / 2012	**التاريخ : / / 2012**
عضواً	**عضواً**
التوقيع :	**التوقيع :**
الاسم : أ.م.د.أروى خالد علي	**الاسم :أ.د. لطفي جعفر فرج**
التاريخ : / / 2012	**التاريخ : / / 2012**
عضواً	**عضواً ومشرفاً**

صادق مجلس كلية التربية – الجامعة المستنصرية على ما جاء في قرار لجنة المناقشة

التوقيع:الاستاذ المساعد الدكتور

أحمد شيال غضيب

عميد كلية التربية/الجامعة المستنصرية

التاريخ : / /2012

شكر وتقدير

الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اما بعد :

من باب الاعتراف بالفضل لأهله ، والثناء لذويه ، أتقدم بأسمى آيات الشكر والدعاء إلى الأستاذ الفاضل المشرف الدكتور لطفي جعفر فرج ، لما بذله من جهود علمية مخلصة ، وآراء وتوجيهات سديدة ، وكان له الرأي السديد في نصائحه العلمية التي أسهمت في بلورة الأطروحة وأنضاجها ، إذ لم يبخل بالعلم والوقت ، مما ساعد في إثراء الاطروحة ، فجزاه الله عني خير الجزاء .

وأقدم شكري وامتناني إلى أستاذتي الفاضلة الدكتورة منتهى عذاب التي يعود لها الفضل الأكبر في قراءة الأطروحة وتقويمها ، ولم تبخل علي بوقتها الثمين ونصائحها السديدة التي أفادت الباحث بشكل كبير جدا ، فجزاها الله عني خير الجزاء وأبقاها الله ذخراً للعلم .

كما أتقدم بالشكر الجزيل الى الدكتورة سعاد رؤوف شير محمد التي بذلت كل ما في وسعها في سبيل إنجاز هذا العمل من خلال تقديم المساعدة العلمية والمصادر اللازمة لإكماله . وأسجل شكري وتقديري إلى أساتذتي في السنة التحضيرية الذين تتلمذت على أيديهم وهم الاستاذ الدكتور موسى محمد ال طويرش والأستاذ الدكتور عادل تقي البلداوي والاستاذ الدكتور عبد الله شاتي والاستاذ الدكتور جميل النجار والأستاذ الدكتور صبري فالح حمدي والاستاذ الدكتور علي ناصر جزاهم الله عني خير الجزاء .

كما أقدم شكري وامتناني لأخي وزميلي ورفيق دربي صباح نوري هادي العبيدي . ولا انسى زميلي المميز في السنة التحضيرية ثعبان حسب الله علوان وزملائي في السنة التحضيرية ، وكلمة الشكر لجميع موظفي المكتبة المركزية في الجامعة المستنصرية ، والمكتبة المركزية في جامعة بغداد / موقع الوزيرية ، ومكتبة كلية الاداب جامعة بغداد ، ومكتبة قسم التاريخ في كلية الاداب جامعة/بغداد ومكتبة قسم التاريخ في كلية التربية – ابن رشد/جامعة بغداد .

وأود أن اعبر عن جزيل شكري وعظيم امتناني لأخي كريم ياسين الذي قدم لي مساعدة كبيرة في الحصول على المصادر من الانترنت ومن المواقع الانكليزية ، التي اثرت الاطروحة بمعلومات قيمة جدا أسال الله له التوفيق ودوام الصحة والعافية ، والشكر موصول لطالب الدكتوراه في بريطانيا الأخ العزيز محمود حامد الذي لم يتأخر في تقديم مساعدته في انجاز الأطروحة ورفدها بالمصادر العلمية المهمة فأسأل الله ان يوفقه في إكمال دراسته وجزاه الله عني خير الجزاء .

ولا يفوتني أن أقدم الشكر والعرفان إلى كل من قدم لي يد العون سواء كان بالرأي أو الملاحظة أو الاستشارة ، فجزاهم الله عني خير الجزاء ، داعياً الله سبحانه وتعالى أن يوفقني والجميع لما فيه الخير ، والشكر أولاً وأخيراً لله عز وجل .

الباحث

المقدمة

عند دراسة التاريخ الأوربي الحديث في القرن التاسع عشر ، نجد أن تلك المرحلة التاريخية الحافلة بالأحداث والتطورات المهمة ، قد ساهم في صنع أحداثها أشخاص مهمون كان لهم دور كبير لم يكن مقتصرا على أوربا وحدها بل امتد تاثير تلك الشخصيات على مستوى العالم بأسره ، ولاسيما الشخصيات السياسية البريطانية ، اذ تميز القرن التاسع عشر باتساع وهيمنة بريطانيا العظمى على معظم قارات العالم القديم والجديد ، ويعود الفضل في عظمة بريطانيا وازدياد قوتها الى الفئة السياسية الحاكمة فيها ، التي أدارت شؤون البلاد الخارجية والداخلية بما حقق لبريطانيا العظمى تلك المنزلة والمكانة المهمة والكبيرة .

ولانستطيع دراسة تاريخ بريطانيا في القرن التاسع عشر دون الإشارة الى بالمرستون ، الذي تميز بدوره البارز على صعيد السياسة الخارجية البريطانية ، ومن هنا جاء اختيار موضوع الأطروحة المعنون " **اللورد هنري جون تمبل بالمرستون ودوره في السياسة الخارجية البريطانية 1830–1865** " وحدد عام 1830 بداية للموضوع لان بالمرستون أصبح وزيراً للخارجية لأول مرة في تشرين الأول 1830 ، أما عام 1865 فيمثل نهاية حياة بالمرستون .

كان بالمرستون سياسيا بارزا ومن الشخصيات البريطانية المهمة التي تركت أثرها بصورة واضحة في السياسة البريطانية ، وشغل العديد من المناصب المهمة في بلاده وأبرزها منصب وزير الخارجية ، حيث شغل هذا المنصب ثلاث مرات الأولى في المدة 1830–1835 والثانية 1835–1841 والثالثة 1846–1851 ، كما أصبح رئيسا للوزراء في بريطانيا مرتين الأولى 1855–1858 والثانية 1859–1865 ، في الوقت الذي شهدت فيه بلاده أحداثاً وتغيرات سياسية واجتماعية واقتصادية ، لذلك كان بالمرستون جديرا بالدراسة أطروحةً للدكتوراه ، من خلال ادارته الناجحة لشؤون بلاده الخارجية ، وبكفاءة عالية متبعا في ذلك سياسة الحلول الوسطىCompromise في العديد من القضايا المعقدة والوصول الى انسب الحلول بأسلوب دبلوماسي واضح دون الحاجة إلى استخدام القوة العسكرية الا في القضايا التي تتطلب ذلك . وتميز بالمرستون بمهارته وحنكته السياسية في إدارة عمله من خلال سياسته تجاه العديد من القضايا

الدولية ومنها موقفه إزاء الثورات التي حدثت في أوربا في عام 1830 وكذلك ثورات عام 1848 ، والسياسة التي تبناها تجاه روسيا وفرنسا ، وموقفه الداعم للدولة العثمانية وحرصه على مصالح بلاده في أي فعل او تصرف يقوم به .

لقد واجهت الباحث خلال دراسة هذا الموضوع صعوبات عدة أبرزها كيفية الحصول على المصادر ولاسيما الوثائق غير المنشورة ، التي تتطلب السفر الى لندن للحصول عليها ، ولم يتم الحصول على تلك الوثائق لعدم توفر تسهيلات للسفر إلى بريطانيا ، ولذلك اعتمدت الدراسة على المكتبات العراقية في اغناء فصول الأطروحة ، فضلا عن الدراسات الأكاديمية التي تناولت تلك المرحلة التاريخية .

بالاضافة إلى ما سبق فقد واجه الباحث مشكلة عدم دقة المصادر التي حصل عليها ولاسيما المصادر الانكليزية ، التي كانت تكتب عن بالمرستون بالعموم دون دقة علمية الا في القليل منها ، وبالرغم من وجود كتب تتحدث عن بالمرستون بشكل خاص الا انها في الواقع لاتعطي تصورا واضحا عن معظم القضايا ، لذلك قام الباحث بترجمة فصول طويلة من تلك الكتب للحصول على معلومة بسيطة ، ونظرا لطبيعة الموضوع الذي كان حافلا بالأحداث السياسية والمتغيرات فقد كان لزاما على الباحث وضع خطة مناسبة للموضوع ، أما على أساس دراسة الشخصية ودورها حسب الأحداث السياسية او دراستها حسب التسلسل التاريخي ، فاختار الباحث الخيار الثاني ، حيث تمت دراسة اللورد بالمرستون ودوره في السياسة الخارجية البريطانية حسب التسلسل التاريخي للأحداث توخيا للدقة .

تألفت الأطروحة من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة فضلا عن قائمة المصادر ، وملخص باللغة الانكليزية تناول الفصل الأول المعنون ب(السيرة الاجتماعية والفكرية لبالمرستون قبل توليه وزارة الخارجية 1784–1830) وتم تقسيم هذا الفصل الى ثلاثة مباحث تطرق الأول الى (سيرته الاجتماعية 1784–1807) لمعرفة ودراسة سيرة بالمرستون وجذور عائلته وعراقتها في المجتمع البريطاني ، والدور السياسي الذي أدته عائلة تمبل التي انتمى اليها بالمرستون في التاريخ الانكليزي ، وتضمن المبحث الأول محورين الأول ولادته ونشأته والثاني تعليمه وثقافته . فيما درس المبحث الثاني (المناصب التي شغلها بالمرستون 1807–1830) والذي تناول دخوله عضوا في مجلس العموم البريطاني عام 1807 والمحاولات التي خاضها للفوز بمقعد جامعة كامبرج ، كما

تضمن هذا المبحث تعيينه لوردا في مجلس القوى البحرية في وزارة البحرية عام (1807–1809) ، وأشار المبحث الثاني أيضا الى تعيين بالمرستون وزيرا للحرب في المدة(1809–1828) وطبيعة عمله في تلك الوزارة والواجبات المناطة به والصعوبات التي واجهها في عمله ، وتطرق المبحث الثالث الى ظهور جناح كاننغ من حزب المحافظين وتأثيره في بالمرستون ، حيث سلط الباحث الضوء على شخصية كاننغ والنهج الذي اتبعه في السياسة الخارجية وتأثيره على بالمرستون الذي أكمل هذا النهج فيما بعد توليه وزارة الخارجية .

وبحث الفصل الثاني (بالمرستون خلال وجوده في وزارة الخارجية للمرة الأولى 1830–1834) دور بالمرستون في معظم القضايا التي حدثت خلال تلك المدة ، وقسم الفصل الى ستة مباحث الأول (توليه وزارة الخارجية ومنهجه السياسي) وركز على اسلوب بالمرستون في ادارة وزارة الخارجية والنهج الليبرالي الذي اتبعه ، اما المبحث الثاني (موقف بالمرستون من الثورة البلجيكية 1830) فقد وضح سياسة بالمرستون تجاه ثورة بلجيكا والتطورات التي ادت الى انفصالها النهائي عن هولندا وتشكيل مملكة مستقلة فيها ، في حين كان المبحث الثالث (سياسته تجاه الأحداث في اسبانيا والبرتغال 1830–1834) قد سلط الضوء على دعمه للحركات الدستورية في أوربا لاسيما في اسبانيا والبرتغال وتشكيله للتحالف الرباعي المكون من فرنسا وبريطانيا واسبانيا والبرتغال الموجه ضد دول التحالف المقدس روسيا وبروسيا والنمسا ، أما المبحث الرابع (موقف بالمرستون من الأحداث الثورية في ايطاليا والمانيا وبولندا 1830–1834) فقد بين موقفه من موجة الثورات التي عمت اوربا عام 1830 في ايطاليا والمانيا وبولندا ، وجاء المبحث الخامس (تدخله في الأزمة بين محمد علي باشا والدولة العثمانية 1833) ليوضح سياسة بالمرستون الثابتة في دعم الدولة العثمانية ضد الأخطار الخارجية والداخلية ، ودرس المبحث السادس والأخير من الفصل الثاني (موقفه من تغلغل النفوذ الروسي في الدولة العثمانية 1833) موقف بالمرستون الذي رفض أي تواجد للروس في منطقة المضائق العثمانية .

اما الفصل الثالث (سياسته الخارجية خلال توليه وزارة الخارجية في حكومة ملبورن 1835–1841) فقد تضمن خمسة مباحث ، الأول (دور بالمرستون في حماية طريق الهند1835–1841) والذي ركز المحور الأول منه على تبنيه لمشروع طريق الفرات

لنقل البريد البريطاني من الهند الى بريطانيا ، وكذلك تضمن المحور الثاني سياسة بالمرستون تجاه تحركات قوات محمد علي تجاه سواحل الخليج العربي في حين تناول المحور الثالث موقفه إزاء نشاط والي مصر في اليمن ، أما المحور الأخير للمبحث الأول فعالج معالجته للازمة الأفغانية الأولى ، وجاء المبحث الثاني (سياسة بالمرستون إزاء القوى الكبرى في ضوء تطور الأزمة المصرية–العثمانية 1838–1841) ليغطي موقف بالمرستون من التطورات التي أدت إلى تجدد الصراع بين والي مصر والدولة العثمانية خلال تلك المرحلة ، وتناول المبحث الثالث (جهوده لعقد معاهدة المضائق في الثالث عشر من تموز 1841) والذي بين دور بالمرستون المحوري في عقد هذه الاتفاقية ، اما المبحث الرابع فقد تطرق الى موقف بالمرستون من الاستيطان الصهيوني في فلسطين ، في حين ان المبحث الخامس والأخير قد سلط الضوء على (تبنيه استخدام القوة ضد الصين في حرب الأفيون الأولى 1839–1842) اذ لم يتردد بالمرستون في استخدام القوة لحماية المصالح البريطانية في الصين .

وغطى الفصل الرابع (دور بالمرستون في سياسة بريطانيا الخارجية 1846–1851) المدة التي تولى فيها بالمرستون وزارة الخارجية للمرة الثالثة ، وتضمن مبحثين الأول (تولي بالمرستون لمنصب وزير الخارجية في حكومة جون رسل 1846–1851) والذي شمل ثمانية محاور الاول موقفه من الزواج الاسباني 1846، والثاني سياسته تجاه ثورات 1848 في أوربا ، والثالث موقفه من ثورة 1848 في فرنسا ، والمحور الرابع دوره في دعم الثوار الايطاليين ، كما تناول المحور الخامس أيضا موقف بالمرستون من الثورة الهنكارية ضد النمسا 1848 ، والمحور السادس موقفه من مشكلة دوقيتي شلزفيك وهولشتاين ، والمحور السابع سياسته تجاه اليونان حول قضية باسفيكو 1850 ، والمحور الثامن موقفه من انقلاب لويس نابليون في فرنسا 1851، اما المبحث الثاني فتناول (خلاف بالمرستون مع البلاط الملكي حول السياسة الخارجية 1846–1851) فقد ركز على اعتراض الملكة على اسلوب بالمرستون في ادارة شؤون وزارته خلال تلك المدة .

وبحث الفصل الخامس (معالجته للشؤون الخارجية اثناء توليه رئاسة الوزراء 1855–1865) اهم الأحداث التي مرت خلال تلك المرحلة وموقف بالمرستون منها ، وقسم الى مبحثين ، الاول (وزارة بالمرستون الاولى 1855–1858) و الذي تضمن

اربع محاور المحور الأول موقفه من حرب القرم 1853–1856، والثاني تناول موقف بالمرستون من مشروع قناة السويس ، اما الثالث فتطرق الى دور بالمرستون في الحرب الأفغانية الثانية 1856–1857 ، في حين درس المحور الرابع موقفه من ثورة الهند 1857 ، اما المبحث الثاني (وزارة بالمرستون الثانية 1859–1865) فقد تضمن عدة محاور رئيسة ، الاول هو سياسة بالمرستون من الوحدة الايطالية 1858–1861، والثاني موقفه من حرب الافيون الثانية 1857 –1860 ، في حين تناول المحور الثالث سياسته تجاه الحرب الاهلية الامريكية (1861–1865) وركز المحور الرابع على موقفه من مشكلة دوقيتي شلزفيك وهولشتاين 1863–1864.

اعتمدت الأطروحة على العديد من المصادر من ابرزها الوثائق المنشورة التي حصلت عليها من المكتبات العراقية وابرزها كتاب المؤلف هورويتز J.C.Hurewitz المعنون The Middle East and North Africa in World Politics A Documentary Record والذي سد النقص الناجم عن عدم توفر الوثائق غير المنشورة لاحتوائه على معظم الاتفاقيات والمعاهدات التي ابرمها بالمرستون ، وهنالك أيضا كتاب وثائقي مهم لاغنى لكل باحث في تاريخ اوربا عنه لمؤلفه وينر جويل Wiener,Joel H. المعنون Great Britain and The Span of Empire 1689-1971 A Documentary History بكل اجزائه والموجود في المكتبة المركزية في جامعة بغداد / موقع الجادرية ، وقد اغنى الأطروحة بمادة وثائقية مهمة ، كما حصل الباحث ايضا على نسخة الكترونية من الكتاب الوثائقي رسائل الملكة فكتوريا The Letters of Queen Victoria بجزئه الثالث المطبوع في لندن عام 1908والذي استطاع الباحث الحصول منه على جميع مراسلات الملكة فكتوريا لوزرائها ومن جملتهم بالمرستون لاسيما فيما يخص صراع بالمرستون مع البلاط الملكي حول السياسة الخارجية ، ومن الكتب الوثائقية المهمة الاخرى كتاب آراء وسياسة السيد النبيل الفسكونت بالمرستون Opinions and Policy of the Right Honourable Viscount Palmerston لمؤلفه جورج هنري فرانسيس George Henry Francis وتضمن هذا الكتاب جميع خطابات بالمرستون في مجلس العموم البريطاني حول مختلف القضايا منذ دخوله الى المجلس عام 1807 وحتى عام 1851 ، ومن الجدير بالذكر ان

هذا الكتاب طبع في لندن عام 1852 مما يعزز مكانته بين المصادر المهمة التي تناولت بالمرستون .

كما اعتمد الباحث أيضا على مجموعة مهمة من الكتب التي تتحدث عن بالمرستون ، تأتي في مقدمتها كتب السيرة Biography ولاسيما كتاب اللورد بالمرستون Lord Palmerstion A Biography لمؤلفه جون ماغلكرست John M'gilchrist والذي دعم معظم فصول الأطروحة ولاسيما الفصل الاول لكونه اهتم وبشكل كبير بدراسة وتحليل شخصية اللورد بالمرستون وعلاقاته مع اهم المحيطين به ، وتاتي اهمية هذا الكتاب لكون ان مؤلفه قد عاصر بالمرستون ، فقد طبع هذا الكتاب عام 1865 في لندن وبالتالي فانه كان قريبا جدا من الأحداث وعلى صلة مباشرة مع بالمرستون كما كان كتاب المؤرخ هنري لايتون بولوير Henry Lytton Bulwer المعنون حياة هنري جون تمبل بالمرستون The Life Of Henry John Temple Viscount Palmerston من الكتب القيمة جدا والتي تناولت سيرة بالمرستون ، وقد افادت معلوماته الفصل الاول بشكل كبير ، والكتاب من جزئين الجزء الاول ينتهي عام 1830 ، اما الجزء الثاني فيمتد الى عام 1865 ، واعتمد فيه المؤلف على رسائل بالمرستون التي حصل عليها من زوجة بالمرستون ، وطبع هذا الكتاب في لندن عام 1870 ، وتضمن الكتاب مراسلات بالمرستون مع أصدقائه وزملائه وعائلته ، وشكر المؤلف في الصفحة الثانية من كتابه السيدة بالمرستون لمساعدته في الحصول على المراسلات اللازمة ، ومما يعطي اهمية اخرى لهذا الكتاب فقد تمت كتابته بالتعاون مع اللورد شافتزبري Lord Shaftesbury وهو زوج ابنة السيدة بالمرستون من زوجها السابق و كان من المقربين من بالمرستون ، فقد ساعد شافتزبري بولوير في كتابة المجلدين وافاد بمعلومات مهمة عن بالمرستون .

كما اعتمدت الأطروحة على كتاب اللورد بالمرستون للمؤلف انتوني ترولوب Anthony Trollope المطبوع في لندن عام 1882 ، والذي غطى بمعلوماته معظم فصول الاطروحة الخمسة ، كما يعد كتاب حياة الفسكونت بالمرستون The Life Of Viscount Palmerston لكاتبه لويد سي ساندرز Lloyd C. Sanders المطبوع في لندن عام 1888 من الكتب القيمة ايضا ، والذي غطت معلوماته جميع فصول الاطروحة واعتمدت معظم كتب السير على مراسلات بالمرستون الشخصية التي حصل الباحثون عليها من عائلته ، وكذلك اعتمادهم على بعض شهود العيان ، اما ساندرز فقد

اعتمد على ارشيف الدولة البريطاني للحصول على المصادر ، واستطاع الحصول على مصادر مهمة أغنت كتابه ، الا انه كان يشكو في مقدمة كتابه من حجب الدولة لمجموعات كبيرة من الوثائق التي تتعلق ببالمرستون بحجة الحفاظ على اسرار الدولة ، وبالرغم من ذلك فان هذا الكتاب يعد من اروع ما كتب حول بالمرستون حتى عام 1888 بحيث تناول جميع الاحداث التي حدثت في عهده بالتزامن مع سرده لسيرة اللورد بالمرستون منذ ولادته وحتى وفاته .

ومن الكتب المهمة الاخرى التي اطلع عليها الباحث كتاب فسكونت بالمرستون Viscount Palmerston لمؤلفه ماركيز اوف لورن Marquis of Lorne المطبوع في لندن عام 1892 ، والذي قدم وصفا مهما لشخصية بالمرستون المؤثرة وشعبيته الواسعة ودوره البارز في السياسة الخارجية البريطانية ، وكذلك اعتمدت الاطروحة على الكتاب المعنون بالمرستون Palmerston لمؤلفه فيليب غواديولا Philip Guedalla المطبوع في لندن عام 1950 ، ويعد من الكتب الحديثة التي تناولت سيرة بالمرستون بشكل غير مفصل ، لكن معلوماته افادت الاطروحة في جميع فصولها ، و كتاب هيربرت سي اف بيل Herbert C.F. Bell المعنون اللورد بالمرستون Lord Palmerston والمكون من جزئين والمطبوع في الولايات المتحدة الامريكية عام 1966، والذي كان مؤلفه صديقا لفيليب غواديولا ، وقال هيربرت في كتابه انه وضع هذا الكتاب ليغطي الأمور التي اغفلها صديقه غواديولا ، وقد تضمن هذا الكتاب معلومات تفصيلية عن اللورد بالمرستون منذ ولادته وحتى وفاته ، ويجب ان لا ننسى كتاب بالمرستون Palmerston لمؤلفه بول آر زيكلر Paul R. Ziegler المطبوع عام 2003 والذي حصل الباحث على نسخة الكترونية منه ، ويعد من أفضل الكتب عن بالمرستون وتميز بدقته العلمية واسلوبه الاكاديمي ، ويبدأ هذا الكتاب مباشرة بظهور جناح كاننغ وتأثير هذه المجموعة على بالمرستون وينتهي بوفاة بالمرستون .

كما اعتمدت الاطروحة على مجموعة كبيرة من الموسوعات اهمها The New Encyclopedia Britannica باجزائها المختلفة والتي ساهمت في اغناء الاطروحة بمعلومات مهمة عن ابرز الشخصيات الواردة فيها ، كما اعتمدت الاطروحة على مجموعة كبيرة من الاطاريح والرسائل العلمية ابرزها اطروحة حيدر شاكر صبري المعنونة الملكة فكتوريا واثرها في السياسة الخارجية البريطانية 1837-1901 التي

اغنت الاطروحة بمعلوماتها الدقيقة حول عصر الملكة فكتوريا وابرز احداثه ، وكذلك اطروحة احمد ناطق ابراهيم العبيدي المعنونة مضائق البسفور والدردنيل 1815–1854 ، والتي افادت الاطروحة في مجال سياسة بالمرستون تجاه الدولة العثمانية .

وكذلك اطلع الباحث على مجموعة مهمة من المصادر العربية والمعربة ويأتي في مقدمتها كتاب جون كيلي بريطانيا والخليج الذي احتوى على مادة وثائقية مهمة جدا من ضمنها مراسلات بالمرستون الشخصية مع جميع المسؤولين البريطانيين في الهند والخليج العربي ، بالاضافة الى كتاب المؤلف جوزيف حجار المعنون اوربا ومصير الشرق العربي وكتاب المؤلف خضر خضر المعنون تطور العلاقات الدولية من الثورة الفرنسية وحتى بداية الحرب العالمية الاولى ، ولابد ان نشير ايضا الى البحوث المنشورة في المجلات العربية والأجنبية ولاسيما بحث الدكتور حيدر صبري شاكر الخيقاني ، اللورد هنري جون تمبل بالمرستون ودوره في السياسة الخارجية 1830–1865 ، والذي كان ذو فائدة عظيمة للاطروحة من خلال المصادر التي اعتمدها ، فضلا عن البحوث المنشورة في المجلات الاجنبية والتي افدت الاطروحة بشكل كبير ، بالاضافة الى مصادر اخرى يمكن الاطلاع عليها في قائمة المصادر .

وفي الختام ارجو ان اكون قد وفقت في انجاز هذه الاطروحة لتكون مصدرا يغني المكتبة العراقية والعربية بمعلومات مفيدة لطلبة العلم والباحثين ... والله الموفق ...

المحتويات

الفصل الأول
السيرة الاجتماعية والفكرية لبالمرستون قبل توليه وزارة الخارجية
1830-1784

أولا : **سيرته الاجتماعية 1807-1784**

1- ولادته ونشأته

2- تعليمه وثقافته

ثانيا : **المناصب التي شغلها بالمرستون للمدة 1807-1830**

1- دخوله مجلس العموم البريطاني وتعيينه في وزارة البحرية (1807-1809)

2-تعيين بالمرستون وزيرا للحرب 1809- 1828

ثالثا : **ظهور جناح كاننغ من حزب المحافظين وتأثيره في بالمرستون**

الفصل الثاني

بالمرستون خلال وجوده في وزارة الخارجية للمرة الأولى 1830-1834

اولا : **توليه وزارة الخارجية ومنهجه السياسي**

ثانيا : **موقف بالمرستون من الثورة البلجيكية** 1830

ثالثا : **سياسته تجاه الأحداث في اسبانيا والبرتغال** 1830-1834

رابعا : **موقف بالمرستون من الاحداث الثورية في ايطاليا والمانيا وبولندا** 1830-1834

خامسا : **تدخله في الازمة بين محمد علي باشا والدولة العثمانية** 1833

سادسا : **موقفه من تغلغل النفوذ الروسي في الدولة العثمانية** 1833

الفصل الثالث

الفصل الرابع

سياسته الخارجية خلال توليه وزارة الخارجية في حكومة ملبورن 1835-1841

اولا : **دور بالمرستون في حماية طريق الهند** 1835-1841

1- **تبنيه مشروع طريق الفرات**

2- **سياسة بالمرستون تجاه تحركات قوات محمد علي نحو سواحل الخليج العربي**

3- **موقفه إزاء نشاط والي مصر في اليمن**

4- **معالجته للأزمة الأفغانية الأولى**

ثانيا : **سياسة بالمرستون إزاء الدول الكبرى في ضوء تطور الأزمة العثمانية-المصرية** 1838-1841

ثالثا : **جهوده لعقد اتفاقية المضائق في الثالث عشر من تموز** 1841

رابعا :**موقف بالمرستون من مخططات الاستيطان الصهيوني في فلسطين**

خامسا : **تبنيه استخدام القوة ضد الصين في حرب الأفيون الأولى**

دور بالمرستون في سياسة بريطانيا الخارجية (1851-1846)

اولا: تولي بالمرستون لمنصب وزير الخارجية في حكومة جون رسل (1851-1846)

1- موقف بالمرستون من قضية الزواج الاسباني 1846

2- سياسته ازاء اندلاع ثورات 1848 في اوربا

3- موقف بالمرستون من ثورة 1848 في فرنسا

4- دور بالمرستون في دعم الثوار الايطاليين 1848

5- موقف بالمرستون من الثورة الهنكارية 1848

6- موقف بالمرستون من مشكلة دوقيتي شلزفيك وهولشتاين

7- سياسة بالمرستون تجاه اليونان حول قضية دون باسفيكو Don Pacifico 1850

8- موقف بالمرستون من انقلاب لويس نابليون في فرنسا 1851

ثانيا : خلاف بالمرستون مع البلاط الملكي حول السياسة الخارجية (1851-1846)

الفصل الخامس

معالجته للقضايا الخارجية أثناء توليه رئاسة الوزراء 1855-1865

اولا : وزارة بالمرستون الاولى 1855-1858

1- سياسة بريطانيا تجاه حرب القرم ودور بالمرستون فيها 1853-1856

2- موقف بالمرستون من مشروع قناة السويس 1855-1858

3- موقف بالمرستون من الحرب الأفغانية الثانية 1856-1857

4- **موقفه من ثورة الهند** 1857

ثانيا : وزارة بالمرستون الثانية 1859-1865

1-**موقف بالمرستون من حرب الافيون الثانية** 1857-1860

2- **سياسته ازاء تحقيق الوحدة الايطالية** 1858-1861

3- **موقف بالمرستون من الحرب الأهلية الأمريكية** 1861 – 1865

4- **موقفه من قضية دوقيتي شلزفيك وهولشتاين** 1863-1864

قائمة المصادر والمراجع

أولا :- سيرته الاجتماعية (1784-1807)

1- ولادته ونشأته

ولد هنري جون تمبل بالمرستون Henry John Temple Palmerston في العشرين من تشرين الأول 1784 [1] في منزل العائلة الواقع في برودلاندز Broadlands [2] ، وتمبل هو اسم العائلة التي انتمى إليها بالمرستون ، وهي من العائلات الارستقراطية العريقة في بريطانيا ، والتي تعود إلى أصول ايرلندية . وقدمت هذه العائلة عدداً كبيراً من السياسيين[3] الذين ساهموا في صنع أحداث تاريخ انكلترا ، ومن ثم بريطانيا[4] ، وتم تعميده في كنيسة مجلس العموم في سانت مارغريت St.Margret التابعة لمنطقة ويستمنستر Westminster[5] .

تزوج والد بالمرستون ، الذي كان رجلاً مثقفاً وذا مكانة اجتماعية وسياسية مرموقة في المجتمع البريطاني[6] ، في السادس من تشرين الأول 1767 من فرانسيس بول Francis Poole ، ولكنها توفيت في الأول من حزيران 1769[7] ، فتزوج مرة أخرى في الخامس من حزيران 1783 من والدة بالمرستون وهي ماري مي Mary Mee وهي من عائلة بريطانية عريقة أيضا [8] ، لذلك كانت لعائلة بالمرستون دائرة كبيرة من

---

[1] Bell,Herbert C.F.,Lord Palmerston,Vol.1,London,1966, P.2.

[2] Bulwer,Henry Lytton,The life of Henry John Temple Viscount Palmerston, London,1870,Vol.1,p.4.

[3] ومنهم انطوني الذي كان سياسيا بريطانيا مرموقا Anthony في عهد هنري الثامن HenryVIII 1491-1547 / 1509-1547 ، وهو جد ... السير وليام تمبل Sir William Temple 1555-1627 كان سياسيا أيضا وكذلك جون تمبل Jhon Temple 1600-1677 ... كان نبيلا وعضوا في مجلس العموم الايرلندي في المدة 1641-1677 ... في البرلمان الانكليزي في المدة 1646-1648 انحدر اللورد بالمرستون من الابن الأصغر لهذا الرجل واسمه جون تمبل 1632-1705 ... سياسيا ايرلنديا مرموقا ومتحدثا باسم مجلس العموم الايرلندي ، الابن لجون تمبل ... هنري 1673-1757 والذي حمل لقب الفسكونت الأول بالمرستون 1st Viscount Palmerston ... في مجلس العموم الايرلندي لعشرين عاما 1727-1747 وبعد وفاة الفسكونت الأول عام 1757 ... حفيده هنري 1739-1802 وحمل لقب الفسكونت الثاني بالمرستون 2nd Viscount Palmerston ... والد اللورد بالمرستون وكان سياسيا ... ايرلنديا ... في مجلس العموم البريطاني ... المدة 1762-1802 ... بالمرستون عدة مناصب مهمة في الدولة فأصبح عضوا في مجلس التجارة ... عام 1765 ... في هيئة الأركان البحرية 1766-1777 كما أصبح وزيرا للخزانة 1777-1782 ، للمزيد من التفاصيل ينظر:
M'gilchrist , Jhon , Lord Palmerston abiography , London , 1865 , P.1-7 ; Sanders , Lloyd C. , life of Viscount Palmerston , London , 1888 , pp.1-5 ; Webester , Merriam , Webster's Biographical dictionary , U.S.A. (n.d), p.1142 .

[4] Webester, Merriam,Op.Cit p.1142

[5] The New Encyclopdia Britannica,Chicago,2003,Vol.13,p.935.

[6] Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,pp.1-2.

[7] 2nd Viscount Palmerston-Wikipedia The free Encyclpedia.

[8] Bell,Herbert C.F., Op.Cit,Vol.1, p.9.

الأصدقاء من الطبقة الارستقراطية مثل عائلة اللورد منتو Lord Minto[1] (1751-1814) واللورد مالميزبري Malmesbury Lord[2](1746-1820) ، وكان بالمرستون يستشير مالميزبري في معظم الأمور التي تواجهه[3] . كان بالمرستون الابن الأكبر في عائلة تكونت من ولدين وبنتين وقد ولد وليام شقيقه في التاسع عشر من حزيران 1788[4] ، وجاءت بعده أخته اليزابيث ومن بعدها الأخت الصغرى لبالمرستون فرانسيس[5] .

امتلكت عائلة بالمرستون بعض المقاطعات في ريف سليغو Sligo في ايرلندا ، إضافة إلى المنزل والحدائق والعقارات الموجودة في مقاطعة هامبشير Hampshire جنوب لندن[6] ، وكان والده محبا للأدب والفن والسفر ، لذلك كان يقوم برحلات إلى أوربا ، وتحديدا إلى ايطاليا حيث اصطحب عائلته وسافر إليها عام 1792 ولم يتجاوز عمر بالمرستون آنذاك الثماني سنوات كما كان والده محبا لجمع التحف الثمينة ولاسيما التي تخص الإمبراطورية الرومانية[7].

أمضى بالمرستون سنتين من عمره مع عائلته في ايطاليا ، وبدأ يدرس اللغات الايطالية والفرنسية والألمانية على يد معلم ايطالي اسمه سيغنور غايتانو Signor Gaetano[8]، اختاره والده في ايطاليا ليتولى تعليمه وتثقيفه ، وأثناء اقامته في ايطاليا استفاد بالمرستون من المعلم الايطالي الى درجة كبيرة جدا [9] . أمضى هنري بالمرستون

---

(1) جيلبرت اليوت موراي الايرل الأول منتو Gilbert Elliot-Murray 1st Earl of Minto ولد في 23 نيسان 1751 وهو الابن الأكبر للسير جيلبرت سياسي ودبلوماسي اسكتلندي ، دخل مجلس العموم عام 1776 واستمر حتى عام 1795 ، وأصبح سفيرا في النمسا (1799-1801) والحاكم العام للهند (1807-1813) ، وأصبح اللورد منتو منذ عام 1797 ثم لقب الايرل الأول منتو عام 1813 وفي في 21 حزيران 1814 ، ودفن في كنيسة ويستمنستر للمزيد من التفاصيل ينظر:-

The New Encyclopedia Britannica,Vol.8,p.172-173.

(2) جيمس هاريس الايرل الأول مالميزبري James Harris 1st Earl of Malmesbury ولد في 21 نيسان 1746 في سالزبري شمال لندن ، كان دبلوماسيا بريطانيا من حزب الأحرار ، ودخل مجلس العموم عام 1770 في ... (1772-1776) ... (1776-1783) ... الروسية سانت بطرسبرغ ، أصبح البارون مالميزبري في أيلول 1788 ... وزراء الخارجية المتعاقبين في بريطانيا واعتاد بالمرستون الذهاب إليه لطلب النصيحة ، توفي في 21 كانون الثاني 1820 ، وللمزيد ينظر :- James Harris, 1st Malmesbury-Wikipedia The free Encyclopedia.

(3) Bell,Herbert C.F.,Op.Cit ,Vol. 1,pp.9-11.

(4) Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,p.2.

(5) Mabell,Countess of airlie,Lady Palmerston and her times,London(n.d),Vol.1,p.32.

(6) حيدر صبري شاكر الخيقاني ، اللورد هنري بالمرستون ودوره في السياسة الخارجية البريطانية (1830-1865) "دراسات في التاريخ والآثار" مجلة ، العدد 13، كلية الآداب ، جامعة بغداد ،2009 ، ص255.

(7) Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,p.4.

(8) Redley,Jasper,Lord Palmerston,London,1970,p.9.

(9) Ibid,p.9.

وقتا ممتعا في ايطاليا ، وتعرف على فتى بريطاني اسمه فرانسيس هار Francis Hare ، واستمرت العلاقة بين هذين الصبيين فيما بعد ، وفي التاسعة من عمر بالمرستون ، أرسله والده في رحلة سياحية إلى أوربا مع معلمه الايطالي[1] ، فذهب معه إلى سويسرا وبعض المدن الألمانية وفرنسا، وكان بالمرستون في حينها قد أجاد اللغات الايطالية والفرنسية وبدأ يكتب بعضاً من رسائله إلى والديه والى صديقه هار باللغة الفرنسية ، وفي تلك المرحلة فكر والده بإدخاله إلى إحدى المدارس المرموقة التي تليق بعائلة بالمرستون [2] .

2-تعليمه وثقافته :-

التحق بالمرستون بمدرسة هارو Harro public School وبقي فيها طوال المدة (1795−1800) وهي من المدارس الراقية في بريطانيا التي يقصدها أبناء النبلاء والأباطرة والملوك ورؤساء الوزارات ، وهناك في تلك المدرسة اندمج بالمرستون مع أقرانه من أبناء الطبقات الثرية التي تسيطر على الأراضي وتمتلك الثروات[3] . وكان مع بالمرستون في هارو عدد من أبناء السياسيين البريطانيين منهم روبرت بيل Robert Peel[4] (1788−1850) وكذلك جون سبنسر آل ثورب[5] John Spence Althorp (1782−1845) بالإضافة إلى جورج هاملتون أبردين George Hamilton Aberdeen [6] (1784−1860)[7].

(1) Guedalla,Phillip,Palmerston,London,1950,p.19.
(2) Ibid,p.19.
(3) Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,p.5.
(4) سياسي بريطاني ،ولد عام 1788 في مدرسة هارو ثم جامعة اكسفورد انتخب عضوا في مجلس العموم عام 1809 ، أصبح وزير شؤون ايرلندا في المدة 1812-1818 ووزارة الداخلية في المدة 1822-1827 و1828-1830 كما تولى رئاسة الوزراء مرتين الأولى كانون الأول 1834-نيسان 1835 والثانية آب 1841- حزيران 1846 للمزيد من التفاصيل ينظر : The New Encyclopedia Britannica,Vol. ,p.23.
(5) سياسي بريطاني من الأحرار ، ولد في 30 آيار 1782، دخل مدرسة هارو عام 1800 وبعد ذلك جامعة كامبرج ، ومنذ عام 1783 أطلق عليه فسكونت آل ثورب Viscount Althorp وظل محتفظا بهذا اللقب حتى عام 1834 ، أصبح عضوا في مجلس العموم البريطاني في المدة 1806-1834 وفي وزارة غراي 1830-1834 أصبح ثورب لمجلس العموم وكذلك وزير الخزانة ، كما كان قائدا لحزب الأحرار خلال المدة نفسها ، وبعد عام 1834 أصبح يسمى الأيرل الثالث سبنسر وحتى وفاته عام 1845 للمزيد من التفاصيل ينظر :
The New Encyclopedia Britannica,Vol.11,pp.84-85.
(6) سياسي ورجل دولة بريطاني ، حصل على لقب ايرل عام 1801تولى العديد من المناصب السياسية منها سفير لبلاده في النمسا ، وأصبح عام 1813 وزيرا للخارجية في المدة حزيران 1828- تشرين الثاني 1830 ووزيرا للحرب والمستعمرات تشرين الثاني 1834- نيسان 1835كما تولى وزارة الخارجية مرة أخرى أيلول 1841-1846 وأصبح رئيسا للوزراء في كانون الأول 1852- شباط 1855 للمزيد من التفاصيل ينظر: The New Encyclopedia Britannica,Vol.1,p.28.
(7) Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,p.5.

درس بالمرستون في مدرسة هارو العلوم الكلاسيكية والخطابة ، وكذلك بعض اللغات وأهمها الفرنسية والايطالية والألمانية ، التي اطلع عليها أثناء رحلته إلى أوربا[1] . وفي تلك المدرسة بدأت شخصية بالمرستون تنمو وتنمو معها أفكاره وتوجهاته ، وبدأ بقراءة الكتب والروايات اللاتينية ودل ذلك على حرصه على تطوير لغته الايطالية واهتمامه بالأدب الايطالي وكذلك الحال مع اللغة الفرنسية [2] .

اتضح ذلك من خلال مراسلات بالمرستون مع صديقه هار ، الذي تعرف عليه أثناء رحلته إلى ايطاليا[3] ، وكتب بالمرستون إليه في التاسع والعشرين من آذار 1798 قائلا " **أنا بصحة جيدة وعندي تحسن كبير في الدراسة بشكل عام ، لقد بدأت بقراءة ملحمة الالياذة لهوميروس في جزئها الخامس ، وكذلك أنا اقرأ لقيصر تيرنس [كاتب كوميدي روماني] و اوفيد [شاعر روماني] ومجموعة من القصائد القصيرة والساخرة وبعد عطلة عيد الفصح سأبدأ بـ فيرجيل [شاعر روماني مؤلف الالياذة] ، أنا سعيد لأرى بالرغم من انك تدرس في ايطاليا انك لم تنس الانكليزية ، لقد عاد إلى ذهني الوقت الجميل الذي أمضيته أنا في ايطاليا وأصبحت أتمنى تكرار زيارتي لهذا البلد الذي أنا الآن اقرأ عنه كثيرا** " [4] .

رد هار على رسالة صديقه بالمرستون في الخامس من حزيران 1798 وكتب مانصه: " **أتمنى أن تكون بخير على الدوام ، وانك تستفيد كثيرا من القراءة ، أتمنى أن لا تشترك بمسائل غير لائقة شائعة في المدارس العامة[5] ، كالرذيلة وتعاطي وإدمان الخمر ، أُرسل تحياتي لأختيك الودودتين ، وبشكل خاص فاني [فرانسيس]،سأنتظر إجابتك بفارغ الصبر ومن كل أعماق قلبي أنت أحب صديق**" [6].

ومن الجدير بالذكر إن مراسلات بالمرستون مع صديقه في المدرسة بينت مدى إعجابه وتعلقه بايطاليا بعد إن زارها مع عائلته ، بدليل قيامه بالقراءة عن تاريخ هذا البلد وثقافته وآدابه ، كما بينت تلك المراسلات رغبة بالمرستون بإتقان اللغة الايطالية أيضا ،

---

(1) حيدر صبري شاكر الخيقاني ، المصدر السابق ، ص255.

(2) Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,p.5.

(3) Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,p.4.

(4) Quoted in: Bulwer,Henry Lytton,Op.Cit,Vol.1,p.8-9.

(5) Ibid,p.9.

(6) Quoted in : Mabell,Countess of airlie,Op.Cit,Vol.I,p31.

وهذا أمر مميز وملفت لفتى في عمره لم يدخل الجامعة بعد ، وفي ذلك إشارة مهمة إلى إمكانيته ورغبته في بناء شخصيته الفكرية والسياسية .

وفي تشرين الثاني 1800 تم قبول بالمرستون في جامعة أدنبرة University of Edinburgh في اسكتلندا ، واستمر بالدراسة هناك حتى عام 1803[1] ، وكان اختيار بالمرستون لهذه الجامعة هو الوضع المتأزم في أوربا والذي نتج عن قيام الثورة الفرنسية ووصول نابليون بونابرت Napoleon Bonapert (1769–1821/ 1799–1815) إلى السلطة في فرنسا ، وكانت اسكتلندا البديل الوحيد عن الدراسة في الخارج ، لما تملكه من مؤهلات وسمعة أكاديمية راقية كمثيلاتها في انكلترا [2] .

بلغ عمر بالمرستون أثناء دخوله إلى الجامعة ستة عشر عاماً ، وكان والداه يدفعان اربعمائة باوند إسترليني أجراً للدراسة[3] ، وفي السنوات الثلاث التي قضاها في جامعة أدنبرة (1800–1803) علق بالمرستون بهذا الخصوص قائلا : " **لقد وضعت الأساس لما يعرف بالمعرفة والعادات الذهنية المفيدة التي امتلكها**" [4].

درس بالمرستون في جامعة أدنبرة الاقتصاد السياسي والفلسفة ، وتتلمذ هناك على يد الفيلسوف الاسكتلندي دوغالد ستيوارت Dugald Stewart [5] (1753–1828) ، واطلع كذلك على أفكار المفكر الاقتصادي آدم سمث Adam Smith (1723–1790) في التجارة الحرة [6] .

تعلم بالمرستون في أدنبرة الكثير من خلال المحاضرات التي تلقاها في الاقتصاد السياسي والفلسفة وكذلك العلوم الكيميائية والرسم[7] . وكان يمضي وقته في المطالعة

---

(1) **Guedalla,Phillip,Op.Cit,pp.25-26.**
(2) **Ibid,p.26.**
(3) **Sanders,Lloyd C.,Op.Cit , p.5.**
(4) **Quoted in : Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,p.6.**
(5) **فيلسوف اقتصادي اسكتلندي ، ولد في ادنبرة في 22 تشرين الثاني ، ابن مدرس الرياضيات في جامعة ادنبرة ... تلقى دوغالد ستيوارت دراسته في المدرسة الثانوية الملكية ثم الجامعة ، رحل الى جامعة غلاسكو لحضور دروس استاذه توماس ريد ، كما قام بالتدريس في جامعة ادنبرة ... توفي 1815 ... الفلسفة الأخلاقية والاقتصاد السياسي في جامعة ادنبرة وكان من ابرز تلاميذه اللورد بالمرستون ، توفي عام 1828 ، للمزيد من التفاصيل ينظر : The New Encyclopedia Britannica,Vol.11,p.265.**
(6) **Ridley,Jasper,Op.Cit,p.14.**
(7) **Bulwer,Henry Lytton,Op.Cit,Vol.1,p.10.**

والسباحة وممارسة الرياضة على التلال الاسكتلندية والدخول في مناقشات وسجالات مع زملائه في الجامعة [1] .

اعجب بالمرستون بمحاضرات استاذه دوغالد ستيوارت ، فكان يواظب على حضورها وتدوين الملاحظات المتعلقة بها مما دفع بأستاذه الى توجيه الإطراء والمديح له ، حيث كتب في السابع والعشرين من نيسان 1801 قائلا : " **مع احترامي للسيد تمبل ، ويكفيني القول انه باستمرار يتوافق مع الانطباعات المفضلة التي تنمو في شخصيته ، ومواهبه جيدة ، وفي مسألة المزاج والتواصل مع الآخرين فقد كان كل مايتمناه أصدقاؤه أن يكون ، حقيقة... ليس باستطاعتي إلا القول إني قد رأيت أخلاقا صافية ويمتلك الكثير من الصفات اللطيفة**" [2] .

كان والدا بالمرستون يرغبان في تثقيف بالمرستون وشقيقه وليام الذي التحق به للدراسة في أدنبرة من المعارف والفلسفة الاسكتلندية [3]، رغم إن تلك المرحلة التاريخية تميزت بانتشار أفكار آدم سمث التي اعتمدتها الثورة الفرنسية ، والتي كانت مثار شك وريبة من لدن الطبقة المحافظة في المجتمع البريطاني ، إلا إن بالمرستون تأثر بتلك الأفكار وأصبح من مؤيدي حركة الإصلاح البرلماني فيما بعد[4] ، كما أسس بالمرستون مع أصدقائه الذين درسوا في اسكتلندة صحيفة اسمها أدنبرة ريفيو Edinburgh review موالية لحزب الأحرار [5] .

كان بالمرستون أثناء تواجده في منزل عائلته يلتقي بأصدقاء والديه من حزب الأحرار مثل اللورد منتو وزوجته اللذين كانا يقيمان في أدنبرة بشكل مؤقت ويزوران عائلته للتباحث بموضوع تربية الأولاد وتعليمهم ، وفي وصفه للشاب بالمرستون قال منتو : " **لم أتعرف في حياتي على شاب بهذه الدرجة من الكمال والرقي وهذا بالطبع ليس رأيي الشخصي فحسب ، بل رأي البروفيسور ستيوارت وزوجته أيضا[6] ، حيث كان لديهم نفس الانطباع عن شخصية هذا الشاب المتألق وقد أشاروا إلى إنهم لم يروا من قبل**

(1) Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,p.8.
(2) Quoted in : Bulwer,Henry Lytton,Op.Cit,Vol.1,pp.10-11.
(3) Brown,David,Palmerston and the politics of foreign policy 1846-1855,Manchester University press,2002,p.4.
(4) للمزيد من التفاصيل حول حركة الإصلاح البرلماني ينظر: عدي محسن غافل الهاشمي ، الاصلاح البرلماني في بريطانيا في العصر الفكتوري (1837-1901) اطروحة دكتوراه ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، 2006 .
(5) Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,p.8.
(6) Quoted in :Ridley,Jasper,Op.Cit,p.15.

شابا كهذا لا تجد في شخصيته خللاً و نقصاً بل ذكاء ومثابرة وإمكانات خلاقة ونزاهة لا تشوبها أدنى شائبة ... كريم ، لطيف ، منظم ، مطبوع على الرقة واللطف وحسن الخلق وخفة الدم والجمال حتى انه يمكن ان تدون هذه الصفات في الإعلان عن فقدانه إذا ما فقد لأنه يكاد ينفرد بها لوحده" [1]. ولاقى الشاب بالمرستون إعجاب معظم معاصريه فقد كان وسيما ولطيفا ولذلك كان يعرف عند شبابه باسم اللورد كيوبد Lord Cupid (اله الحب) [2] .

توفي والد بالمرستون في السادس عشر من نيسان1802[3] ، وكان بالمرستون لا يزال طالبا في جامعة ادنبرة ، وورث بالمرستون عن والده عقاراته ولقبه ، وأصبح منذ ذلك الوقت يسمى الفسكونت[4] الثالث بالمرستون 3rd Viscount palmerston[5]، وبعد وفاة والده أصبح بالمرستون حزينا وقد اثر فيه الأمر إلى حد كبير، ثم أخذت والدته السيدة مي على عاتقها مسؤولية رعاية العائلة وممتلكاتها وكان بالمرستون مضطرا لاقتسام المسؤولية مع والدته لاسيما وانه أصبح وريث العائلة وحاملا لاسمها رسميا بعد وفاة والده [6] .

وجد بالمرستون نفسه، بعد أن فقد والده ، محاطا بعدد كبير من أصدقاء عائلته الذين قدموا له النصح والرعاية ، وفي تلك المرحلة كان بالمرستون يقضي معظم وقته مع اللورد مالميزبري ، الذي اخذ عنه الكثير[7] . وكان اللورد مالميزبري تجسيدا حيا للدبلوماسية الحقة في القرن الثامن عشر ، وكان بالمرستون يقضي معظم أوقات العطل معه حيث ساعده في التعرف على أرقى الأسر البريطانية وعلمه كل مايتعلق بالعمل الدبلوماسي وأساليبه التكتيكية وسياسات ما وراء الكواليس[8].

---

(1) Quoted in : Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,p.5.
(2) Mabell,Countess of airlie,Op.Cit,Vol.1,31.
(3) Ibid,p.5.
(4) فسكونت Viscount : لقب بريطاني ... في المجتمع البريطاني ... ب والالقاب النبيلة ... دى المراتب ... الارستقراطي اوله دوق Duke ثم ماركيز Marquis ثم ايرل Earl ثم فسكونت ثم بارون Baron ثم لورد Lord ، وهذا الاخير لقب وراثي أو مكتسب يمنحه الملك لمن يراه مناسبا ، وتكون لهذه المراتب ازياء خاصة بها ، ينظر: خالد علي مصطفى ، وليم بت والسياسة البريطانية 1783-1806 ، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، 2007،ص14.
(5) The New Encyclopedia Britaunica,Vol.13,p.935.
(6) Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,p.9.
(7) Gnedalla,Phillip,Op.Cit,p.30.
(8) Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,p.9.

التحق بالمرستون بعد ان أنهى دراسته في جامعة أدنبرة بكلية القديس جون St John College في جامعة كامبرج Combridge University خلال المدة(1803-1806) لنيل درجة الماجستير في الاقتصاد السياسي فحصل على الشهادة ونال مرتبة الشرف من الدرجة الأولى [1] .

وعند ذهاب بالمرستون الى كلية سانت جون في كامبرج كتب بهذا الصدد قائلا : " **عندما ذهبت الى جامعة أدنبرة ، كان النظام فيها عبارة عن محاضرات دون امتحان ، في حين أن نظام جامعة كامبرج فيه امتحان نصف السنة ، وهكذا فالمعارف التي يتلقاها الطالب في كامبرج سرعان ما تتبخر بعد الامتحانات ، الدكتور اوترام Dr. Outram ، أستاذي في جامعة كامبرج ، ولأكثر من مرة المح الي إني كنت دائما في الصف المتقدم في امتحانات الكلية ، وقد أثنى على انتظامي في الدراسة** " [2] .

شهدت تلك المرحلة من حياة بالمرستون ، وهو مازال طالبا جامعيا ، أحداثا كان لها ابرز التأثير عليه ، وقد حفرت آثارها في مخيلته ، وذلك بعد أن أعلن نابليون عن نيته غزو بريطانيا عام 1805 ، وبدأ منتسبو الجامعة ينظمون فرقاً من طلاب كليته ، وقد انتخب بالمرستون ليكون احد قادة هذه الفرق وظل بالمرستون يتذكر في السنوات اللاحقة تلك الأحداث التي ولدت في نفسه الشك والريبة تجاه فرنسا [3] . توفيت والدة بالمرستون في العشرين من كانون الثاني 1805[4] بعد معاناة شديدة مع مرض عضال الم بها [5] ، وكانت تلك الحادثة صدمة أخرى بالنسبة لبالمرستون ، ولاحظ اللورد منتو ذلك ، حيث وجد بالمرستون صامتا تماما ، وكتب إلى زوجته قائلا : " **إن هنري بالمرستون لم يمر بفترة ربيع عمره الا بشكل قليل** " [6] .

أما بالمرستون فقد كتب بعد وفاة والدته قائلا : " **في كانون الثاني 1805 فقدت أمي ولسوء الطالع فقد تأخر تحصيلي لشهادة الماجستير حتى عام 1806، وفي كانون الثاني 1806 توفي السيد بت [وليم بت William Pitt (1759-**

---

(1) Ridley,Jasper,Op.Cit,p.17.
(2) Quoted in : Bulwer,Henry Lytton,Op.Cit,Vol.1,pp.11-12.
(3) Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,pp.9-10.
(4) Bulwer,Henry Lytton,Op.Cit,Vol.1,p.12.
(5) Ibid,p.12.
(6) Quoted in : Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,p.6.

1806)[1]] وكـان يجـب علـى الجامعـة أن تختـار عضـواً جديـداً ليمثلهـا فـي مجلـس العموم " [2] .

تزامنت وفاة رئيس الوزراء وليم بت مع حصول بالمرستون على شهادته الجامعية فتهيأت الفرصة ليرشح نفسه لمقعد الجامعة في مجلس العموم [3] ، واختار بالمرستون الترشيح إلى جانب حزب المحافظين ممهدا بذلك إلى مرحلة جديدة من حياته العملية أدت إلى بداية ظهوره على الساحة السياسية في بريطانيا [4] .

---

(1) هو الابن الأصغر لايرل شاثام Eral Chatham 1708-1778 ، أصبح محاميا عام 1780 أصبح عضواً في البرلمان عام 1781 وزيرا للخزانة عام 1782 ، أصبح رئيسا للوزراء مرتين الأولى 1783-1801 والمرة الثانية 1804-1806 أصلح النظام الإداري في الهند واعد مشروعا للإصلاحات البرلمانية وبعد التمرد الذي حدث في ايرلندا 1798 دفع مجلس العموم الايرلندي للتصويت على حل نفسه ، تحالف مع روسيا والنمسا وبروسيا ضد فرنسا النابليونية ، توفي في 23 كانون الثاني 1806 ، للمزيد ينظر :أروى خالد علي مصطفى ، المصدر السابق ، ص ص 7-57 .

(2) Quoted in : Bulwer,Henry Lytton,Op.Cit,Vol.1,pp.12-13.

(3) Guedalla,Phillip,Op.Cit,p.35.

(4) Mabell,Countess of airlie Op.Ccit,Vol.1,p.32.

ثانيا: المناصب التي شغلها بالمرستون للمدة (1807-1830)

1- دخوله مجلس العموم البريطاني وتعيينه في وزارة البحرية (1807-1809)

حاول بالمرستون دخول مجلس العموم في مرحلة خطيرة من تاريخ بريطانيا فقد كانت الحرب قائمة مع فرنسا وفرضت الرسوم والضرائب على الشعب بسبب المجهود الحربي[1] ، وبعد وفاة بت في كانون الثاني 1806 ، رشح بالمرستون نفسه كممثل لجامعة كامبرج في مقعدها في مجلس العموم وقد نقل عنه قوله : " **في كانون الثاني توفي السيد بت ، وكان لزاما على الجامعة أن تختار عضوا جديدا ، وقد كنت بالعمر المناسب ، ونصحني أصدقائي في كلية سانت جون في كامبرج بالترشيح** " [2] .

تنافس بالمرستون على مقعد الجامعة مع عضوين بارزين من الأحرار[3] ، كان أول هذين المنافسين هو اللورد هنري بتي فتزموريس المركيز الثالث لاسنداون Henry Pitty Fitzmarice 3rd Marquis of Lansdowne [4](1780-1863) والذي حظي بشهرة كبيرة باعتباره ثالث اشرف النبلاء لمقاطعة لانسداون ، أما الثاني فكان زميلا لبالمرستون في مدرسة هارو وهو اللورد آل ثورب ، اعتمد بالمرستون في تلك الانتخابات على دعم جامعة كامبرج ، لكنه لم يكن كافيا ولم يستطع تأمين الأصوات اللازمة لفوزه بالمقعد[5] . فاز هنري بتي بالمقعد المخصص لجامعة كامبرج بسهولة وقد حصل على (331) صوتا وجاء آل ثورب بالمركز الثاني بمائة وخمسة وأربعين صوتا أما بالمرستون فاحتل المركز الثالث بمائة وثمانية وعشرين صوتا فقط[6] .

---

(1) M'gilchrist,John,Op.Cit,p.26.

(2) Quoted in : Bulwer,Henry Lytton,Op.Cit,Vol.1,p.13.

(3) Ziegler,Paul R.,Palmerston British History in Perspective,London,2003,p.8.

(4) سياسي بريطاني من الأحرار ، عرف باللورد هنري بتي منذ عام 1784 حتى عام 1809 أصبح المركيز الثالث لانسداون 1809-1863 ابن رئيس الوزراء وليم بتي William Pitty المركيز لانسداون ، درس في مدرسة ويستمنستر Westminster School ثم جامعة أدنبرة ، عمل في الحكومة البريطانية لنصف قرن تقريبا ، دخل مجلس العموم عام 1802 وأصبح وزير الخزانة في المدة 1806-1807 وزير الداخلية في المدة 1827-1828 وأصبح رئيسا لمجلس اللوردات 1846-1852 زعيم الحزب الأحرار 1842-1846 أصبح قائدا للأحرار في مجلس اللوردات 1842-1855، توفي في لندن في 31 كانون الثاني 1863. للمزيد من التفاصيل ينظر :

HenryPittyFitzmarice3rd Marquis of Lansdowne-Wikipedia,The free Encyclopedia.

(5) Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,p.6.

(6) Bulwer,Henry Lytton,Op.Cit,Vol.1,p.13.

رشح بالمرستون مرة اخرى في تشرين الثاني 1806 لإشغال مقعد مدينة هورشام Horsham عن مقاطعة سسكس sessex جنوب بريطانيا ورغم فوزه عن هذه المقاطعة إلا انه لم يجلس في مجلس العموم سوى ثلاثة اشهر ، وحول هذا الموضوع علق بالمرستون قائلا : " **حينما جرت الانتخابات في تشرين الثاني 1806 انتخبنا أنا واللورد فتزهاير Lord Fitiz-Harris [1] (1778–1841) عن مقاطعة هورشام ، وقد دفع كل منا مبلغ 1500 جنيه استرليني ، وتم حل البرلمان فيما بعد[2] ، فاعتبرنا أنفسنا محظوظين لأننا لم ندفع مبلغ خمسة آلاف جنيه استرليني مقابل الحصول على مقعد في البرلمان لأشهر قليلة** "[3] .

وبعد وفاة بت كلف الملك جورج الثالث GeorgeIII[4] (1738–1820/ 1760–1820) حزب الأحرار بتشكيل الحكومة فأصبح اللورد غرينفل Lord Grenville [5] (1759–1834/ 1806–1807) رئيسا للوزراء وفوكس Fox[6] (1749–1806) وزيرا للخارجية الذي لم يمضِ في المنصب سوى ثمانية اشهر وهو ماتبقى من عمره [7] .

---

(1) جيمس ادوارد هاريس الايرل الثاني المالميزبري James Edward Harris,2nd Earl of Malmesbury ، وهو ولد في 1778 ... البريطاني المعروف جيمس هاريس الايرل الأول المالميزبري ، أصبح ... الفيكونت فتزهاير في المدة 1800–1820 ... الايرل الثاني المالميزبري 1820–1841 ... البرلمان ... عام 1802 ، اصبح سكرتيرا في وزارة الخارجية عام 1807، وأصبح حاكم جزيرة وايت في المدة 1807-1841 ، توفي في 10 ايلول 1841 ، ينظر :

James Edward Harris,2nd Earl of Malmesbury-Wikipedia,The free Encyclopedia.

(2) في ايار 1807

(3) Quoted in : Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,p.7.

(4) جورج وليم فردريك George William Frederick اكبر أبناء فردريك أمير ويلز (1707-1751) خلف جده جورج الثاني 1683-1760 ... ثلاث ... وعشرون عاما ... وحاول ... فرض السلطة الملكية المطلقة ... ونتيجة لطباعه العنيدة ... قبول ... استقالة بت الابن ... عام 1801 ... على تحرير الكاثوليك في ايرلندا ، استقلت المستوطنات البريطانية في عهده عام 1783، تعرض لنوبات اضطراب عصبي انتهت بانهياره التام عام 1810، توفي في قصر ويندسور عام 1820 ينظر:

The New Encyclopedia Britannica,Vol.5,p.194.

(5) وليام ويندهام غرينفل William Wyndham Grenville ، رئيس وزراء بريطاني من الأحرار ، ابن جورج غرينفل 1712-1770 ... مجلس العموم ... عام 1782 ... عام 1789 ... مجلس العموم البريطاني ، وحصل على لقب لورد عام 1790 أصبح وزيرا ... في المدة 1791-1801 ... عام 1801 ، كان مقربا ... شارل جيمس فوكس ، كلفه الملك جورج الثالث بتشكيل الحكومة ... ، واستمرت حكومته التي عرفت باسم حكومة المواهب المتعددة من شباط 1806 ولغاية آذار 1807 ... خلاف ... مع الملك بخصوص قضية تحرير الكاثوليك ... ينظر آلن ... موسوعة التاريخ الحديث، ترجمة:سوسن فيصل السامر ويوسف محمد امين،دار المأمون ،بغداد،1992، ج1،ص347 .

(6) شارل جيمس فوكس Charles James Fox ... هنري فوكس Henry Fox 1705-1774 ... مدرسة ايتون Eton school ثم جامعة اكسفورد ، دخل مجلس العموم عام 1768 ... عام 1774 ، أصبح وزير للخارجية عام 1782 ... قانون ... الذي اقترحه بخصوص الهند ... عام 1783 ... معارضة سياسة بت الابن طوال عشرين عاما ... فوكس الحرب ضد فرنسا ...

كانت حكومة غرينفل تدرك تماما وضعها الهش وغير الآمن بسبب معاداة جورج الثالث لحزب الأحرار ، لذلك سعت للحصول على دعم وتأييد في مجلس العموم من خلال الإعلان عن إجراء انتخابات عامة في تشرين الثاني 1806 ، وفي تلك الانتخابات فاز بالمرستون عن مقاطعة هورشام ، إلا إن تقديم الحكومة لمشروعها الإصلاحي الذي تضمن قانونا لمكافحة تجارة الرقيق إلى بريطانيا وقانونا يخص تحرير الكاثوليك في ايرلندا والسماح لهم بالدخول إلى الحياة السياسية أدى إلى نشوب صراع بين حكومة غرينفل وجورج الثالث في آذار 1807[1] .

انزعج جورج الثالث من دعم الحكومة لتحرير الكاثوليك ، لذلك أقال الحكومة وحل مجلس العموم وكلف الملك الدوق بورتلاند Duke of Portland [2] (1738-1809-1807/1809) لتشكيل الحكومة ، و مثل ذلك عودة المحافظين إلى الحكم . وحصل بالمرستون على منصب لورد في مجلس القوى البحرية التابع لوزارة البحرية[3] .

كان مالميزبري صديقا قديما وحميما للدوق بورتلاند ، واستطاع أن يحصل لصديقه الشاب على هذا المنصب في وزارة البحرية من خلال هذه الصداقة وبحلول عيد الفصح 1807 أصبح بالمرستون لوردا في مجلس القوى البحرية ، رغم انه لم يكن حينذاك قد دخل البرلمان ، وكان ذلك أول منصب يحصل عليه وكان معه في مجلس القوى البحرية خمس شخصيات[4] ، وكانت هذه الوظيفة بمثابة تكريم وتشريف له وذلك لان اللوردات في الأدميرالية لم يكن عليهم سوى التوقيع وكتابة أسمائهم[5] . وحول هذا الموضوع علق بالمرستون قائلا : " **كنت في برودلاندز في عيد الفصح 1807 عندما تلقيت في الأول**

العموم في ايار 1797 خطيبا موهوبا وبارعا ، وبعد وفاة بت عاد للعمل السياسي وزيرا للخارجية في حكومة غرينفل 1806-1807 ، إلا انه توفي بعد ذلك بثمانية اشهر ، للمزيد من التفاصيل ينظر :
The New Encyclopedia Britannica,Vol.4,p.910.

(7) M'gichrist,John,Op.Cit,p.27.

(1) Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,p.12-13.

(2) وليام هنري كافندش بنتك William Henry Cavendish Bentinck ، رئيس وزراء بريطاني ، خلف اباه ليصبح الدوق الثالث لبورتلاند 1762 ، تعلم في كلية ايتون وجامعة اكسفورد ، دخل البرلمان عام 1761 ، أصبح رئيساً للوزراء بين شهر نيسان وكانون الأول 1783 ، أصبح وزيراً للداخلية في حكومة بت منذ 1794 حتى 1801 ، اصبح رئيس وزراء في المدة 1807-1809 توفي في 30 تشرين الأول 1809 ، وخلفه في رئاسة الحكومة وزيره للمالية سبنسر بيرسفال ، للمزيد من التفاصيل ينظر : آلن بالمر ، المصدر السابق ج2 ، ص196.

(3) ZieglerPaul R.,Op.Cit,p.9.

(4) هم كل من اللورد كامبير Lord Gambier والسير بيكرتون Sir R.Bickerton والكابتن هوب Capt. W,J , Hope والمستر وارد Mr. Ward والمستر جيمس بولر Mr. James Buller ، ينظر :
Bulwer,Henry Lytton,Op.Cit,Vol.1,p.77.

(5) Guedalla,Philip,Op.Cit,p.36

من نيسان رسالة من اللورد مالميزبري يدعوني فيها إلى المجيء إلى لندن حالا ، إذ وجد لي وظيفة ، إن لم تكن في البرلمان فهي على الأقل وزارة البحرية " [6] .

حاول بالمرستون ترشيح نفسه من جديد في انتخابات عام 1807 عن جامعة كامبرج ولكنه لم يستطع الفوز بمقعد الجامعة في البرلمان فعاد إلى وظيفته في وزارة البحرية وهو فخور بالسمعة الطيبة التي حققها رغم عدم دخوله الى مجلس العموم[1] . وفي حزيران 1807 قدمه اللورد مالميزبري ليصبح ممثلا لقصبة نيوبورت Newport وهي الدائرة الانتخابية التي مثلها والده في وقت سابق ، ولم تطأ قدما بالمرستون تلك المدينة ولكن لارتباطاته الارستقراطية وعلاقاته قُدُم كممثل عن هذه المدينة في مجلس العموم ، وبهذا أصبح بالمرستون رسميا عضوا في مجلس العموم عن حزب المحافظين بفضل مالميزبري مع احتفاظه بوظيفته في وزارة البحرية ، وبالرغم من انه يمتلك لقبا ايرلنديا نبيلا ، إلا أن ذلك لم يؤهله للحصول على مكان في مجلس اللوردات البريطاني وبعد سنوات عرض عليه مقعد في مجلس اللوردات ، لكنه رفضه وفضل ممارسة دوره السياسي في مجلس العموم ، حيث يتفاعل مع مناقشاته[2] .

كان عمر بالمرستون أثناء دخوله مجلس العموم ثلاثة وعشرين عاماً وحينذاك أتيح له المجال ليلقي خطابه الأول في مجلس العموم ، وكان الخطاب بلغة غير سليمة تدل على مبتدئ ، وعلى الرغم من ذلك تكلم بالمرستون عن الحروب النابليونية والسياسة الخارجية بشكل عام [3] .

خضعت معظم القارة الأوربية ، خلال عام1807 لسيطرة نابليون بونابرت وأفادت التقارير السرية البريطانية بأن جيوش نابليون تحركت لإحتلال الدنمارك ، وان الأسطول الدنماركي سوف يسقط بيد الفرنسيين ، وأكد وزير الخارجية في حكومة بورتلاند جورج كاننغ George Canning[4] (1770–1827/ 1807–1809) بان الدنماركيين سوف

---

(6) Quoted in : Bulwer,Henry Lytton,Op.Cit,Vol.1,p.18.

(1) Bell,Herbert C.F.,Op,Cit,Vol.1,pp.14-15.

(2) Ziegler.Paul R.,Op.Cit,p.9.

(3) Ibid,p.9.

(4) ولد في لندن في 11 نيسان 1770، درس في كلية ايتون ، وكلية السيد المسيح ، سياسي ورجل دولة بريطاني كان في بداية حياته السياسية من الأحرار ، اصبح من انصار بت وخدم بعد ذلك في المناصب الهامشية مابين 1796-1800و1804-1806 واصبح كاننغ وزيرا للخارجية في المدة 1807-1809 وزعيما من ... في معركة كوبنهاكن ، وفي ... مجلس الوزراء ... بسبب خلافه مع كاستلريه Castlereagh ، أصبح وزيرا للخارجية مرة أخرى للمدة 1822-1827 ثم رئيسا للوزراء منذ نيسان 1827 حتى وفاته في آب 1827، وله وجهات نظر خاصة في مسألة السياسة الخارجية البريطانية ، تأثر بأصدقائه ولاسيما بالمرستون ، للمزيد من التفاصيل ينظر: The New Encyclopedia Britannica,Vol.2,p.805.

يضطرون الى تسليم اسطولهم لنابليون ، لذلك أرسلت الحكومة البريطانية في آب 1807 بعثة عسكرية من البحرية الملكية لتحطيم الأسطول الدنماركي وقصفت ميناء كوبنهـــاكن Copenhagen [1] .

تحركت المعارضة من حزب الأحرار ضد تصرف الحكومة البريطانية مع الدنمارك[2] ، وأعلن عضو مجلس العموم عن حزب الاحرار اللورد غراي Lord Grey[3] (1764–1845) في مجلس العموم أن بريطانيا قد تورطت بالاعتداء على دولة مستقلة ، كما احتج غرينفل على تصرف الحكومة أيضا ، ورد وزير الخارجية كاننغ على انتقاد المعارضة فقد وقف في مجلس العموم وألقى خطاباً لمدة ثلاث ساعات ، وبرر تصرف الحكومة ودافع عنها وتمكن كاننغ من خلال خطابه الذي استمر ثلاث ساعات من أن يدحض آراء المعارضة[4].

سنحت الفرصة لبالمرستون أن يلقي خطابه الأول في تلك الجلسة الصاخبة في مجلس العموم المنعقدة في الثالث من شباط 1808 ، وردد بالمرستون ملاحظات كاننغ وجادل أنَ التدخل البريطاني في الدنمارك مطلوب لان الأسطول الدنماركي كان مهددا بالوقوع في اسر نابليون ، بالرغم من أن بالمرستون اقر بأن استقلال الدول يجب أن يحترم ، لكنه أكد بان الضرورة فرضت أن تقوم الحكومة بذلك العمل[5] .

تحدث بالمرستون بشكل مطول في خطابه عن تدمير الأسطول الدنماركي في معركة كوبنهاكن[6] ، قائلا مانصه :" **فيما يتعلق بالحملة الحالية ، فانه يمكن تبريرها على أساس أن قوة فرنسا مكنتها من السيطرة على الدول الأضعف لتجعلها عدوة لبريطانيا ، بينَ السيد غرينفل باننا مذنبون بسبب خرق قانون الدول ، ولكن السؤال**

---

(1) **Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,p.8.**

(2) **Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,p.16.**

(3) **الايرل الثاني شارل غراي 2nd Earl Charles Grey ، سياسي بريطاني من الاحرار ، ولقب بالبارون غراي في المدة 1801-1806 وكذلك الفسكونت هويك Viscount Howick ، كان قائدا لحزب الاحرار ، درس في كلية ايتون ، دخل البرلمان عام 1786، وفي عام 1806 أصبح وزيراً للبحرية ، وفي المدة 1806-1807 أصبح وزيرا للخارجية ورئيسا لمجلس العموم ، وأصبح رئيسا للوزراء في المدة من 22 تشرين الثاني 1830- 16 تموز 1834 حصل على لقب الايرل الثاني (1807-1845)، وكان له دور في إصدار قانون الإصلاح البرلماني لعام 1832 ، للمزيد من التفاصيل ينظر : The NewEncyclopediaBritannica,Vol.5,p.491.**

(4) **Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,p .8.**

(5) **Material for the true history of Lord Palmerston,Robert Hardwicke,London, 1866,p.19.**

(6) **Marx,Karl,The Story of live Lord Palmerston,London,1853,p.4.**

هو هل أن قانون الدول مقدس ، أن الاعتراف بحقوق الدول شيء والاستسلام للسياسة العدوانية شيء آخر ... وبشأن هذه القضية في المجلس فان قانون الطبيعة أقوى من قانون الدول ... اعترف السيد المحترم [غرينفل] وأنصاره بأنه إذا أظهرت الدنمارك أي عداء تجاه هذه الدولة [بريطانيا] فاننا سوف نكون محقين ومعذورين بأخذ الثأر منها كيف سيكون الحال اذا ما تغيرت القضية عندما نجد الدنمارك وهي تتصرف تحت سيطرة وهيمنة قوة معادية لنا ؟ وبعد معرفة ان الدنمارك تحت سيطرة فرنسا هل لنا ان نشك بان هدف عدونا قد تحقق ؟ يجب علينا ان نتذكر تصرف فرنسا باتجاه الدول الأخرى ، ولا يحق لنا ان نحكم على هذه الحكومة بقانون العدالة العقيم والمجرد ولكن بالمبادئ الحرة المنظمة لتصرف الدول عند حالات الطوارئ الكبيرة إذا ما أردنا المحافظة على نعمة القانون والدستور الحر" (1) .

واستمر بالمرستون في خطابه قائلا : " **هل لأحد أن يؤمن بأنه يمكن منع بونابرت من أن يكون موقفه اتجاه الدنمارك كموقفه تجاه الدول الأخرى ، إن بريطانيا طبقا لقانون حفظ الذات الذي يعد المبدأ الرئيس لقانون الدول محقة في فرض الحياد على الدنمارك والذي تحاول فرنسا تحويله بالإكراه إلى عداء حقيقي** "(2) .

كان خطاب بالمرستون في شباط 1808 نقطة تحول مهمة في تطور حياته السياسية (3) ، واختار بالمرستون هذه المناسبة ليلقي خطابه ، وقد ابلغ شقيقه وليام بذلك ، لأنه عد هذا الموضوع مهماً جداً والقضية حساسة للغاية ، كما انه أول خطاب يلقيه هذا الشاب في مجلس العموم منذ دخوله إليه ، وقد استمر ذلك الخطاب ماقارب النصف ساعة كما أرسل بالمرستون رسالة أخرى إلى شقيقته اليزابيت ليعلمها بذلك مما يبين اهتمام بالمرستون بهذا الحدث (4) .

أعطى ذلك الخطاب وزنا وثقلا لبالمرستون في مجلس العموم لأنه كان خطاب مميزا لهذا الشاب النبيل الذي تطرق فيه إلى قانون الأمم والحقوق والسياسة الخارجية وقد

---

(1) **Quoted in : M'gichrist,John,Op.Cit,pp.31-32.**
(2) **Quoted in : Ibid,p.32.**
(3) **Ziegler,Paul R.,Op.Cit,p.10.**
(4) **Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,p.16.**

لاقى خطابه تصفيقا من الحضور واهتماما كبيرا من كبار السياسيين ، مما أدى إلى ترقيته بعد ذلك ليصبح وزيرا للحرب[5] .

كشف خطاب بالمرستون الأول عن جوهر سياسته الخارجية التي اعتمدها فيما بعد أثناء معالجته لمختلف القضايا ، وهي ان مصالح بريطانيا تمثل الأولوية في كل فعل وتصرف قد تقوم به أي حكومة بريطانية إذا ما أرادت المحافظة على مصالح بلادها ، كما أوضح الخطاب أيضا بداية تأثر بالمرستون بوزير الخارجية جورج كاننغ الذي أصبح فيما بعد مثله الاعلى في العمل الدبلوماسي .

2- تعيين بالمرستون وزيرا للحرب 1809- 1828 :

احتدم الخلاف عام 1809بين وزير الخارجية كاننغ ووزير المستعمرات روبرت ستيوارت الفيسكونت كاستلري Robert Stewart Viscount Castereagh[1] (1769- 1805/1822–1809) ، وأدى ذلك الخلاف إلى أن يتبارزا بالسيف ، وكان التوتر كبيرا بالنسبة لرئيس الحكومة بورتلاند المسن ، وبالرغم من استقالة كل من كاستلري وكاننغ ، إلا أن بورتلاند اضطر للاستقالة أيضا في الرابع من تشرين الاول 1809 [2].

كلف الملك جورج الثالث سبنسر بيرسفال Spencer Perseval[3] (1762– 1812/ 1809–1812) بتشكيل الحكومة الجديدة ، عرض بيرسفال على بالمرستون منصب وزير الخزانة في تشرين الأول 1809[4] ، وكانت هذه الوزارة تحتل المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد وزارة الخارجية ، وكان هذا العرض مفاجئا لبالمرستون[5] ، ولم

---

(5) Guedalla,Philip,Op.Cit,p.38.

(1) سياسي بريطاني من اصل ايرلندي ، ولد في دبلن في ايرلندا في 18 حزيران 1769درس في المدرسة الملكية ثم في كلية سانت جونز في جامعة كامبرج في المدة 1786- 1787 فيأصبح 1790 عضوا في مجلس العموم الايرلندي ، وفي المدة 1794-1822 أصبح عضوا في مجلس العموم البريطاني ، عين وزيرا لشؤون ايرلندا 1798-1801 قضى على ثورتها عام 1798 تولى وزارة الحرب والمستعمرات 1805-1809 تولى منصب وزير الخارجية في المدة 1812-1822 أصبح الماركيز الثاني لمقاطعة لونددنديري 2nd Marquis Londonderry عام 1821 ، للمزيد من التفاصيل ينظر : نرجس خضير كريم الخفاجي ، دور كاسلري السياسي في اوربا (1812- 1822) رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة ذي قار،2010.

(2) Ziegler,Paul R.,Op.Cit,p.10.

(3) ... يس وزراء بريطاني ، درس في مدرسة هارو ، ثم كلية ترنتي في جامعة كامبرج ، ... مجلس العموم ... زب المحافظين ... 1796 ... قانونيا في حكومة ادنغتون 1803- 1804 ... وزيرا للخزانة في حكومة بورتلاند 1807 ... 1809 ... رئيسا للوزراء 1809-1812 ... متحاملا على الحكومة ... ون بيلينغهام ... مجلس العموم ... 12 آيار 1812 ... التفاصيل ينظر : The New Encyclopedia Britannica,Vol.9,p.279.

(4) Marquis of Lorne,Viscount Palmerston,K.G.,New Yourk,1892,p.17.

(5) Bulwer,Henry Lytton,Op.Cit,Vol.1,p.890.

يكن يمتلك الخبرة اللازمة لقبول ذلك المنصب لذلك ظل بالمرستون مترددا [6] ، وكتب رسالة طويلة إلى اللورد مالميزبري يطلب فيها رأيه في الموضوع ، ومن ضمن ماجاء في تلك الرسالة : " **ان عدم معرفتي وقلة خبرتي في مايتلعق بالتفاصيل الخاصة بالشؤون المالية يجعلني افكر كثيرا قبل قبول هذا المنصب**"[1].

رد مالميزبري عند تلقيه رسالة بالمرستون قائلا : " **ان لا احد يولد ومعه قابلية الخطاب والتحدث او القوة على التعبير بشكل بلاغي ولا احد يولد وهو يمتلك قابلية بت او فوكس على الخطابة والبلاغة في إيصال الرسالة المطلوبة إلى الآخرين والجميع قد لا ينجحون في التعبير بشكل مؤثر ولكن الخبرة والتجربة تكسب الإنسان المهارة** " [2] .

رفض بالمرستون منصب وزارة المالية ، وقبل بدلا من ذلك موقعا اقل وهو وزارة الحرب ، وفكر بالمرستون بأنه لو وافق على تولي وزارة المالية فربما سيكون عرضة لانتقاد حزب الأحرار لكونه يفتقر إلى المهارات البرلمانية ، وخشي بان عدم قابليته للرد على تلك الانتقادات سيؤدي إلى انهيار الحكومة [3] . إلا أن الرأي الأكثر قبولا في هذه المسألة هو أن بالمرستون احتاج إلى الثقة اللازمة للقبول بالمنصب وخشي بأنه قد يكون طموحا أكثر من اللازم بشكل يتجاوز قدراته[4] .

تسلم بالمرستون منصبه الجديد وزيرا للحرب في حكومة بيرسفال في السادس والعشرين من تشرين الأول 1809 ، وكان عمره حينذاك خمسة وعشرين عاما وبقي في هذا المنصب لما يقارب العشرون عاما (1809–1828) رغم التغيرات المتعاقبة وإعادة تشكيل الوزارات [5] . كان وجود بالمرستون في وزارة الحرب لتلك السنوات الطويلة لا يعني بانه كان خارج الخلافات والصراعات السياسية بين حزبي المحافظين والأحرار والتي غالبا تدور في مجلس العموم ، وكانت قيادة الجيش بيد القائد العام للقوات المسلحة ، وكان القائد العام يتعامل مع الوظائف العسكرية بصرامة[6] ، وعادةً هذا الضابط يكون دوقاً ملكياً ، وكان عمل القائد العام هو حلقة اتصال بين الملك والجيش وكان مسؤولا فقط أمام الملك ، أما بالمرستون كوزير للحرب فقد عمل كوسيط بين مجلس

---

(6) Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,p.17.
(1) Quoted in : Guedalla,Phlip,Op.Cit,p.42.
(2) Quoted in : Ibid,p.42.
(3) Ziegler,Paul R.,Op.Cit,p.11.
(4) Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,pp.9-10.
(5) M'gichrist,John,Op.Cit,p.35.
(6) Ziegler,Paul R.,Op.Cit,p.12.

العموم والجيش وتعامل مع قضايا عديدة متداخلة مالية ، وقضائية ، وعسكرية ، تخص القائد العام بشكل رئيس [7] .

كان منصب وزير الحرب قد جعل بالمرستون مكلفا بالأشراف والسيطرة على الحسابات والنفقات العسكرية ، ولم تكن هذه بالمسؤولية الصغيرة ، فقد كانت خطاباته في مجلس العموم ، بصفته وزيرا للحرب ، تشير إلى تأكيد قوة بريطانية وإمكانياتها العسكرية [1] .

كان معظم نشاط بالمرستون في الوزارة ذات طابع مالي ويتعلق بالجوانب المالية والنفقات وتقديم التقارير والإحصائيات بشكل منتظم إلى مجلس العموم في حين تولى النظام والقيادة في هذه الوزارة القائد العام للقوات المسلحة ، أما السياسة العسكرية فتركزت بيد وزير المستعمرات ، ومع إن التقسيم في الأدوار كان واضحا والخط الفاصل بين وظيفة وزير الحرب والقائد العام يعد خطا واضحا ولا يمكن تجاوزه ، إلا أن بالمرستون عانى من التداخل بين دوره ودور وزير المستعمرات والقائد العام[2] .

ظل بالمرستون يمارس مهامه وزيرا للحرب في ظل ظروف صعبة ومعقدة اذ كانت الحرب مستمرة مع نابليون في شبه جزيرة ايبريا [3] ، وكانت تلك في الواقع فرصة عظيمة له اظهر خلالها تميز ونجاح شخصيته الوظيفية وقدراته الفائقة على العمل وكان بالمرستون مسؤولا ، بالإضافة إلى الأمور المالية ، عن الإشراف المباشر على العديد من الدوائر العسكرية التابعة لوزارة الحرب ومراقبة عملها[4] .

حاول بالمرستون القيام بإصلاحات تقوّم عمل وزارة الحرب وتعالج الخلل في مؤسساتها ، وبين أن وزارة الحرب قد تحملت نفقات منتسبين لم يكونوا يعملون بشكل كافٍ ويدفع لهم أكثر من اللازم على مر السنين ، ووضع بالمرستون توصيات لإصلاح النظام والاستفادة من الموظفين المدربين ، بالإضافة إلى خطط مختلفة وضعت لتركيز عملية إدارة الحسابات الخاصة بالجيش ، إلا أن ذلك لم يرضِ بعض الأطراف الذين قاوموا مثل تلك الإصلاحات ولاسيما القائد العام[5] .

---

[7] Ibid,p.12.
[1] Joy,James Richard,Ten Englishmen of the Nineteenth Century,Ebook 2002,p.51.
[2] Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,pp.26-27.
[3] M'gichrist,John,Op.Cit,p.36.
[4] Bell,Herbert C.F.Op.Cit,Vol.1,p.27.
[5] Ziegler,Paul R.,Op.Cit,p.13.

كان بالمرستون متحمسا لتحقيق إصلاحات عندما جاء الى وزارة الحرب ولذلك دخل في خلاف مع رئيس فرقة الخيالة الملكية السير ديفيد دنداس Sir David Dandas ، وهو محارب في الرابعة والسبعين من عمره ، وقاوم دنداس إصلاحات بالمرستون لتقليص الإنفاق وتنظيم الهيكل الإداري للوزارة [1] .

أصر بالمرستون على الاستمرار بالإصلاح بشكل دقيق يضمن إعادة التنظيم لهذه المؤسسة ، فبدأ بوضع الضوابط وإصدار التعليمات فقرر أن تكون ساعات الدوام الرسمي ست ساعات بدل من خمس ساعات ، تقدم خلالها التقارير حول مواعيد بدء الدوام وانتهائه وضوابط الحصول على إذن بالخروج او التمتع بالإجازات الى جانب الضوابط الخاصة بالزيارات وضرورة إغلاق الأبواب بين المكاتب أثناء ساعات الدوام الرسمي منعاً للزيارات وهدر الوقت [2] .

أكد بالمرستون على ضرورة الالتزام بتنفيذ التعليمات الخاصة بالحفاظ على الوثائق وتدقيق أعمال التسجيل والاستنساخ والطبع والأرشيف وغير ذلك ، وكان بالمرستون حريصا جدا على امن الوثائق والحفاظ على سلامتها من الضياع [3] . ويتضح لنا مما سبق مدى جدية ونشاط بالمرستون وحرصه الكبير على القيام بواجبه بالشكل الأمثل ، كما انه يتمتع بشخصية إدارية قوية وكفوءة نالت إعجاب معاصريه بدليل انه تلقى عدة عروض لمناصب أكثر أهمية من وزارة الحرب خلال السنوات اللاحقة .

قام بالمرستون وللمرة الأولى بتعديل ميزانية الجيش ، وألقى خطابا بهذا الخصوص في مجلس العموم في شباط 1810، الذي نال إعجاب عدة أشخاص من المحافظين ومن أبرزهم حينذاك وليم هسكسون William Huskission [4] (1770–1830) وأعضاء بارزين آخرين ، وتمحور كلام بالمرستون في مجلس العموم حول المواضيع

---

(1) Ziegler,Paul R.,Op.Cit,p.13.

(2) Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,p.33.

(3) Ibid,p.33.

(4) سياسي بريطاني محافظ ... درس في مدرسة ... الثانوية ، عاش في فرنسا منذ عام 1792 وشهد هسكسون سقوط سجن الباستيل ، وبعد عودته الى انكلترا اصبح وكيل وزارة الحرب للمدة 1795-1801 ودخل مجلس العموم عام 1796 أصبح وزيرا للخزانة للمدة 1804-1806 ومرة أخرى 1807-1809 أصبح رئيس التجارة في المدة 1823-1827 ... وزيرا للمستعمرات في المدة (1827-1828) توفي في أيلول 1830 ... مانشستر ، للمزيد من التفاصيل ينظر:

The New Encyclopedia Britannica,Vol.6,p.171.

المتعلقة والمرتبطة بواجبات منصبه كميزانية الجيش والإجابة على الأسئلة المتعلقة بالجيش والرد على الانتقادات المتعلقة بأدارته لوزارة الحرب[5] .

استمر النزاع بين بالمرستون وفرقة الخيالة الملكية بالرغم من استقالة دنداس في آيار 1811حيث واجه بالمرستون هذه المرة دوق يورك (القائد العام) الأمير فردريك Prince Frederick (1763–1827) ثاني أبناء الملك جورج الثالث ، الذي اعترض على قيام بالمرستون بعرض الموازنة العسكرية على مجلس العموم[1] .

تحدث بالمرستون عام1811 في مجلس العموم عن إمكانيات بلاده العسكرية وتنظيم جيشها ، وكان يتحدث بفخر عن إصلاحاته وإدارته لوزارة الحرب ، إذ قال : " **إن قواتنا العسكرية في هذه اللحظة مناسبة جدا من الناحية النظامية والعددية ونجد هذا ليس فقط بالجيش النظامي ولكن كذلك بفرق المرتزقة والمتطوعين وأصناف الجيش الأخرى ، نحن نمتلك ستمائة ألف رجل في الجيش ومئتين الف رجل في البحرية ، ان الطاقات الرجولية للدولة واضحة جدا ولم تكن الدولة في أي حقبة من تاريخها واثقة جدا من قدرتها وفخورة بانتصاراتها كما هو الحال في الوقت الحاضر ، نحن لانزال قادرين على الاستمرار في الحرب بقواتنا العسكرية المتزايدة وسكان البلد الموحدين لتشكيل قوة عسكرية حصينة على الرغم من النزاع الذي استمر خمسَ عشرةَ سنة ضد عدونا القوي [فرنسا]**[2] .

وفي تلك الأثناء فاز بالمرستون في الانتخابات التي جرت عام 1811 عن مقعد جامعة كامبرج ، والذي فشل في الفوز به عندما رشح لأول مرة [3] ، واستمر بالمرستون من خلال موقعه في وزارة الحرب بالدفاع عن سياسة الحكومة ضد انتقاد المعارضة وذلك حول قضية تجنيد الأجانب في الجيش البريطاني[4] ، حيث كان بالمرستون مؤيدا لتجنيد الأجانب والمرتزقة من أوربا في الجيش البريطاني ، وعندما أثير هذا الموضوع في مجلس العموم في العاشر من آذار 1812 دافع بالمرستون عن موقفه وأكد ان عددهم لايتجاوز الستة عشر ألف مقاتل ومعظمهم أرسلوا إلى خارج البلاد[5] .

---

(5) M'gichrist,John,Op.Cit,p.36.
(1) Ziegler,Paul R.,Op.Cit,p.13.
(2) Quoted in : Bulwer,Henry Lytton,Op.Cit,Vol.1,p.122.
(3) Viscount Palmerston(1723-1865)-Wikipedia,The free Encyclqopedia .
(4) M'gichrist,John,Op.Cit,p.40.
(5) Ibid,p.40.

اغتيل رئيس الوزراء بيرسفال في الحادي عشر من آيار 1812 ، وكلف الملك روبرت بانكس جنكسون Robert Banks Jenkinson[1] (1770–1828/ 1812–1827) الذي كان معروفا باللورد ليفربول Lord Liverpool لتشكيل الحكومة الجديدة [2] . وعرض على بالمرستون منصب وزير شؤون ايرلندا ، وباعتراف بالمرستون كان هذا المنصب مهماً جداً وأكثر تأثيرا من وزارة الحرب ويمكن أن يقود الى المزيد من الشهرة ، ومع ذلك رفض بالمرستون هذا المنصب حينما عرض عليه ، وفضل البقاء في منصبه وزيرا للحرب[3] . وبعد انتهاء الصراع القاري بين فرنسا وأوربا أثناء انعقاد مؤتمر فينا Congress of Vienna[4] 1814 ، تحسن عمل وزارة الحرب إلى درجة كبيرة حيث وجه بالمرستون جمع جهود موظفيه للقيام بأعمال تهدف إلى تصحيح الأخطاء ، وقد كان لعملهم الأثر الكبير في إنقاذ أكثر من مئة ألف جنيه استرليني ، وهو ما يعادل نفقات مكتب وزير الحرب لسنتين كاملتين[5] .

كان على بالمرستون خلال تلك المرحلة التصدي لمطالب حزب الأحرار لتخفيض عدد القوات[6] ، ورد بالمرستون على ذلك في مجلس العموم قائلا : " **ان تسوية فينا عام 1815 جعلت من المستحيل على بريطانيا ان تترك مسؤولياتها الجديدة حول العالم** "[7]،ادرك بالمرستون انه على بريطانيا ومستعمراتها ان تكون مسلحة دوما ضد أي هجوم وعدوان ، واعتقد بالمرستون بان الضعف لا يمكن ان يوفر الأمن ، ورغم ذلك

(1) ولد الايرل الثاني ليفربـ ـول فـ ـي لنـ ـدن فـ ـي حزيران 1770 ، درس فـ ـي كنيسـ ـة المسيح ، جامعة اكسفورد ودخل مجلس العموم عام 1790، أصبح لورد هوكسبري عام 1803 ولورد ليفربول عـ ـام 1808، شغل منصب وزير الخارجية (1801- 1804) وزيراً للداخلية (1807-1809) ووزيراً للمستعمرات (1809-1812) ثم اصبح رئيساً للحكومة 1812 ، وهي مدة طويلة لم يتجاوزها الا بت ووالبول ، للمزيد من التفاصيل ينظر :

The New Encyclopedia Britannica,Vol.7,p.411.

(2) Marquis of Lorne,Op.Cit,p.32.

(3) Bulwer,Henry Lytton,Op.Cit,Vol.1,p.371.

(4) مؤتمر دولي عقد في المدة (تشرين الاول 1814 - حزيران 1815) وجاء هذا المؤتمر ليقرر تسوية المشاكل في أوربا التي نتجت من حروب نابليون ، وإعادة رسم خارطة أوربا بشكل يتناسب مع مصالح الدول الكبرى في المؤتمر ، واتخذت هذه الدول الكبرى معظم القرارات وهي بريطانيا وروسيا والنمسـ ـا وبروسـ ـيا ، إلا أن رئـ ـيس وزراء فرنسـ ـا تاليران نجـ ـح في استغلال التناقضات بين الدول الأربع ، وقد صدر القرار الأخير يوم 9 حزيران والذي عرف بمعاهدة فينا ، للمزيد من التفاصيل ينظر : زيدان حسان حاوي الشويلي ، مؤتمر فينـ ـا 1814-1815، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى كلية التربية، جامعة بغداد، 2004.

(5) Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,p.34.

(6) Sanders,Lloyd,C.,Op.Cit,p.11.

(7) Quoted in : ZieglerPaul R.,Op.Cit,p.14.

تعرض بالمرستون للانتقاد من لدن كبار المسؤولين في رئاسة الأركان العامة التابعين للقائد العام للقوات المسلحة [1] .

اتخذ بالمرستون من الاضطرابات الداخلية التي حدثت في بريطانيا ذريعة للتخلص من انتقاد المعارضة لوزارته ، مبررا إن ذلك يتطلب استعدادا عسكريا في الداخل ، وبإتباع هذا الخط ربط بالمرستون نفسه مع سياسية حكومة المحافظين ، التي كانت تفضل استخدام القوة ضد المتظاهرين والمحتجين على سياسة الحكومة[2] . وعندما استمرت الاضطرابات الداخلية في بريطانيا عام 1816 ، رد بالمرستون بقوة على الأحداث الصاخبة ، كوزير للحرب دافع بالمرستون عن النظام والأوامر العسكرية على حساب بعض الحريات ، وعندما اطلقت القوات العسكرية النار على مجموعة من الناس الذين تجمعوا عند شارع سانت بيتر فيلد St.Peter's Field في مانشستر Manchister عام 1819، دافع بالمرستون عن عمل الجند دون تردد[3] .

توفي ملك بريطانيا جورج الثالث في التاسع والعشرين من كانون الثاني 1820 ، وكسب المحافظون فوزا في الانتخابات البرلمانية ضد حزب الأحرار في شباط 1820 ، وحافظ بالمرستون على مقعده عن جامعة كامبرج ، واعتلى عرش بريطانيا الملك جورج الرابع George 4th [4] (1830–1820/1830–1762)[5] .

عُرِضَت على بالمرستون وظيفة مدير البريد العام عام 1821 ولكنه رفض ذلك وكيف نفسه لوزارة الحرب ، كما عرض عليه أيضا منصب الحاكم العام للهند وعروض كهذه كانت فرصة لتقدمه الوظيفي ، لكنه فضل البقاء في لندن وربما يعود ذلك إلى علاقاته الاجتماعية الواسعة في لندن وارتباطه بعقاراته في برودلاندز وحضوره حفلات العشاء والرقص والمسرح خلال المساء ، وكان بالمرستون يتردد إلى نادي ألماك

---

(1) Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,pp.41-42.

(2) قام وزير الداخلية سدماوث بالعمل على قمع الحركات الحرة وخاصة بعد حروب نابليون ،فعطل ... سنة 1817 قانون الحرية الشخصية ... في خول ... 1819 ... الذين توجه اليهم تهم الحض على كراهية الحكومة ،للمزيد ينظر: Ziegler,Paul R.,Op.Cit,p.14.

(3) Ibid,p.14.

(4) جورج اغسطس فردريك George Augustus Fredrick ... في 12 آب 1762 ... الملك جورج الثالث ، ... وصيا على العرش للفترة (1811-1820) ... عام 1820 زوج من الاميرة كارولين وانجبت له ابنتها الوحيدة الاميرة شارلوت (1796-1817) ، اتجه منذ بداية عهده الى اتباع سياسة لأية اصلاحات ولم تكن له شعبية جيدة في البلاد ، للمزيد من التفاصيل ينظر : The New Encyclopedia Britannica,Vol.5,P.196.

(5) Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,p.12.

Almack[1] الاجتماعي في لندن ، وفي هذا النادي توثقت علاقة بالمرستون مع السيدة كاوبير Lady Cowper[2] (1787–1869) ، واستمرت علاقة بالمرستون مع السيدة كاوبير لاسيما وانه كان صديق عائلتها منذ الطفولة ، وكان بالمرستون شابا وسيما ولامعا ومن عائلة بريطانية عريقة واستطاع ان يبني علاقات اجتماعية وطيدة مع الطبقة الارستقراطية والتي كان معظم افرادها يرتادون نادي الماك [3] .

3- ظهور جناح كاننغ من حزب المحافظين وتأثيره في بالمرستون :

حدثت تغيرات مهمة في سياسة المحافظين عام 1822، وأثرت بالتأكيد في مستقبل بالمرستون السياسي ، ففي 21 آب 1822 انتحر وزير الخارجية البريطاني كاستلري ، وخلفه في وزارة الخارجية جورج كاننغ ، وأدى مجيء كاننغ إلى حدوث انقسامات في حكومة المحافظين ، لاسيما في مجال السياسة الخارجية إذ سار كاننغ على نهج سلفه كاستلري في التعامل مع الدول الأوربية الكبرى (روسيا وبروسيا وفرنسا والنمسا) ففي السابق رفض كاستلري التدخل بالقوة من لدن دولة ما في الشؤون الداخلية لدولة أخرى إلا في حالة طلب تلك الدولة لمثل هذا التدخل ، وذلك أثناء محاولة تلك الدول التدخل في قمع الثورة الدستورية في اسبانيا عام 1821، أما كاننغ فذهب إلى ابعد من ذلك عندما رفض مبدأ التدخل بشكل كلي[4] .

---

(1) هو نادي اجتماعي أسسه شخص اسمه وليام الماك William Almack في 20 / 12 / 1765 وافتتح هذا النادي بشارع الملك جيمس ويمثل أول النوادي التي تسمح لكلا الجنسين الرجال والنساء على حد سواء بالدخول اليه وتميز بوجود حانات لشرب الخمر والرقص وغيرها ، واقتصر الدخول اليه على افراد الطبقة الارستقراطية ، فضلا عن بعض السفراء الاجانب وزوجاتهم ، ومن ابرز عشيقات اللورد بالمرستون في هذا النادي هي الليدي كاوبير وكذلك الليدي جيرسي والاميرة ليفين زوجة السفير الروسي في لندن ، للمزيد من التفاصيل ينظر:
Mabell,Countess of Airlie,Op.Cit,Vol.1,pp.102-103.

(2) ايميلي ماري لامب Emily Mary Lamb ، شقيقة رئيس الوزراء البريطاني وليام لامب ملبورن تزوجت ايميلي زواجها الأول في 20 تموز 1805 من بيتر ليوبولد لويس فرانسيس ناساو الايرل الخامس كاوبير Peter Leopold Louis Francis Nassau, 5th Cowper ، واصبحت ايميلي بعد ذلك تسمى بالليدي كاوبير، انجبت الليدي كاوبير خمسة أطفال من زوجها الأول ، ولد ابنها الأول جورج غسطس فردريك كاوبير الايرل السادس كاوبير George Augustus Frederick Cowper 6th earl Cowper في 26 حزيران 1806 وفي عام 1810 انجبت الليدي كاوبير طفلة اسمتها ايميلي كارولين كاثرين فرانسيس كاوبير Emily Carolin Catherine Francis Cowper، كما انجبت الليدي كاوبير مولودها الثالث في 13 كانون الأول 1811 واسمته وليم فرانسيس كاوبير William Francis Cowper اما طفلها الرابع الذي سمي شارل سبنسر كاوبير Charles Spencer Cowper فولد من السابع من تموز 1816، وولدت ابنتها الصغيرة المسماة فرانسيس اليزابيت كاوبير Francis Elizabeth Cowper عام 1819،وبعد وفاة زوجها عام 1837 تزوجت اللورد بالمرستون عام 1839 للمزيد من التفاصيل ينظر :
Ibid,p.30.

(3) Ziegler,Paul R.,Op.Cit,pp.15-16.

(4) Ibid,pp.16-17.

أعاد كاننغ صياغة السياسة الخارجية البريطانية بشكل مثير في مؤتمر فيرونا Congress of Verona 1822[1] وانتقد كاننغ سياسة فرنسا لقمع الحركة الدستورية في اسبانيا وحذر بان أفعال مستقبلية من القمع سوف لن يسمح بها[2] . وفي 30 نيسان 1823 وقف بالمرستون في مجلس العموم مرددا كلام كاننغ حول التدخل الفرنسي في اسبانيا ، وقال في هذا الصدد : " **إننا عن طريق أسطولنا القوي ، بإمكاننا إعاقة فرنسا وذلك من خلال مهاجمة تجارتها والاستيلاء والسيطرة على مستعمراتها**"[3].

دافع كاننغ أيضا بصفته وزيرا للخارجية عن حركات الاستقلال في مستعمرات اسبانيا في أمريكا اللاتينية ضد تدخل القوى الأوربية . أثرت سياسة كاننغ الخارجية على الوضع غير المستقر لوزارة ليفربول ، وأدى ذلك إلى انقسام المحافظين على أنفسهم وعدّ آرثر ويلسلي Arthur Welesley[4] (1769–1852) الملقب بالدوق ولنكتون Duke of Willington دفاع كاننغ عن استقلال جمهوريات أمريكا الجنوبية الجديدة هو إثارة للحركات الثورية في أوربا بينما عد كاننغ ما يقوم به لمصلحة بريطانيا لان في ذلك فرصة لتحويل المستعمرات الاسبانية إلى مناطق استثمار للتجارة البريطانية ، واخذ الانقسام شكلا أعمق عندما جادل بعض المحافظين مثل ولنكتون وروبرت بيل بانه اذا تمكن سيمون بوليفار Semon Polevar[5] (1783–1830) من أن يحصل على

---

(1) اجتماع في ... نظام المؤتمرات الأوربية ، التي بدأت منذ ... وتمثل في دول الكبرى للحفاظ على مصالحها وقمع الحركات الثورية والدستورية في أوربا ، عقد هذا المؤتمر في 20 تشرين الأول 1822 في مدينة فيرونا الايطالية وحضره كل من قيصر روسيا والإمبراطور النمساوي والأمير هاردينبرغ عن بروسيا ووزير الخارجية الفرنسي مونتمورنسي وعن بريطانيا الدوق ولنكتون ، واتخذ المؤتمر قرارا بتدخل فرنسا عسكريا في اسبانيا لإخماد الثورة الدستورية هناك ، وعلى ضوء تعليمات كاننغ احتج ولنكتون على ذلك وانسحب من المؤتمر قبل أن ينهي جلساته في كانون الأول 1823 ، وعندما دخل الجيش الفرنسي الى اسبانيا أعلن كاننغ في مجلس العموم ان بريطانيا تتعاطف مع الثورة الدستورية في اسبانيا ، وبانسحاب بريطانيا تمزق نظام المؤتمرات ، للمزيد من التفاصيل ينظر : الن بالمر، المصدر السابق ، ج2 ، ص367 .

(2) Marx,Karl,Op.Cit,p.7.

(3) Francis,George Henry,Opinions and policy of the Right Honourable Viscount Palmerston,London,1852,p.27.

(4) آرثر ويلسلي Arthur Wellesley ... 1812 ... في تشرين الأول 1812 دوق ولنكتون عام 1814 سياسي بريطاني درس في كلية ايتون ، ودخل الجيش منذ عام 1785 أصبح عضوا في مجلس العموم الايرلندي (1790-1797) ودخل مجلس العموم البريطاني عام 1806، وأصبح وزيرا لشؤون ايرلندا (1807-1809) ... 1808 ... البريطانية في البرتغال ... نابليون ... مؤتمر فينا 1815 ... المؤتمرات المتتابعة ، أصبح رئيسا للوزراء (1828-1830) ... قانون تحرير ... الكاثوليك ... للمزيد من التفاصيل ينظر : الن بالمر ، المصدر السابق ج2 ، ص386 .

(5) ولد في مدينة كاركاس في فنزويلا في 24 تموز 1783 وهو سليل من الطبقة العليا ، عسكري دبلوماسي فنزولي ... خوسيه سان مارتن لقيادة حركة الاستقلال في أمريكا ضد الجند الإمبراطورية الاسبانية ، وتمكن بمساعدة المتطوعين البريطانيين من إعلان استقلال كولومبيا وفنزويلا في كانون الأول 1819 ... الثاني=

استقلال بلاده في أمريكا الجنوبية ، يمكن أن يطالب دانييل اوكونيل Daniel O'connell (1775–1847)[1] بالتمثيل الكاثوليكي في البرلمان والذي يقود في النهاية الى الحكم الذاتي الايرلندي [2] .

أثارت سياسة كاننغ إعجاب بالمرستون ، وقد شبهها بالمرستون بالمباديء التي درسها على يد دوغالد ستيوارت ، وانتقد تعامل المحافظين المتشددين مع تلك السياسة ، وأدى ذلك الى ان يميل بالمرستون تدريجيا نحو الاصطفاف مع كاننغ ، ونتج عن ذلك بداية تأسيس سياسة خارجية بريطانية مبنية على مبادئ كاننغ ، وهو ما بدأ به كاننغ وأكمله بالمرستون فيما بعد [3] .

بدأ جناح كاننغ من حزب المحافظين بالظهور وبدأ بالمرستون بالاصطفاف معه ، ومن ابرز القضايا التي فصلت جناح كاننغ عن المحافظين المتشددين هي الإصلاح البرلماني ودعم الأنظمة الدستورية والتحررية في الخارج وحرية التجارة فضلا عن تحرير الكاثوليك الايرلنديين [4] . كان بالمرستون متعاطفا مع الايرلنديين الذين يعملون في أرضه في سليغو ، وسعى لإجراء إصلاحات بضمنها تأسيس المدارس لأطفال الفلاحين ، كما انه حاول أن يصلح الأرض في سليغو لتحسين الأوضاع الإنتاجية الزراعية وكذلك تطوير ميناء صيد السمك ، وفي تلك الأثناء شعر بالمرستون أن بإمكانه التعبير عن رأيه بحرية ، وبخصوص المسألة الكاثوليكية فقد تكلم بالمرستون قائلا : " **من الغرور الاعتقاد بان أي ضغط إنساني يستطيع إيقاف الينبوع المتدفق من الأرض** " ، وأضاف أن الدولة تحتاج إلى خدمات الكاثوليك ، وان القمع سيقودهم إلى العمل سرا [5] .

ازداد نفور بالمرستون من المحافظين عام 1826، حيث قام اثنان من زملائه في الحزب بمنافسته للترشيح لمقعد جامعة كامبرج وهم جون كوبلي John Copley

---

رئـ ـيس لفنـ ـزويلا (1813-1814) أصـ ـبح رئيس ـلكولومبيـ ـا (1819-1830) ... ـرو وبوليفيـ ـا علـ ـى نيـ ـل استقلالها للمزيد من التفاصيل ينظر : The New Encyclopedia Britannica,Vol.2,p.339.

(1) ولد في مقاطعة كيري Kerry في ايرلندا من عائلة كاثوليكية ، سياسي ورجل دولة ايرلندي درس القـ ـانون ، فـ ـي فرنسا وتأثر هناك بالراديكاليين عاد إلى ايرلنـ ـدا وعمـ ـل فـ ـي مهنـ ـة المحامـ ـاة عـ ـام 1783 وفي عـ ـام 1801 ... ـن حملـ ـة ... ـانون اتحـ ـاد ايرلنـ ـدا مـ ـع بريطانيـ ـا العظمـ ـى ، أسـ ـس عـ ـام 1823 الجمعيـ ـة الكاثوليكيـ ـة Catholic Association وفي عام 1828 انتخب عضوا في مجلس العموم البريطاني عن مقاطعة كلير Clare عرف اوكونيل ... ـع عشـ ـر ولقـ ـب ... ـرن التاسـ ـن القـ ـف الاول مـ ـعب الايرلني ... ـوق الشـ ـة بحقـ ـث للمطالبـ ـاله الحثيـ ـبنضـ بالمحرر ، للمزيد من التفاصيل ينظر : The New Encyclopedia Britannica,Vol.8,p.868.

(2) Ziegler,Paul R.,Op.Cit,p.17.

(3) Brown,David,Op.Cit,p.7.

(4) Ziegler,Paul R.,Op.Cit,p.18.

(5) Quoted in : Ibid,p.18.

(1863-1772) وهنري جيلبورن Henry Goulborn (1784-1865) وهما من المحافظين المتشددين ومن أنصار اللورد الدون Lord Eldon [1] (1751-1838) وكانوا جميعا مناهضين لمبادئ جناح كاننغ من حزب المحافظين وفي النهاية حقق بالمرستون انتصاره وفاز بمقعد الجامعة ، وكتب فيما بعد حول هذا الموضوع : " **لقد كانت هذه تمثل الخطوة الأولى تجاه قطع العلاقة بيني وبين أعضاء حزب المحافظين وإنهم البادئون بالاعتداء** " [2] .

حصل بالمرستون على 631 صوتا في الانتخابات البرلمانية لعام 1826 وكان ذلك كافيا ليربح مقعده عن جامعة كامبرج ، واتسع الخلاف بين أنصار كاننغ وهم كل من وليام هسكسون وبالمرستون وشارل غرانت Charles Grant [3] (1778-1866) واللورد دادلي Lord Dodly [4] (1762-1847) ، وبين المحافظين المتشددين مثل اللورد الدون واللورد باثرست Lord Bathurst [5] (1762-1834) وولنكتون وروبرت بيل حول القضايا التي أيدها أنصار كاننغ وبنهاية عام 1826 كان من الواضح بان هنالك انقساماً واضحاً قد نشأ في صفوف حزب المحافظين ، وازداد الانقسام عندما طالب هسكسون بتقديم مقترح لتعديل قانون الحبوب Corn Law الذي كان يخدم

(1) جـ . ـون سكـ . ـكوت الاير . ـرل الاول الـ . ـدون John Scott, 1st Earl of Eldon محـ . ـامي بريط . ـاني ولـ . ـد فـ . ـي نيوكاسل في 4 كانون الثاني 1751 درس في مدرسة نيوكاسل الملكية وثم جامعـ . ـة اكسـ . ـفورد 1766 أصـ . ـبح عضـ . ـوا في مجلس العموم البريطاني عام 1782 وبعدها أصبح النائب العام المساعد وشغل منصب النائب العام عام 1793 ثم منصب وزير المالية عام 1801 وبقي في منصبه حتى عام 1807 . بعد 1807 بضـ . ـعة شـ . ـهور عـ . ـام 1827 . بط اسـ . ـمه بسياسة القمع التي تبناها في المدة (1815-1819) ويعد من المحافظين المتشددين ، للمزيد من التفصيل ينظر : الن بالمر، المصدر السابق ،ج1 ، ص271 .

(2) Quoted in : Sanders,Lloyd C.,Op.Cit.pp.20-21.

(3) شارل غرانت البارون الأول لغلانلغ Charles Grant1st Baron Glenelg سياسي اسكتلندي من المحافظين ثم انضم الى أنصار كاننغ ، ولد في البنغال في الهند لأب كان رئـ . ـيس مـ . ـدراء شـ . ـركة الهند الشرقية البريطانية ، ودرس في جامعة كامبرج ودخل مجلس العموم عام 1811 عمل وزيرا لشؤون ايرلنـ . ـدة (1818-1821) ورئيسـ . ـا لمجلـ . ـس التجـ . ـارة (1823-1828) وأصـ . ـبح وزيـ . ـرا للمسـ . ـتعمرات (1835-1839) حصل علـ . ـى لقـ . ـب البـ . ـارون (1835-1866) للمزيد ينظر : Charles Grant-Wikipedia,The free Encyclopedia.

(4) دادلـ . ـي رايـ . ـدر الايرل الاول لهـ . ـاروبي Dudley Ryder 1st Earl of Harrowby سياسـ . ـي ورجـ . ـل دولـ . ـة بريطاني من المحافظين درس في هارو وكلية سانت جـ . ـونز فـ . ـي جامعـ . ـة كـ . ـامبرج ودخـ . ـل البرلمـ . ـان عـ . ـام 1784 واصـ . ـبح وزيـ . ـرا للخارجيـ . ـة فـ . ـي حكومـ . ـة ولـ . ـيم بـ . ـت فـ . ـي المـ . ـدة (1804-1805) ثم أصـ . ـبح وزيـ . ـرا لـ . ـلدولة فـ . ـي وزارة ليفربول (1812-1827) أصبح البارون هـ . ـاروبي (1803-1847) وحصل علـ . ـى لقـ . ـب الايـ . ـرل الأول هـ . ـاروبي (1809-1847) ، للمزيد من التفاصيل ينظر:

Dudley Ryder 1st Earl of Harrowby-Wikipedia,The free Encyclopedia .

(5) هنري باثرست ، الايـ . ـرل الثالـ . ـث باثرسـ . ـت Henry Bathurst , 3rd Earl of Bathurst سياسـ . ـي بريطـ . ـاني مـ . ـن المحافظين أصـ . ـبح عضـ . ـو مجلـ . ـس العمـ . ـوم منـ . ـذ عـ . ـام 1783 شغل منصـ . ـب وزيـ . ـر الحربيـ . ـة (1783-1789) ووزير الخزانة (1789-1791) وأصبح رئيسـ . ـا لمجلـ . ـس التجـ . ـارة (1807-1812) ثم أصبح وزيـ . ـرا للخارجيـ . ـة بضـ . ـعة اشـ . ـهر مـ . ـن عـ . ـام 1809 ووزير الدولـ . ـة لشـ . ـؤون المسـ . ـتعمرات (1812-1829) ووزير دولـ . ـة فـ . ـي مجلـ . ـس الـ . ـوزراء وحصل على لقب ايرل(1794-1834) للمزيد ينظر :

The New Encyclopedia Britannica,Vol.1,p.985.

مصلحة أصحاب الأراضي ، فاصطف عدد من الأحرار مثل اللورد غراي إلى جانب أنصار كاننغ حول هذا الموضوع ، وبذلك ازداد انقسام المحافظين ودعم بالمرستون سياسة هسكسون في حرية التجارة [1] .

توفي رئيس الوزراء ليفربول في 17 شباط 1827 ، وكان قد حافظ مدةً طويلةً على تماسك الوزارة ، وان رحيله جعل كاننغ وريثه المحتمل في المنصب ، وفعلا أصبح كاننغ رئيسا للحكومة ، ودخل معه أنصاره وبقي بالمرستون محافظا على موقعه في وزارة الحرب ، رغم العروض التي قدمت إليه ، ففي الرابع عشر من نيسان 1827 عرض كاننغ على بالمرستون منصب وزير الخزانة مع مقعد في الحكومة ، لكن كاننغ اضطر لسحب عرضه لبالمرستون في الاول من حزيران نتيجة معارضة جورج الرابع [2] . الذي يبدو انه كان على خلاف شخصي مع بالمرستون بسبب سياسة بالمرستون في ادارة وزارة الحرب .

تمكن بالمرستون من تفادي محاولتين للتخلص منه عن طريق تعيينه حاكما على إحدى المستعمرات ، وكان وراء تلك المحاولات جورج الرابع ، بسبب ما يكنه له من عداء ، وذلك عندما عرض عليه منصب الحاكم لجمايكا والحاكم العام للهند فضحك بالمرستون طويلا بوجه كاننغ وأجابه بأنه لايمتلك عائلة يمكن أن يعمل من اجلها كما إن صحته لاتقاوم المناخ هناك ، واخبر بالمرستون كاننغ بأنه ، اقتنع تماما بالبقاء في وزارة الحرب [3] .

حدث تعاون بين أنصار كاننغ وحزب الأحرار وذلك بسبب رفض المحافظين المتشددين المشاركة في الحكومة ، وكان من الطبيعي ان يبرز دور بالمرستون بعد تولي كاننغ رئاسة الحكومة [4] . وبدأ بالمرستون يبرز كسياسي بالرغم من انه لم يأخذ موقعا مهما ورئيساً في تلك المرحلة وهناك إشارة إلى نفوذه المتزايد كانت واضحة في تعيين أخيه وليام تمبل كسكرتير أول في السفارة الروسية ، وبعد ذلك كقائم بالأعمال في العاصمة الروسية سانت بطرسبرغ St. Petrospergh [5] . طرأت بعض التغيرات بعد

---

[1] Ziegler,Paul R.,Op.Cit,p.19.
[2] Ibid,p.20.
[3] Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,P.23.
[4] Ibid,p.20.
[5] Ziegler,Paul R.,Op.Cit,p.21.

تولي كاننغ رئاسة الوزراء (نيسان / آب 1827) أثرت على علاقات الأحزاب السياسية مع بعضها ، فتصاعدت مطالبة الأحرار بالإصلاحات البرلمانية وتحرير الكاثوليك وبدأت شعبية المحافظين بالتراجع ، وبرز حزب الأحرار على الساحة السياسية وبدأ كاننغ يميل إلى التعاون مع أعضاء حزب الأحرار ، وذلك يمكن توضيحه في رسالة بالمرستون إلى شقيقه وليم في الرابع من ايار 1827 : " **عزيزي وليم انضم حزب الأحرار إلى جماعتنا بحماس وسيتولى البعض منهم مناصبهم في الحال أنا الآن في الوزارة و مستمر وزيرا للحرب حتى انتهاء انعقاد دورة المجلس ، بالإضافة الى واجباتي التي اقوم بها كقائد أعلى للقوات المسلحة حيث ان في غياب القائد العام للقوات المسلحة [توفي دوق يورك القائد العام عام 1827] تنتقل مسؤولية الجيش إلى يد وزير الحرب انك سوف ترى من خلال النقاشات بان حزب الأحرار قد انضم إلينا جديا وان وجود كاننغ رئيسا للوزراء يدعم مطالبهم ، ولأنهم يتفقون معه بخصوص جميع القضايا الأخرى المتعلقة بالسياسة الخارجية والداخلية ، وفيما لو لم يقوموا بدعمه فانه سوف لايستطيع بسبب انشقاق حزبه [المحافظين] الحفاظ على منصبه** " [1] .

توفي كاننغ في آب 1827، وترك موته فراغا في حياة الحكومة وكانت البدائل قليلة أمام الملك جورج الرابع فلم يرغب بتولي الأحرار رئاسة الحكومة وأدرك بان اختيار ولنكتون او بيل لهذا المنصب يعني عودة المحافظين المتشددين ، فبحث عن شخصية معتدلة وكلف اللورد فردريك روبنسون غودريش Lord Frederick Robinson [2] Goderich (1782-1859/1827-1828) بالمهمة[3] .

واجه غودريش مهمة صعبة لا يحسد عليها ، نتيجة للوضع المتأزم بين المحافظين والأحرار ، وفي النهاية بقي هسكسون ودادلي وغرانت وبالمرستون أعضاء في حكومة غودريش الائتلافية ، وأصبح هسكسون زعيما لأنصار كاننغ في مجلس العموم وفي تلك

---

(1) **Quoted in : Marquis of Lorne,Op.Cit,pp.44.45.**

(2) سياسي بريطاني درس في هارو وكلية سانت جون في جامعة كامبرج ، ودخل مجلس العموم ... عام 1806 ... رئيس مجلس التجارة (1818-1823) ووزير المالية (1823-1827) ، أصبح الفسكونت الأول في نيسان 1827 كما حصل على لقب ايرل عام 1833 وبعد وفاة كاننغ كلفه الملك برئاسة الحكومة في اب 1827 ، وكان شخصية ضعيفة وفشل في السيطرة على مجلس الوزراء الذي تشكل من وزراء ذوي شخصيات قوية مثل هسكسون وبالمرستون وولنغتون وبيل ، استقال في كانون الثاني 1828 ، عمل بعد ذلك في حكومة غراي (1830-1834) ... منصبه السابق في مجلس التجارة عام 1841 ... للمزيد من التفاصيل ينظر : The New Encyclopedia Britannica,Vol.10,p.86.

(3) **Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,p.23.**

الظروف استقال غودريش في الحادي والعشرين من كانون الثاني 1828، واضطر الملك لتكليف ولنكتون بالمهمة فشكل حكومته في اليوم التالي [1] .

حاول ولنكتون فتح حوار مع هسكسون على اعتبار انه زعيم لمجموعة كاننغ ووافق ولنكتون على ترك المسألة الكاثوليكية تطرح في مجلس العموم وتعهد بان الحكومة ستؤدي دورا محايداً في هذا الأمر[2] ، وبهذا الخصوص كتب بالمرستون : " **عندما نصّب الدوق ولنكتون ، أرسل إلى هسكسون بصفته زعيما لمجموعة كاننغ ، وطلب منه الانضمام الى حكومته وبالنسبة للمسألة الكاثوليكية فنحن سنستفيد من تأثر كوننا ننتمي إلى جماعة داخل الوزارة تتحدث لصالحها** " [3] .

وفي رسالة بالمرستون الى أخيه وليام المؤرخة في الثامن والعشرين من كانون الثاني 1828 تطرق بالمرستون الى موقف حزب الأحرار من انضمام أنصار كاننغ إلى حكومة ولنكتون قائلا : " **سوف يكون أعضاء حزب الأحرار غاضبين وعنيفين ويقاتلون بضراوة من جهة اليمين واليسار ، أنا فعلا نادم على خسارتهم ، لأنني أحبهم أكثر من أعضاء حزب المحافظين ، واتفق معهم أكثر ، ولكن مع ذلك نحن أنصار كاننغ إذا اتفقنا معهم ، فإننا سوف لاننضم إلى حكومتهم ولكنهم سوف يأتون وينضمون إلينا وإذا ما غادرنا [حكومة ولنكتون] فانا بالتأكيد سوف لا اجلس معهم داخل مجلس العموم ولكن سأحتل منصبا مستقلا ومنفصلا** " [4] . ويتضح من هذه الرسالة من انَّ أنصار كاننغ حتى ذلك الوقت لم يكونوا جزءاً من حزب الأحرار .

انضم أنصار كاننغ ومن جملتهم بالمرستون الى حكومة ولنكتون في كانون الثاني 1828 ، الأمر الذي أثار انتقاد حزب الأحرار على اعتبار أن ذلك يتناقض مع مباديء كاننغ ، وبرر بالمرستون موقفه ضد تلك الانتقادات في خطاب ألقاه في مجلس العموم يوم الثامن عشر من شباط 1828 ، حول ما أثير من تساؤلات حول موضوع أسباب انضمام مجموعة كاننغ إلى حكومة ولنكتون . وأكد بان ولنكتون أعطى ضمانات وعهود لأنصار كاننغ بتنفيذ مطاليبهم [5].

---

(1) **Ziegler,Paul R.,Op.Cit,p.21.**
(2) **Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,p.22.**
(3) **Quoted in :Bulwer,Henry Lytton,Op.Cit,Vol.1,p.215**
(4) **Quoted in :Ibid,p.220.**
(5) **Francis,George Henry,Op.Cit,pp.42-46.**

استمر هسكسون في منصبه في الحكومة الجديدة وزيرا للمستعمرات وكذلك بالمرستون بقي في وزارة الحرب ، كما ظل دادلي وزيرا للخارجية بالإضافة إلى غرانت الذي ظل يشغل منصب رئيس هيئة التجارة ، وبذلك شعر أنصار كاننغ ومن جملتهم بالمرستون انهم يمتلكون وزنا كبيرا في الحكومة الجديدة يمكنهم من الضغط عليها لتحقيق مطالبيهم[1] .

وفي تلك الأثناء تفاقمت الأحداث التي تمخضت عن اندلاع الثورة في اليونان وانفصالها عن الدولة العثمانية [2] ، وطالب بالمرستون في مجلس العموم بتدخل بريطانيا لحل قضية اليونان وأكد على وجوب مساعدة الدولة التي ترغب في نيل استقلالها ودعم الأنظمة المتحررة في القارة الأوربية ، وذلك بلا شك هو استمرار لنهج كاننغ في مجال السياسة الخارجية [3] . وهكذا فأن بالمرستون بدأ يتحدث بشكل متزايد بشأن السياسة الخارجية في مجلس العموم ، واستخدم أسلوب كاننغ في الدفاع عن الحرية والدستور ودعم الأنظمة المتحررة في سبيل الحفاظ على مصالح بريطانيا العظمى ، وهي سياسة معظم الوزراء البريطانيين .

برز بالمرستون من بين مجموعة كاننغ في مجلس العموم ، وتميزت هذه المجموعة عن المحافظين المتشددين كونها أكثر انفتاحا ، وكانوا مجموعة صغيرة من الأصدقاء الذين تأثروا بزعيمهم ورغبوا بالعمل سوية لاستمرار مبادئهم ، ولم يشكلوا حزبا ولم يرتبطوا مع حزب الأحرار ، رغم تقارب الطرفين في بعض وجهات النظر ، أما بالمرستون فيبدو انه وصل إلى مستوى جيد من النضج السياسي بعد عشرين سنة في الحياة البرلمانية ، ولم يعد شابا ارستقراطيا ربط مصيره بحزب المحافظين بل بدأ يركز على مشاكل البلاد

---

(1) Francis,George Henry,Op.Cit,pp.42-46.

(2) خضعت اليونان لسيطرة الدولة العثمانية في أواسط القرن الخامس عشر، إلا أن اليونانيين ثاروا في عام 1821 ... ورة، وأسـ . تنجد السـ . لطان محمـ . ود الثـ . اني بـ . والي مصـ . ر محمـ . د علـ . ي لإخماد الثورة ، وبعد إخماد الثورة تدخلت الدولة الأوربية الكبرى فرنسا وبريطانيا وروسيا وهزمت الأساطيل العثمانية والمصرية في معركة نافارينو عام1827، وأعلن استقلال اليونان عام 1829 وتوج اوتو ملكا عليها عام 1832 وضمنت الدول الأوربية هذا الاستقلال ، للمزيد من التفاصيل عن ثورة اليونان ينظر :
عبد الواحد بدر،المسألة اليونانية 1821-1832 ثورة اليونان واستقلالها عن الدولة العثمانية ، رسالة ماجستير ،كلية الآداب،جامعة بغداد،2003.

(3) Wilks,Washington,Palmerston in three Epochs:A Comparision of Facts with opinions,London,1854,p.11.

الدائمة ، مثل الإصلاح البرلماني والمسألة الكاثوليكية وحرية التجارة ، وإيجاد الحلول العملية والأبدية لها (1) .

ظهرت عقبات وتحديات بخصوص التزام ولنكتون بتعهداته لمجموعة كاننغ ، وكانت هنالك خلافات دائمة على مقترحات هسكسون لتعديل قوانين الحبوب ، وانزعج شارل غرانت وهو عضو في مجلس التجارة من دفاع ولنكتون عن سياسة الحماية من المنافسة الأجنبية التي تتعارض مع أهداف أنصار كاننغ في حرية التجارة ، ظهر بالمرستون في تلك المرحلة كموجه للقوة بين أنصار كاننغ واقنع غرانت بالاستقالة ، وأجبر ولنكتون الى تقديم تنازلات كبيرة لتلبية مطالب أصدقائه ، لكن بالمرستون أدرك انه من اجل إحداث التغيير هو وأصدقاؤه كان لابد لهم أن يستمروا في المنصب ، بقي أنصار كاننغ في الوزارة ولكن بشكل مؤقت ، وفي نيسان 1828 اندلعت الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا ، ولم تتخذ حكومة ولنكتون من جهتها موقفا حاسما ضد روسيا ، وأحتج بالمرستون وصديقه وزير الخارجية اللورد دادلي على هذا الموقف ، وحطمت هذه الخلافات وحدة الحكومة (2) .

وفي ايار 1828 نشب خلاف بين أعضاء حكومة ولنكتون حول تحويل مقعدين في مجلس العموم المخصصة لمدينتي بنرين Penrun وريتفورد الشرقية East Retford إلى مناطق أكثر كثافة سكانية ، ونشب الخلاف حول المكان الذي يجب أن تنقل إليه هذه المقاعد ، وكان الحل الوسط الذي تم التوصل إليه أن تذهب المقاعد إلى برمنكهام وبعد ذلك نكث ولنكتون العهد عن طريق نقل المقعد المخصص لبرمنكهام الى مدينة بيست لو Bassetlaw(3) . عارض بالمرستون مثل هذه المناورة ، وانقسم مجلس العموم حول هذه المسألة بين مؤيد ومعارض وللمرة الأولى أعطى ذلك النقاش الفرصة لبالمرستون لإعلان وجهة نظره حول الإصلاح البرلماني رغم انه ، مثل كاننغ ، لم يكن يوما بطلا للإصلاح البرلماني لكنه اعتقد أن الإصلاح الجزئي كان رداً ضرورياً على شكاوى الناس (4) . استقال هسكسون من الحكومة واتبعه زملاؤه ومن جملتهم بالمرستون الذي استقال في الحادي والثلاثين من آيار 1828، وعدّ ولنكتون عمل أنصار كاننغ

(1) Ziegler,Paul R.,Op.Cit,p.22.
(2) Ibid,p.23.
(3) Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,p.25.
(4) Joy,James Richard,Op.Cit,p.50.

تمردا وللمرة الأولى أصبح بالمرستون معارضا للحكومة ويواجه وزراء من المحافظين المتشددين ، وطبقا لذلك تخلص بالمرستون من تأثير حزب المحافظين وعد نفسه غير مقيد وتكلم بقوة اكبر بخصوص السياسة الخارجية ودعم بريطانيا للحكومات الدستورية في الخارج [1] .

توضح خطب بالمرستون خلال مدة استقالته اهتمامه المتزايد في الشؤون الأوربية ، وأثار الانقلاب الذي نفذه دون ميغويل Don Migule [2] (1802–1866/ 1828–1834) في البرتغال ثائرة بالمرستون ، وأتهم الأخير حكومة ولنكتون بالتخلي عن الحركة الدستورية والبرلمانية في البرتغال ، وتجاوز بالمرستون في ذلك حتى خطابات كاننغ نفسه وظهر خط السياسة الخارجية الذي تبناه بالمرستون والذي حدد علاقة بريطانيا مع أوربا والعالم على مدى السنوات الخمس والثلاثين التي تلت [3] .

عدّ بالمرستون نفسه وريثا لكاننغ في الأمور المتعلقة في السياسة الخارجية كما كان هسكسون وريثا له في إدارة التجارة الحرة والإصلاح الاقتصادي ، وكعضو برلماني مستقل ، تحدث بالمرستون عن تلك المواضيع وتكلم بحماس بشأن قضية استقلال اليونان عن الدولة العثمانية وإعادة حق ملكة البرتغال ماريا الثانية Maria II [4] (1819–1853) في عرش البرتغال ، وأكدت فحوى أحاديث بالمرستون بشأن السياسة الخارجية بين تركه لحزب المحافظين وانضمامه إلى الأحرار (1828–1830) الضرورة الملحة لحكومة ولنكتون للالتزام بعهودها مع البرتغال ضد ميغويل ، وتحديد حدود الدولة

---

(1) Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,p.25.

(2) ميغويل او في بعض المصادر ميشيل Micheal ولد في لشبونة في 26 تشرين الأول 1802 الابن الثاني لملك البرتغال جون السادس King Jhon VI ، بعد احتلال نابليون البرتغال عام 1807 رافق العائلة المالكة الى البرازيل وبعد عودتهم الى البلاد قام ميغويل بمحاولتي انقلاب عام 1823 و1824 ضد والده ، نفي على أثرها إلى النمسا عاد إلى البرتغال بعد وفاة والده عام 1826، ونظراً لتعيين ماريا الثانية ابنة شقيقه بيدرو (بيتر الرابع ملك البرازيل) ملكة على البرتغال خلع ابنة أخيه في 1828 ونصب نفسه ملكا على البرتغال ومارس حكما استبداديا وألغى الدستور، أدى ذلك إلى حرب أهلية بين أنصاره وأنصار أخيه بيدرو ، ساندت بريطانيا وفرنسا بيدرو وابنته ماريا ، انتهت الحرب عام 1834بتنازل ميغويل عن العرش ورحيله إلى المنفى حيث توفي عام 1866، للمزيد من التفاصيل ينظر : The New Encyclopedia Britannica,Vol.10,p.86.

(3) Ziegler,Paul R.,Op.Cit,p.24.

(4) ولدت في ريو دي جانيرو في البرازيل وهي الابنة الكبرى لبيدرو(بيتر الاول امبراطور البرازيل منذ عام 1822 ، وبيتر الرابع ملك البرتغال بعد وفاة والده ملك البرتغال جون عام 1826، لم يستطع والدها بيدرو الجمع بين عرشي البرتغال والبرازيل لذلك تنازل لماريا عن عرش البرتغال عام 1826ولقبت بماريا الثانية ، وكان عمرها سبع سنوات ، على ان يكون عمها ميغويل وصيا عليها ، وقام ميغويل عام 1828 ونصب نفسه ملكا على البرتغال ، وألغى الدستور التحرري ، وبدأت الحرب الأهلية في البرتغال على أثرها بين الدستوريين من أنصار ماريا ووالدها وبين أنصار ميغويل المطلقين ، انتهت بتنازل ميغويل عام 1834 وعودة ماريا الثانية لحكم البرتغال ، للمزيد ينظر : The New Encyclopedia Britannica,Vol.7,p.879.

الجديدة في اليونان لان ذلك من شأنه أن يجعل من هذه الدولة قوية وضمان ذلك عن طريق استقلالها النهائي [1] .

عبر بالمرستون عن رأيه في مسألة اليونان في خطاب ألقاه في الأول من حزيران 1829 ويعد من الخطب المهمة التي القاها في مجلس العموم بخصوص الشؤون الخارجية انتقد فيه بشكل غير مسبوق سياسة الحكومة تجاه اليونان والبرتغال ، وكانت الرؤية الأساسية لبالمرستون في السياسة الخارجية هي دعم الأنظمة الدستورية في أوربا ضد الحكام المستبدين كما اهتم بمسألة عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول ذات السيادة مثل كاننغ وكاستلري اللذين سبقاه ، وخلال حديثه عن الشؤون الخارجية ، خشي بالمرستون من تحالف روسيا مع فرنسا وقيام هذه الدول من اجل الحفاظ على مصالحها الخاصة بمساعدة حلفائها في قمع الحركات الدستورية ومثل هذه الأفعال اعتقد بالمرستون إنها تهدد توازن القوى في أوربا وضد مصالح بريطانيا في تبني تطوير الأنظمة الحرة [2].

تبنى كاستلري وكاننغ من قبل سياسة عدم التدخل لحماية حقوق الدول المستقلة ، حمل بالمرستون هذه السياسة خطوة ابعد وقلبها رأسا على عقب من خلال مطالبة ولنكتون بدعم الحكومات الدستورية في أوربا وصرح بذلك بوضوح في قضية البرتغال ، وهذا التصريح كان يشير إلى تبنيه سياسة خارجية جديدة تنسجم مع مبادئ حزب الأحرار وتوجت بتوليه وزارة الخارجية في الحكومة التي شكلوها فيما بعد ، كما أن خطاب الأول من حزيران كان البداية لحقبة طويلة من الخطب في مجلس العموم ساعدت على بروزه كأحد أنصار كاننغ [3] . وفي الجلسة نفسها جادل بالمرستون طويلا حول أهمية البرتغال بالنسبة لبريطانيا وركز على تلك المسألة باستمرار في معظم خطبه وأحاديثه في مجلس العموم [4] .

ومن الواضح انه كان مدركا لأهمية البرتغال بالنسبة للمصالح البريطانية ، لاسيما فيما يخص موقعها الجغرافي وممتلكات البرتغال في أمريكا الجنوبية ، فتوطيد العلاقات مع حكومة البرتغال سيؤدي إلى إطلاق يد بريطانيا في دول أمريكا الجنوبية والتي ستكون أسواقا رائجة للبضائع البريطانية ومنطقة نفوذ مهمة في إطار صراع بريطانيا الاستعماري

---

(1) Mgichrist,John,Op.Cit,pp.101-102.
(2) Material for the true history of Lord Palmerston, p.17.
(3) Wilks,Washington,Palmerston in three Epochs,p.11.
(4) Francis,George Henry,Op.Cit,pp.115-116.

مع فرنسا خارج القارة الأوربية ، كما استغل بالمرستون هذه قضية البرتغال لانتقاد الحكومة واسقاطها .

سعى بالمرستون في جميع خطبه إلى إقناع مجلس العموم والرأي العام البريطاني بضرورة التدخل في البرتغال لضمان المصالح البريطانية هناك ، ولم يدخر جهدا في الحديث عن هذا الموضوع ، واستخدم بالمرستون دفاعه عن أنظمة الحكم الدستورية لمطالبة الحكومة بالتدخل في البرتغال وقال في هذا الصدد : " **انه من الواضح بان لاوجود لاي مقاومة ناجحة تقف ضد سيطرة ميغويل فقد قام بطرد الوزراء ، وأزال الضباط الشرعيين وغير القضاة الدستوريين ، وتهيأ لحل المجالس التشريعية . ألا تعطينا جميع هذه الظروف الحق في الإصرار على التزام ميغويل بجميع تعهداته تجاه ابنة أخيه ، ألا تعطينا جميع هذه الظروف الحق بانتزاع الإصلاح بالقوة من ميغويل** " [1] .

استمر بالمرستون بالحديث عن الشؤون الخارجية بنجاح وازدادت سمعته كخطيب موهوب وسياسي بارز، وفي الحادي عشر من حزيران 1829 ، كرر انتقاده للحكومة لاسيما في موضوع اليونان والبرتغال ، واتهم بالمرستون حكومة ولنكتون بأنها معادية للحرية ومؤيدة للاستبداد ، في حين إنها يجب أن تكون مثالا للحرية الدستورية والملاذ للمطاردين والدرع الحامي من الاضطهاد حسب رأيه [2].

ونلاحظ مما تقدم أن خطب بالمرستون بعد خروجه من الحكومة وجلوسه في مقاعد المعارضة تميزت بلهجتها العنيفة تجاه الحكومة ولاسيما انتقاده للسياسة الخارجية لبلاده ، وقد ركز على السياسة الخارجية في معظم خطاباته بشكل غير مسبوق ، مما يشير إلى الطموح السياسي الذي سعى إليه بالمرستون الذي تجاوز وزارة الحرب للحصول على منصب وزارة الخارجية ، واستخدم لتحقيق هذه الغاية المشاكل الداخلية والخارجية التي واجهتها حكومة المحافظين لنيل مبتغاه .

سعى ولنكتون لكسب شخصيات من أنصار كاننغ إلى جانبه ، وعلى الرغم من خلافات بالمرستون وولنكتون ، عرض الأخير على بالمرستون في بداية تشرين الأول 1829 أن يصبح رئيسا لمجلس العموم في حكومة خاضعة للمحافظين المتشددين ، لكن

---

(1) **Quoted in :Francis,George Henry,Op.Cit,pp.117-118.**
(2) **Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,p.26; Mgichrist,John,Op.Cit,p.105.**

بالمرستون أدرك أن انضمامه إلى مثل هذه الحكومة يعني تخليه عن مبادئ كاننغ وهسكسون ، لذلك رفض بالمرستون ذلك المنصب [1] .

ويبدو ان هذا الرفض لم يأتِ من فراغ ، اذ أدرك بالمرستون أن هناك تحولا كبيرا سيحدث في مركز الثقل السياسي بعد ما يقارب من نصف قرن من تحكم حزب المحافظين في السلطة معظم الوقت ، وبدأ يتبنى أفكاراً ومبادئ ليبرالية فيما يتعلق بالسياسة الداخلية والخارجية ، الأمر الذي أدى إلى حدوث تقارب كبير بينه وبين حزب الأحرار .

استمر بالمرستون في اهتمامه بالشؤون الخارجية ، ففي الخامس من شباط 1830 تكلم بالمرستون في مجلس العموم عن اليونان قائلا : " **انه من المهم لبريطانيا ولاستقرار اليونان ان تكون الدولة الجديدة قادرة على الحفاظ على نفسها وان لاتقاد ، عن طريق أساليب السياسة الملتوية لان تكون تحت سيطرة قوى أخرى (روسيا) ، التي منذ انتهاء الحرب مع الدولة العثمانية وجهت أطماعها باتجاه هذا المكان ، إن من مصلحة بريطانيا أن تمنح اليونان وسائل الحفاظ على استقرارها ومنعها من ان تصبح ضحية الهيمنة العسكرية ... ، إن تحديد حدود هذه الدولة لايشكل أهمية كبيرة بالنسبة إلى الدولة العثمانية بوضعها الحالي ، سواء أخذت أو أعطيت هذه الجزيرة أو المرتفع لها أو لليونان ولكن من المهم لأوربا أن تكون الدولة الجديدة قادرة على حكم نفسها بشكل مستقل** " [2] . وفي جلسة مجلس العموم المنعقدة في العاشر من آذار 1830 شدد بالمرستون على ضرورة تدخل بريطانيا في شؤون البرتغال قائلا : " **ان القضاء والقدر يدفعنا لان نتدخل في الشؤون الداخلية للبرتغال ، وهذا ما يجب ان يكون لأنه لايستطيع أي رجل أن ينكر حقيقة أن بريطانيا مهتمة بقضية البرتغال ، وان هذه الحكومة التي صممت مسبقا على ترك هذه البلاد لمصيرها ، هي بعد ذلك مجبرة على تخطي ذلك ، رغم تأخرها ، وان تحاول اتخاذ موقف ما تجاه تلك المسألة** " [3] .

توفى الملك جورج الرابع في السادس والعشرين من حزيران 1830 بعد شهور من المرض ، وكان معاديا لحزب الأحرار ، وخلفه على العرش شقيقه دوق كلارنس Duke

---

(1) Ziegler,Paul R.,Op.Cit,p.25.
(2) Quoted in :Francis,George Henry,Op.Cit,pp.132-133.
(3) Quoted in :Ibid,p.144.

of Clarince باسم وليم الرابع William IV[1] (1765–1837/1830–1837) ، وفي تلك الأثناء بدأ التقارب بين حزب الأحرار وأنصار كاننغ على الرغم من أن الطرفين لم يقيما اتحادا رسميا ، إلا إنهم أصبحوا معارضة منظمة لحكومة ولنكتون ، وفي الانتخابات التي تلت حل البرلمان في الرابع والعشرين من تموز ، حصل تغيير طفيف في تركيبة مجلس العموم حيث نجح مرشحوا المعارضة بشكل أفضل لكن حكومة ولنكتون استطاعت أن تحصل على الأغلبية اذ حصلت على 350 مقعدا [2] .

توفي وليم هسكسون في أيلول 1830 ، في حادث أثناء افتتاح خط لسكة حديد ليفربول–مانشستر ، ومع ذهاب هسكسون تلاشت فرصة تفاهم أتباعه مع حكومة ولنكتون . وتوثقت علاقة بالمرستون مع حزب الأحرار ولاسيما بعدما كرر ولنكتون دعوته لبالمرستون في أيلول 1830 للانضمام إلى الحكومة واشترط بالمرستون بأنه لاينضم الى حكومة ولنكتون إلا ومعه غراي ولانسداون ، وهما من زعماء حزب الأحرار[3] . و يشير ذلك إلى مدى تقارب بالمرستون مع حزب الأحرار وارتباطه معهم خلال المدة التي أعقبت تركه لحكومة المحافظين وجلوسه في مقاعد المعارضة تمهيدا لانضمامه بشكل نهائي إلى حزب الأحرار .

استمر ولنكتون في رفضه تمرير قانون الإصلاح البرلماني ، وفي السادس عشر من تشرين الثاني 1830 اضطر إلى الاستقالة ، وشكل اللورد غراي حكومة الأحرار [4]. انضم بالمرستون إلى حزب الأحرار الذي يتفق مع ميوله السياسية ، وأصبح اللورد بالمرستون وزيرا للخارجية بمجلس الوزراء في حكومة غراي من حزب الأحرار[5] ، ومنذ ذلك الحين ربط بالمرستون مصيره بالأحرار ، وأنهى بشكل تام علاقته او الصلة التي كانت تربطه مع المحافظين [6] .

---

(1) هو الابن الثالث لجورج الثالث ، خلف أخاه جورج الرابع على عرش بريطانيا ، خدم وليم في البحرية عندما كان شابا ، ... مجلس اللوردات عام 1832 في الوقت الذي كان فيه الرأي العام يتخذ مواقف متشددة من الطبقات العليا ، وبما ان ابنتيه قد توفيتا في طفولتهما ، فقد خلفته ابنة أخيه فكتوريا على العرش بعد وفاته عام 1837 ، للمزيد من التفاصيل ينظر : The New Encyclopedia Britannica,Vol.12,p.669.

(2) Ziegler,Paul R.,Op.Cit,p.26.

(3) Ibid,p.27.

(4) Lane,Peter,Success in British history 1760-1914,London,1978,p.95.

(5) Mgichrist,John,Op.Cit,p.100.

(6) Marx,Karl,Op.Cit,p.7.

أولا : توليه وزارة الخارجية ومنهجه السياسي :

انتقد بالمرستون أداء حكومة المحافظين التي كان يرأسها ولنكتون ، وذلك من خلال سلسلة من الخطابات التي ألقاها في مجلس العموم وكان أبرزها الخطاب الذي ألقاه في الأول من حزيران 1829 والذي تناول الشؤون الخارجية ولاسيما قضيتي البرتغال واليونان [1] ، واستمر بعد ذلك في انتقاد الحكومة متهما إياها بعدم دعم الأنظمة الدستورية والليبرالية في أوربا ، وبين أن تلك الحكومة تتحمل مسؤولية عدم اخذ بريطانيا لدورها في مجال السياسة الخارجية [2].

كان لخطابات بالمرستون في مجلس العموم صداها الواسع على الصعيد الدبلوماسي وعكست الدور السياسي المتميز الذي سيؤديه في شؤون بلاده الخارجية[3]، وفي تلك الأثناء ازدادت المطالب الشعبية لإجراء الإصلاح البرلماني وتوسيع حق التصويت لفئات جديدة من الشعب البريطاني . وفي الانتخابات العامة التي جرت في عام 1830 وصل الأحرار إلى السلطة بعد مايقارب النصف عام من تحكم حزب المحافظين بها ، الأمر الذي أدى إلى استقالة حكومة المحافظين [4]، وعلى أثر ذلك تشكلت حكومة ائتلافية من حزب الأحرار وأنصار كاننغ في الثاني والعشرين من تشرين الثاني 1830 وأصبح غراي رئيسا لها [5].

انضم بالمرستون إلى حكومة غراي وأصبح وزيرا للشؤون الخارجية [6]، وكان انظمامه البداية لسيطرته ولمدة خمسة وثلاثين عاما على السياسة الخارجية البريطانية [7]، وذلك لأنه كان يمتلك العديد من المؤهلات للقيام بواجبات منصبه إذ مارس العمل الحكومي في الحكومات السابقة ، وألم بمعظم لغات أوربا الغربية وأعرافها الدبلوماسية ، كما أن إمكانياته وقدراته أعطته جاهزية للوصول إلى عقول الآخرين [8] ، وواجه في مهمته عشية توليه وزارة الخارجية الكثير من القضايا والأزمات الدولية التي لم

---

(1) **Fracis,George Henry,Op.cit,pp.111-112.**

(2) **حيدر صبري شاكر الخيقاني ، المصدر السابق ،ص258.**

(3) **The New Encyclopedia Britannica,Vol.13,p.936.**

(4) **Crawley,C.W,Anglo-Russian Relations 1815-1840,Cambridge historical Journal, Vol.3, No.1,1999,p.55.**

(5) **Marquis of Lorne,Op.Cit,p.65.**

(6) **Ibid,p.65.**

(7) **Rayner,RobertM.,AConcise History of Modern Europe 1789-1914 , London,(n.d), p.196.**

(8) **Joy,James Richard,op.cit,p.51.**

تحل وأبرزها ثورة بلجيكا عام 1830 [(1)] ، التي حدثت في اطار الثورات التي عمت اوربا خلال ذلك العام ، والتي هزت النظام الأوربي المستقر الذي صمم بموجب مؤتمر فينا 1815 بعد انتهاء الحروب النابليونية ، ومثل مجيء بالمرستون لهذا المنصب حدثٌ ذو أهمية كبيرة في حياته السياسية ساهم في دفعه إلى الأضواء لاسيما أثناء انعقاد مؤتمر لندن في تشرين الثاني 1830 للنظر في أحداث الثورة البلجيكية [(2)]. وكتلميذ لكاننغ اتخذ بالمرستون خلال تلك المرحلة منهجا في السياسة الخارجية ركز على عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى ، بقدر مايمس المصالح البريطانية " ودعم الأنظمة الدستورية ، وراهن على قوة الأسطول البحري البريطاني في معظم مواقفه اتجاه القضايا الخارجية [(3)].

حرص بالمرستون بعد تسلمه وزارة الخارجية على السعي لأن تأخذ بريطانيا مكانة مهمة لها في السياسة الأوربية ، وعدّ بالمرستون نفسه مسؤولا أمام الرأي العام الشعبي عن السياسة الخارجية التي يتبعها أكثر مما كان مسؤولا أمام الوزارة التي يعمل فيها ، وبذلك امتلك بالمرستون طيلة مدة عمله الدبلوماسي دعما شعبيا كبيرا ، فضلا عن الدعم الذي حصل عليه من داخل البرلمان البريطاني [(4)]. وكان البريطانيون لا يرون فيه وزيرا هماما فحسب بل كانوا يعدونه خادما مخلصا لبلده وشعبه ، وسعى بالمرستون من خلال سياسته الخارجية إلى وضع حد لجميع المشاكل والاضطرابات الثورية في أوربا لخدمة المصالح التجارية البريطانية [(5)].

رأى بالمرستون أن نظام الحكم البرلماني في بريطانيا يمكن اقتباسه من لدن جميع الدول الأوربية ، والعمل بموجبه ، واقتنع بأن النفوذ السياسي لبريطانيا سيزداد في الخارج نتيجة لتبني المواقف الليبرالية [(6)] ، وخاصة بعد انتشار أفكار الثورة الفرنسية 1789 في الحرية والعدالة والمساواة في معظم اجزاء أوربا وأصبح من الصعب مقاومتها . وآمن بالمرستون أن سبب الثورات هو الصراع الكبير بين المبادئ الدستورية والمبادئ

[(1)] Encyclopedia Americana,Americano Corporation,1979,Vol.21,p.213.

[(2)] Temperley,Harold,The Crimea England And the Near East,London,1964,p.59.

[(3)] Ibid,p.59 .

[(4)] حيدر صبري شاكر الخيقاني ، المصدر السابق ، ص257.

[(5)] Warner,George Townsend and Marten,C.H.K.,The ground of British history, Vol.2,London,1933,p.654.

[(6)] The New Encyclopedia Britannica,Vol.13,p.936.

الاستبدادية ، وبالنسبة له فان القوى الاستبدادية هي روسيا وبروسيا والنمسا أما الدول الدستورية فتتمثل ببريطانيا وفرنسا ، وشدّد بالمرستون على ضرورة أن تقوم بريطانيا بدعم الدول الدستورية لتوسيع دائرة حلفائها ولتضمن مصالحها الاقتصادية في تلك البلدان [1].

رأى بالمرستون أن من واجب الدبلوماسية البريطانية هو الحفاظ على السلام ، وذلك من خلال الحفاظ على توازن القوى في أوربا وعدم السماح لأي دولة ما باحتلال أو توسيع ممتلكاتها على حساب دولة أخرى [2]، وسعى بالمرستون لتطبيق هذه المعادلة من خلال محاولة إزالة كل النتائج المترتبة على الاضطرابات الثورية في أوربا عام 1830 [3] .

اتهم بالمرستون من قبل خصومه أعضاء حزب المحافظين بتعريض السلام في أوربا للخطر ، وذلك لدعمه وتشجيعه الثوار والمتمردين ضد الحكومات الشرعية حسب رأيهم [4] ، ألا أنه عدّ تلك السياسة امتداداً لسياسة كاننغ التي تؤكد على الحفاظ على مصالح بريطانيا العظمى أولا ، وفي كل مسألة وأزمة تبرز على الساحة الدولية ، وتبني ودعم الأنظمة الدستورية والتحررية في القارة الأوربية [5].

كان بالمرستون ثالث أشهر وزير خارجية بريطاني في القرن التاسع عشر تلا كُلاً من كاسلري وكاننغ ، وأكتسب دعما جماهيريا في الداخل استند عليه في تبني معظم مواقفه في السياسة الخارجية ، وفي الوقت نفسه حرص على تجنب الحرب وإبعاد بريطانيا من التورط فيها لان ذلك يتناقض مع مصالح بريطانيا في الحفاظ على السلام والهدوء في أوربا خدمة للتجارة البريطانية [6].

اعتقد بالمرستون ان روسيا وفرنسا فقط ، باعتبارهما من الدول البحرية القوية المنافسة لبريطانيا ، يمكنهما تهديد المصالح البريطانية بصورة مباشرة مبينا إتساع الممتلكات البريطانية فيما وراء البحار ، والطرق العديدة المؤدية الى الهند درة التاج البريطاني ، وكان هدف بالمرستون الحيلولة ، قدر المستطاع ، لمنع روسيا وفرنسا من

---

(1) Temperley,Harold,Op.Cit,p.60.
(2) Strachey,Lytton,Queen Victoria,London,1951,p.134.
(3) Ward,E.L.Wood,History of England,London,1973,p.161.
(4) Ficouelmont,Le Comte De,Lord Palmerston L'Angleterre Et Continent,Paris, 1852,p.120.
(5) Lunt,W.E.,History of England,NewYork,(n.d),pp.658-659.
(6) Schultz, Harold J.,History of England, London,(n.d), p.238.

التحالف معا ضد بريطانيا وتجنب الحرب المباشرة معهما [1]. حدثت خلال عام 1830 في أوربا سلسلة اضطرابات ثورية بدأت في فرنسا حيث إندلعت ثورة تموز [2]، والتي جلبت لويس فيليب Philip Louis [3](1773-1850/1830-1848) الى عرش فرنسا ، وبعد ذلك إندلعت ثورات أخرى في أوربا أولها الثورة البلجيكية في آب 1830 ، التي كانت بتأثير مباشر من ثورة فرنسا ، وتزامن تطور أحداث الثورة البلجيكية مع وصول بالمرستون إلى وزارة الخارجية حيث استطاع أن يجعل بريطانيا مركز استقطاب ومقرا للمؤتمرات الدولية لحل تلك المشاكلات كما سيأتي [4].

ثانيا:- موقف بالمرستون من الثورة البلجيكية 1830

ألحقت بلجيكا[5] بمملكة هولندا بموجب مقررات مؤتمر فيينا 1815 ، كي تتمكن المملكة من الوقوف في وجه أطماع فرنسا في أوربا [6] . أظهرت عملية دمج الشعبين الهولندي والبلجيكي الكثير من التناقضات مما أدى الى حدوث الكثير من المشاكلات بينهم [7] ، فقد سيطر الهولنديون على مقاليد الامور في الوقت الذي كان البلجيك يعتقدون انهم اكثر قدرة على تصريف شؤونهم ، وعمل الهولنديون على التحيز لأبناء جلدتهم على حساب البلجيك [8] ، وعدوا اللغة الهولندية هي اللغة الرسمية الوحيدة في الدولة ، ومنحت الوظائف المهمة في الدولة الاتحادية سواء كانت مدنية او عسكرية للهولنديين [9] ، وعلى أثر ذلك تأزمت الأوضاع بين الطرفين واندلعت المواجهات في بروكسل في 25 آب 1830 وأدت إلى مقتل العديد من الأشخاص [10] .

---

(1) The New Encyclopedia Britannica,Vol.13,p.937.

(2) Willks,Washington,The Half Century,London,1852,p.236.

(3) هو سليل لويس الثامن عشر والابن الاكبر لدوق اورليان الذي اعدم أبان أحداث الثورة الفرنسـ . ية عام 1789 هـ . رب إلى خارج فرنسا وتنقـ . ل بـ . ين النمسـ . ـا وسويسـ . ـرا والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا . ـا، عـ . ـاد الـ . ـى فرنسـ . ـا عـ . ـام 1815 ، وبعد سقوط شارل العاشر عام 1830 أصبح ملك . ـا علـ . ـى فرنسـ . ـا مجتمعةً بمـ . ـا عـ . ـرف باـ . ـم ملكيـ . ـة تمـ . ـوز، تحـ . ـالف مـ . ـع بريطانيـ . ـا فـ . ـي بدايـ . ـة عهـ . ـده ، إلا إنهما اختلفا بسبب قضيـ . ـة محمـ . ـد علـ . ـي باشـ . ـا 1839 والزواج الاسباني 1847، سقط حكمه على اثر ثورة باريس 1848 ولجا إلى بريطانيا وتوفي فيهـ . ـا عـ . ـام 1850 . للمزيـ . ـد ينظر:

The New Encyclopeadia Britannica,Vol.7 P.510.

(4) Lunt,W.E.,Op.Cit,p.659.

(5) انظر الملحق رقم (1) .

(6) Trollope,Anthony,Lord Palmerston English Political Leaders,London,1882,p.4; Wilks,Washington,The Half Century,p.236.

(7) Rayner,Robert M.,Op.Cit,p.197.

(8) Wood,Anthony,Nineteenth Century Britain 1815-1915,London,1963,p.158.

(9) Lane,Peter,Op.Cit,P.163.

(10) Wilks,Washington,The Half Century,P.237.

ازدادت حدة المواجهة تدريجيا ، وطالب البلجيك بالانفصال وتأسيس دولة خاصة بهم ، ووجد ملك هولندا وليم الأول William I [1] (1787-1843/1815-1842) أن يناشد الدول الأوربية الخمس الكبرى للتدخل على إعتبار أن تسوية فينا تتعرض للخطر [2] . كانت الدول الشرقية الثلاث (روسيا وبروسيا والنمسا) غير قادرة على التدخل في الأمر بسبب الاضطرابات التي وقعت في بولندا فجاء الاهتمام الأكبر بقضية بلجيكا من جانب وزير الخارجية البريطاني بالمرستون [3] .

اعتقد بالمرستون أن تلك الثورة وما تلاها من أحداث تشكل تهديدا لأمن بريطانيا وسلامة تجارتها وبأنها ستنسف مقررات مؤتمر فينا ، وفي تصوره شبه موقع بلجيكا وتأثيره على بريطانيا " **بالخنجر المستعد لضرب قلب بريطانيا إذا لم نتدارك الموقف** " ، وقصد بالمرستون من ذلك ان بلجيكا وهولندا كانت قواعد مناسبة للهجوم على بريطانيا ، واستخدامها كقواعد بحرية لضرب لندن مباشرة ، لذلك حاول بالمرستون بذل جهود حثيثة لإنهاء الأزمة وإيجاد حل بأسرع وقت من أجل الحفاظ على توازن القوى في أوربا [4] ، واستحوذت ثورة بلجيكا على اهتمام بالمرستون بشكل كبير منذ الأيام الأولى من توليه منصب وزارة الخارجية [5] . وعلى الرغم من السنوات التي قضاها بالمرستون في وزارة الحرب إلا أن خبرة بالمرستون الدبلوماسية لم تكن كافية للارتقاء بمستوى الأحداث في أوربا ، ومع ذلك فانه اثبت كفاءة كبيرة ، وكان مؤتمر القوى الخمس الكبرى قد تم تحديده في أوائل تشرين الثاني 1830 للنظر في قضية بلجيكا وأصبح بالمرستون ، باعتباره وزير خارجية البلد المضيف ، رئيسا للمؤتمر ، وكان ذلك تحديا كبيرا له لأنه سيواجه رجال تجربة وخبرة مثل السفير الفرنسي في لندن شارل تاليران Charles Talleyrand

---

(1) ولد في الرابع والعشرين من آب 1772 في ... ورب إلى بريطانيا ... بعد ... ودوق لوكسمبورغ ... ملك هولندا ... ونتيجة ... الرابع ... معركة واترلو ... ادس عشر ... أعلن ... 1815 في فينا وليم الأول ملكا على المملكة التي اتحدت فيها هولندا وبلجيكا ، وفي آب 1830 اندلعت ثورة في بلجيكا وطالب الثوار بالانفصال وتمخضت الأحداث عن انفصالها ... ولم يعترف ببلجيكا إلا في عام 1839 توفي في الثاني عشر من كانون الاول 1843 ... وحكم هولندا ابنه وليم الثاني، للمزيد من التفاصيل ينظر: The New Encyclopeadia Britannica,Vol.12 P.674.

(2) Schultz,Harold J.,Op.Cit,P.239.

(3) أ.ج.غرانت،أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين 1789-1950، ترجمة:بهاء فهمي ، ... مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ،1985، ج1،ص253.

(4) Schults,Harold J.,Op.Cit,P.238.

(5) Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,P.52.

[1](1754–1838 / 1830– 1834) لكن بالمرستون حاول من خلال رئاسة المؤتمر أن يراقب ويوجه المباحثات في مؤتمر لندن لمصلحة بلاده [2].

ناشد ملك هولندا القوى الكبرى في أوربا التي وضعته على عرشها لمساعدته على اخماد الثورة في بلجيكا ، وخشي الثوار من ذلك فاستعانوا بالملك الفرنسي لويس فيليب ووعدوه في حالة حصولهم على استقلالهم فإنهم سوف يمنحون العرش البلجيكي لأحد أبناء الملك الفرنسي [3].

خشي بالمرستون من اندماج بلجيكا مع فرنسا ، وفكر أن أفضل حل لهذه القضية هو الاعتراف باستقلال بلجيكا [4] ، وكان بالمرستون مصمما على عدم السماح لفرنسا لكسب أي نفوذ في بلجيكا ، وكان كتلميذ لكاننغ يؤيد فكرة القومية مع الحفاظ على المصالح البريطانية ، ورأى ان بلجيكا يمكن ، إذا ما أصبحت دولة مستقلة ، أن تستخدم درعا واقيا ضد فرنسا ، وأدرك أن بقاء بلجيكا بلد ملحقاً بهولندا سيغري فرنسا بالهجوم عليها في حين ان بلجيكا الحرة المستقلة ستكون اقدر على صد ذلك الهجوم [5].

كان ملك فرنسا لويس فيليب يطمح بوضع بلجيكا تحت الحماية الفرنسية ، ومن جهة أخرى أدرك لويس فيليب بأن التدخل العسكري في بلجيكا سوف يقود إلى اندلاع حرب مع القوى الأوربية الأخرى ، كما أن موقف بالمرستون تجاه قضية بلجيكا قد أكده مرة أخرى إذ أيد استقلال وحياد بلجيكا مع ضرورة عدم تقديم أي تنازل إقليمي لفرنسا [6].

كان بالمرستون قلقا من نوايا فرنسا بعد ثورة 1830 ، وخشي أن تستغل الوضع في بلجيكا للتدخل على حساب هولندا الأمر الذي يؤدي إلى تدخل الدول الاوربية الشرقية الثلاث إلى جانب هولندا وبذلك تحصل حرب أوربية عامة ، كما ان تدخل فرنسا في بلجيكا وتوسعها شمالا عدّ من وجهة نظر بالمرستون خللا كبيرا في توازن القوى في

---

(1) شارل موريس دي تاليران Charles-Maurice De Talleyrand سياسي فرنسي ينحدر من اسرة نبيلة ، وقف الى جانب الثورة الفرنسية ، أصبح وزير الخارجية في المدة 1797-1799 وزيرا لخارجية نابليون للمدة 1799-1807 ، أيد عودة الملكية بعد سقوط الاخير نابليون ، وبعد سقوط نابليون مثل تاليران فرنسا في مؤتمر فينا ، ولعب دورا كبيرا في إستعادة مكانة فرنسا في المؤتمر ، ساهم في صعود لويس فيليب الى حكم فرنسا عام 1830 ، وعمل سفيرا لفرنسا في لندن في المدة 1830-1834 ، للمزيد من التفاصيل ينظر :
The New Encyclopeadia Britannica,Vol.11,P.522.
(2) Ziegler,Paul,Op.Cit,P.29.
(3) Lane,Peter,Op.Cit,P.163.
(4) Maurois,Andre,The Miracle of England,translated by:Hamish Miles,NewYork and London,1937,P.428.
(5) Maurois,Andre,Histoire D,Angleterre,Paris,1937,P.646.
(6) Wood,Anthony,Op.Cit,P.159.

أوربا [1] ، وربما كان تعاطف بالمرستون مع مطالب الشعب البلجيكي مستندا الى مبدأ حق تقرير المصير كما كان دائما في دعمه للقضايا الليبرالية لكن هذه المسألة كانت مهمة بالنسبة لمصالح بريطانيا وهي منع الهيمنة الفرنسية في المنطقة [2].

عدّ بالمرستون موضوع بلجيكا من أهم المواضيع المطروحة أمامه كوزير للخارجية ، فكان بمثابة اختبار حقيقي لكفاءته ومقدرته ، ولم يدخر جهدا في سبيل حل هذا الموضوع واستخدم كل ما يمتلك من قدرات دبلوماسية لإقناع جميع الأطراف للوصول الى حل يرضي الجميع ويصب في مصلحة بريطانيا [3].

نجح بالمرستون في استخدام التوازنات الاوربية لتنفيذ اهدافه ، فأبلغ فرنسا انه في حال تدخلها لصالح بلجيكا فان الدول الشرقية الثلاث روسيا وبروسيا والنمسا ستتدخل الى جانب هولندا [4]، كما بين للدول الشرقية الثلاث بان تدخلهم لقمع الثورة البلجيكة سيؤدي الى اثارة فرنسا لتتدخل لحماية البلجيك ولتجنب الحرب اتفقت معظم الدول الاوربية مع وجهة نظر بالمرستون بالاعتراف باستقلال بلجيكا وحيادها باعتبار ذلك افضل ضمان للاستقرار في المنطقة[5].

أدرك لويس فيليب ان الوضع الاقليمي في اوربا لن يسمح له بالتدخل في حينها ليس فقط خوفا من الدول الشرقية الثلاث وانما لسبب علمه بان بالمرستون لن يسمح بدخول الجيوش الفرنسية الى بلجيكا ، ولذلك دخل الجميع في تشرين الثاني 1830 في مفاوضات في لندن لمحاولة التوصل الى اتفاق بشأن القضية [6].

اجتمع المؤتمر الوطني البلجيكي الذي تشكل في العاشر من تشرين الثاني 1830 في بروكسل ، وكان الأعضاء يميلون الى فرنسا ، ولولا معارضة بريطانيا لاختير حينها للعرش البلجيكي أمير فرنسي ، وخلع المؤتمر عائلة أورانج Orange وأعلن اختيار الملكية الوراثية المقيدة بدستور كنظام حكم في الدولة الجديدة ، وطالبت الدول الشرقية الثلاث من جهتها في بقاء عائلة اورانج وهددت

---

[1] Stratford,Esme Wingfield,The History of British Civilization,London,1932,P.1010.
[2] Lane,Peter,Op.Cit,P.163.
[3]Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,PP.116-118;Craig,Gordon A.,Europe 1815-1914, United State,1966,P.30.
[4] Bidwell,W.H.,Lord Palmerston and his policy,NewYork,1852,P.125.
[5] Wilks,Washington,Palmerston in three Epochs,p.20.
[6] Wood,Anthony,Op.Cit,P.159.

باحتلال البلاد [1]، فرفض المؤتمر الوطني البلجيكي الإنذار ومن حسن حظ البلجيك فقد حدثت اضطرابات ثورية في بولندا بنهاية تشرين الثاني 1830 ، فانشغلت روسيا بتلك الأحداث كما أثارت تلك الأحداث أيضا اهتماماً مباشراً من لدن النمسا وبروسيا اللتين كانا رعاياهما البولنديون يعطفون على الثورة ، وبذلك تحولت أنظار الدول الاوربية الشرقية الثلاث إلى جهة أخرى ، وترك بالمرستون وحده ليواجه لويس فيليب [2].

تمخض عن مداولات مؤتمر لندن المنعقد في تشرين الثاني 1830 بين الدول الأوربية الكبرى بخصوص بلجيكا [3]، صدور بروتوكول بتاريخ العشرين من كانون الثاني 1831 [4]، اعترفت فيه الدول الأوربية الكبرى بريطانيا وفرنسا وروسيا وبروسيا والنمسا ببلجيكا دولةً مستقلة ملكية دستورية محايدة لا ترتبط بأي تحالف عسكري ولا تشترك في حرب أوربية قد تندلع في المستقبل [5] ، وتركت مناطق دي الفلاندرز De Flanders ولامبورغ Limburg ولوكسمبورغ Luxemburg تحت سيطرة هولندا [6] ، وأحبط بالمرستون مسعى تاليران للحصول على عدد من القلاع البلجيكية على الحدود مع فرنسا وهما فيليبفايل Philipeville وماريتبورغ Marienbourg اللتان اخذتا من فرنسا بموجب مؤتمر فينا [7] .

وتضمن البروتوكول أيضا أن تعود هولندا إلى حدودها عام 1790 وتحصل بلجيكا على كامل أراضيها التي ضمت إلى هولندا ، ولاقى هذا البروتوكول معارضة من لدن البلجيك والهولنديين على حد سواء ، كما عارضته فرنسا أيضا لاسيما بخصوص مسألة تهديم القلاع الحدودية مع بلجيكا ، إضافة إلى ذلك فهي كانت الدولة الوحيدة التي سعت إلى تسليم الحكم في بلجيكا إلى حاكم يكون لعبة بيديها [8] ، وفي تلك الأثناء أبدت فرنسا رغبتها في ترشيح أمير فرنسي لعرش بلجيكا ، وفعلا اختار المؤتمر الوطني

---

(1) غرانت وتمبرلي ، المصدر السابق ، ص254.
(2) المصدر نفسه ، ص254.
(3) Artz,Frederick B.,Reaction and Revolution 1814-1832,London,1934,P.275.
(4) Rayner,Robert M.,Op.Cit,P.199.
(5) Lane,Peter,Op.Cit,P.163.
(6) Trollope,Anthony,Op.Cit,P.49.
(7) Marquis of Lorne,Op.Cit,P.68.
(8) Bell,Herbert,Op.Cit,Vol.1,P.121.

البلجيكي في الثالث من شباط 1831 الدوق دي نيمورس Duk De Nemours الابن الثاني للويس فيليب ليكون ملكا على بلجيكا [1] .

عارض بالمرستون بشدة ترشيح أمير فرنسي لعرش بلجيكا [2] ، وكتب بهذا الشأن مذكرة في الثامن من شباط 1831 الى سفيره في باريس اللورد غرينفل Lord Grenville [3] (1773-1846/1830-1835) قائلا فيها : "**إننا نفكر رغما عنا في الحرب ولكن إذا كان علينا أن نبذل جهدا جديدا فإن الفرصة الحالية مشروعة ، إننا نرى انه لايمكننا قبول ارتقاء دوق نيمورس لعرش بلجيكا دون تهديد لأمن بلادنا ، وبدون تضحية لشرفنا** " [4] . واستمر بالمرستون في تحذيره قائلا : " **أما نحن فإننا لانستطيع أن نعد المسألة البلجيكية على إنها تافهه ، ولايمكننا أن نسمح بإتحادها مع فرنسا ، لان هذا الاتحاد سيعطي لفرنسا مزيدا في قوتها وبطريقة مهددة لامننا ، إننا نعلم إننا سنجبر على محاربة فرنسا بعد مثل هذا الاتحاد ، وسيكون من الأولى أن نحاربها قبله** " [5] .

أصبح بالمرستون بعد ذلك يتكلم عن استعدادات بلاده العسكرية في حالة حدوث حرب مع فرنسا ، وزود سفيره في باريس بتعليمات إضافية قائلا فيها : " **توخى الحذر في جميع نقاشاتك مع وزير الخارجية سباستياني Sebastiani[6] (1771-1851/1830-1833) لجعله يفهم بأن رغبتنا في السلام سوف لاتقودنا ابدا الى الاستسلام** " [7] . وضع بالمرستون فرنسا أمام خيارين اما الحرب او السلام ، وفي اليوم التالي رفض الملك الفرنسي تولي ابنه العرش البلجيكي وأعلن لويس فيليب في نيسان

---

(1) Wood,Anthony,Op.Cit,P,160.

(2) Marriott,J.A.R.,The Evolution of Modern Europe 1453-1939,London(n.d),P.312.

(3) سياسي ورجل دولة بريطاني من الاحرار ، اشتهر بعمله الدبلوماسي الطويل في خدمة بريطانيا ، عاصر كل من الملك جورج الثالث وجورج الرابع والملك وليام الرابع والملكة فكتوريا ، جلس العموم عام 1795 ، اصبح سفيرا لدى روسيا في المدة 1804-1805 وذلك في المدة 1806-1812 ، خدم كسفير بلاده ايضا في فرنسا في المدة 1824-1828 ، وذلك في المدة 1830-1835 واخرى في المدة 1835-1841 للمزيد من التفاصيل ينظر: Granville,1st Earl Granville,Wikipedia,The Free Encyclopedia.

(4) Quoted in :Trollope,Anthony,Op.Cit,P.50.

(5) مقتبس في : بيير رونوفان ، تاريخ العلاقات الدولية 1815-1914،ترجمة : جلال يحيى ، الاسكندرية ،1968،ص73.

(6) سياسي وعسكري فرنسي ، انضم الى الجيش الفرنسي في شبابه، وخدم في جيش نابليون بونابرت ، عين سفيرا في الدولة العثمانية في 12 نيسان 1805 ، الذين فاوضوا الحلفاء لاستسلام فرنسا عام 1814، أصبح وزيرا للخارجية في المدة1830-1833، وفي عام 1833 وزيرا في صقلية ، وفي المدة 1835-1840 أصبح سفيرا في لندن ، وأقيل من منصبه بسبب تأييده لمحمد علي ، توفي في العشرين من تموز 1851، للمزيد ينظر: Genral Sebastiani,Wikipedia,The Free Encyclopedia

(7) Quoted in :Wood,Anthony,Op.Cit,P.160.

1831 انه ملتزم تماما مع بروتوكول كانون الثاني 1831 [1] ، وبذلك نجحت ضغوط بالمرستون على فرنسا حيث أجبرها على التراجع ، وكان ذلك نصرا كبيرا جدا لدبلوماسيته .

أسهم البلجيك أنفسهم في خلق الصعاب بأختيارهم الأمير الفرنسي ملكا على بلجيكا ، لذلك رشح بالمرستون الأمير ليوبولد Leopold [2] (1790-1865/1831-1865) من عائلة ساكس كوبرغ Saxe Coburg ليكون ملكا على بلجيكا في حزيران 1831 [3]. كان ليوبولد من وجهة نظر بالمرستون مرشحاً محايداً ومناسباً لقيادة بلجيكا ، إلا أن ملك بلجيكا الجديد اعترض على بروتوكول كانون الثاني ولاسيما إشراف هولندا على لوكسمبورغ وأراد أن تكون هذه المنطقة معزولة ضد أي غزو خارجي ، ورفض التضحية بلوكسمبورغ كجزء من التسوية في البداية [4].

وقف بالمرستون ضد هذا المطلب ، ولكن بعد عدة أشهر من الجدل ، غير بالمرستون بروتوكول كانون الثاني وأضاف شروطا جديدة كانت تصب في مصلحة بلجيكا ، منها الاعتراف بسيطرة بلجيكا على لوكسمبورغ [5] ، وخشي بالمرستون ان يرفض ليوبولد قبول العرش إلا عند الاستجابة لمطالبه التي عارضها الهولنديون أيضا[6] ، وفكر بالمرستون أن البلجيك يمكن أن يشكلون ، بدون ليوبولد ، جمهورية والتي بدورها سوف تصطدم مع هولندا وتصبح مركزا للنشاط الثوري في أوربا، لذلك أوضح لملك هولندا انه إذا رفض التنازل عن لوكسمبورغ لبلجيكا سيدخل الفرنسيون النزاع بوصفهم حلفاء لبلجيكا [7] .

أدى موقف بالمرستون المؤيد لضم لوكسمبورغ إلى بلجيكا أن قام ملك هولندا بإرسال قواته إلى بلجيكا في الأول من آب 1831 ، وفي تلك الأثناء طلب البلجيك المساعدة من

---

(1) Ziegler,Paul R.,Op.Cit,P.31.

(2) هو الابن الثالث لفرنسيس فردريك Francis Frederick دوق ساكس كوبرغ سالفلد (1750-1806) وهو خال الملكة فكتوريا ملكة بريطانيا (1819-1901) انتخب ليوبولد ملكا على بلجيكا بعد إنفصالها رسميا عن هولندا وإعلانها دولة مستقلة واستمر حكمه من 1831 وحتى 1865 تزوج من الاميرة شارلوت ابنة ملك بريطانيا جورج الرابع وبعد وفاتها تزوج من ابنة الملك الفرنسي لويس فيليب ، للمزيد من التفاصيل ينظر: The New Encyclopedia Britannica,Vol7,P.283.

(3) Marriott,J.A.R.,The Remaking of Modern Europe1789-1878,London,1944,P.134.

(4) Bidwell,W.H.,Op.Cit,P.125.

(5) Hollis,Christopher,European history 1815-1914,London,1929,PP.264-265.

(6) Lunt,W.E.,Op.Cit,P.660.

(7) Ziegler,Paul,Op.Cit,P.32.

الفرنسيين الذين لم يتأخروا في تقديمها ، وأنذرت هذه التطورات بحدوث حرب شاملة [1] . لم يعترف ملك هولندا بجميع الاتفاقات بخصوص بلجيكا وأختار إجتياح بلجيكا عسكريا ، كما تدخلت فرنسا أيضا وأرسلت قواتها الى هناك لمساعدة البلجيك ، وكان بالمرستون حريصا على عدم السماح للفرنسيين بإستغلال الموقف لصالحهم [2] ، وقد أظهر كفاءته السياسية في موقفه الحازم تجاه رفضه لبقاء القوات الفرنسية داخل الأراضي البلجيكية بعد تدخلها في القضية ، ولاسيما بعد إتمام مهمتها حين أجبر الفرنسيون القوات الهولندية على الانسحاب من بلجيكا [3] .

عاد بالمرستون مرة أخرى إلى اتخاذ موقف متشدد ضد فرنسا [4] ، وعلق في السابع عشر من آب 1831 حول ذلك قائلا : " **على الفرنسيين الخروج من بلجيكا فورا ، او ستكون هناك حرب شاملة في الايام القليلة القادمة** " [5]. إن أشد ما كان يقلق بالمرستون خلال تلك المرحلة هو حدوث تدخل عسكري من قبل القوى الاوربية الشرقية الثلاث لصالح هولندا [6] .

وكان بالمرستون يشك في نوايا فرنسا حيث اعتقد بأن هذا الاجتياح الهولندي كان بتحريض من فرنسا ، وفي أيلول 1831 كانت الثورة البولندية قد انتهت فأبدت كل من روسيا وبروسيا والنمسا استعدادها لإرسال قواتهم لطرد الفرنسيين [7] ، فما كان من بالمرستون إلا أن أبلغ فرنسا بخشونة بضرورة الجلاء عن بلجيكا ، ولم يكن صعبا على بالمرستون أن يتخذ موقفا قويا طالما كان موقف روسيا وبروسيا ضد فرنسا[8]. فوافق لويس فيليب على الانسحاب من بلجيكا في أيلول في حين أثار مسألة أخرى وهي تهديم بعض القلاع الحدودية مع بلجيكا والاستيلاء على بعضها الآخر [9].

طالب تاليران بوضوح بالاستيلاء على بعض القلاع والحصون على الحدود الفرنسية–البلجيكية ، كما طالب أيضا بضم لوكسمبورغ إلى فرنسا ، وكانت كل مساعي

---

[1] Lunt,W.E.,Op.Cit,P.660.
[2] Stratford,Esme Wingfield,Op.Cit,P.1010.
[3] حيدر صبري شاكر الخيقاني ، المصدر السابق ، ص259.
[4] غرانت وتمبرلي ، المصدر السابق ،ص 255.
[5] Quoted in :Wood,Anthony,Op.Cit,P.161.
[6] Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,P.119.
[7] Wood,Anthony,Op.Cit,P.161.
[8] Lunt,W.E.,Op.Cit,P.660.
[9] Marquis of Lorne,Op.Cit,P.70.

وجهود بالمرستون تتمحور حول منع تاليران من التوسع على حساب بلجيكا [1] ، ولم تكن مقترحات تاليران مقبولة بالنسبة لبالمرستون إذ كان يرى ان سياسة فرنسا لاتتفق ولاتنسجم مع مصالح بريطانيا ، وأعلن بالمرستون بأن أي مسعى فرنسي لضم أراضي جديدة إليها إنما يجعل التفاهم صعبا بين الدولتين ، وان أي مسعى أو مقترح بهذا الصدد أنما يجعل استمرار العلاقات بين الدولتين مستحيلا [2].

وأكد بالمرستون أن مطالب تاليران يصعب على الحكومة البريطانية الإيفاء بها وقال بخصوص هذا الموضوع : " **ليس لدينا صلاحية لنعطي مايعود لبلجيكا وليس لنا ، ولايمكن لنا تحت ذريعة حل النزاع بين هولندا وبلجيكا ، ان نتقدم لإيقاف أحد الطرفين ومقاومته على حساب الطرف المستفيد الثاني ، الى جانب ذلك ، فإن الواقع يقول انه إذا بدأت فرنسا بذلك فسيكون للآخرين الحق ان يحذوا حذوها** " [3] .

أصر وزير الخارجية الفرنسي سباستياني على موقف بلاده الرامي الى انتزاع أراضي جديدة وضمها لفرنسا ، وعمل بالمرستون بتواصل لحل تلك الأزمة [4] ، وبذل بالمرستون أقصى مالديه من جهود فيما يتعلق بتسوية موضوع تحديد الحدود بين فرنسا وبلجيكا من جهة ، وبين بلجيكا وهولندا من جهة أخرى [5] .

توصلت الدول الكبرى إلى اتفاق نهائي في لندن بخصوص قضية بلجيكا في الخامس عشر من تشرين الثاني 1831 ، يكون بموجبه الأمير ليوبولد ملكا على بلجيكا على شرط أن يتزوج من ابنة لويس فيليب لكي لاتغضب فرنسا [6] . وكانت فرنسا قد وافقت على تنصيب ليوبولد ملكا على بلجيكا بشرط أن يتم تهديم القلاع العسكرية القائمة على الحدود الفرنسية-البلجيكية والمخصصة للدفاع عن هذه المناطق الضعيفة ضد أطماع فرنسا [7] .

---

(1) Crawley,C.W.,Op.Cit,P.55.
(2) Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,P.121.
(3) Quoted in : Ibid,P.123.
(4) Crawley,C.W.,Op.Cit,P.55.
(5) Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,PP.129-132.
(6) محمد مبروك نافع ، أوربا في القرن التاسـ ـع عشـ ـر صـ ـفحات مـ ـن تـ ـاريخ الصـ ـراع بـ ـين الشـ ـعوب والحكومـ ـات ، ط2، مطبعة مصر، القاهرة ، 1929، ص108.
(7) ...ـسر خضر ، تطـ ـور العلاقـ ـات الدوليـ ـة مـ ـن الثـ ـورة الفرنسـ ـية وحتـ ـى بدايـ ـة الحـ ـرب العالميـ ـة الاولـ ـى 1789-1914، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس ، 1998، ص130.

امتنعت فرنسا عن التوقيع على معاهدة لندن الموقعة في تشرين الثاني 1831 مالم يتم حسم موضوع المعاقل لصالحها ، وقد إستغلت فرنسا هذا الموضوع لإتخاذه ذريعة لعدم المصادقة ، وحول هذا الموضوع كتب بالمرستون مذكرة الى الحكومة الفرنسية في كانون الثاني 1832 ، ردا على موقف فرنسا ، موضحا فيها " **بأن إزالة وهدم المعاقل الحدودية هو أمر يخص سيادة بلجيكا ، وإن علاقة فرنسا ببلجيكا يجب أن تكون مماثلة لعلاقات الدول الأخرى الرئيسة بها** " [1].

بذل بالمرستون جهودا إضافية لإقناع تاليران بضرورة تخلي فرنسا عن مطالبها والمصادقة على استقلال بلجيكا وحياديتها [2] ، ولم يرضخ بالمرستون للضغوط الفرنسية المطالبة بضم أراضي بلجيكية ، بل أقصى ماسمح به بالمرستون للويس فيليب هو إزالة بعض الحصون على الحدود البلجيكية [3] . ووافقت فرنسا على المصادقة على معاهدة لندن إذ لم يرغب لويس فيليب بإثارة الخلافات القديمة مع بريطانيا ، واقتنع بضرورة تعاون الدولتين لحل المشكلة [4] .

وتضمنت معاهدة لندن أيضا تأكيد ضمان حياد واستقلال بلجيكا ، ووضعت قيوداً ثانوية لسيطرة بلجيكا على لوكسمبورغ لإرضاء هولندا وأصبح نهر شيلدت Scheldt ، حرا للملاحة الدولية وفي المقابل طالب بالمرستون هولندا بأخلاء أنتويرب Antwerp الواقعة على الحدود البلجيكية–الهولندية [5] . وفي تلك المناسبة قال بالمرستون : " **وأخيرا يمكن لكم أن تباركوا لي وتتمنوا لي السعادة ففي صباح هذا اليوم وبين الساعة الثانية والثالثة تم التوقيع على معاهدة لندن بين الدول الخمس الكبرى والملك ليوبولد ، قد لايوافق ملك هولندا ولكنه في النهاية لن يكون قادرا على تعريض السلام في أوربا للخطر بعدما إتفقت كل الاطراف وبشكل متساوٍ على مقاومة ومنع ملك هولندا من أي تحرك مريب** " [6] .

---

(1) Quoted in :Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,P.137.

(2) حيدر صبري شاكر الخيقاني ، المصدر السابق ، ص259.

(3) Hollis,Christopher,Op.Cit,PP.262-263.

(4) ه.ا.ل.فشر ، تاريخ أوربا في العصر الحديث 1789-1950، ترجمة: احمد نجيب هاشم ـ م وديع الضبع ، ط9، دار المعارف ، القاهرة ، 1993، ص ص 144-145.

(5) Ziegler,Paul R.,Op.Cit,P.32.

(6) Quoted in :Bell,HerbertC.F.,Op.Cit,Vol.1,P.136.

رفض ملك هولندا الجلاء عن انتويرب او قبول معاهدة لندن ، وحسم بالمرستون الأمر بتدخل جيش فرنسي بالاشتراك مع اسطول فرنسي–بريطاني وقاموا بطرد الهولنديين نهائيا من بلجيكا في آذار 1832[1] . إنسحبت بعد ذلك كل من فرنسا وبريطانيا تاركين بلجيكا تتمتع بأستقلالها وفق الترتيب الذي أقرته الدول الكبرى عدا هولندا في لندن في الخامس عشر من تشرين الثاني 1831، ولم تحاول هولندا القيام بعمل عسكري مضاد[2].

كما دافع بالمرستون عن سياسته تجاه بلجيكا في خطاب ألقاه في مجلس العموم في السادس والعشرين من آذار 1832 قائلاً: " **انه من الضروري ان نضع هذه الدولة [بلجيكا] كمملكة مستقلة ، وتم تحقيق هذا الهدف عن طريق الاجراءات التي باشرنا بها ، وكل ما أردت قوله بخصوص هذه القضية هو أن السماح بتقسيم بلجيكا الى عدة أقسام لغرض إخضاعها لسيطرة الدول المجاورة هو إجراء مسرف ومهين بالنسبة لهذه الدولة . كما أن الاحداث التي حصلت حددت مصير هذه المسألة بشكل كلي ، إذ اثارت الحملة التي قام بها ملك هولندا ضد بلجيكا والأحداث التي حصلت عند انتويرب استياء الشعب البلجيكي ، ومنذ تلك اللحظة أصبح من المستحيل ضم هاتين الدولتين تحت عرش واحد** " [3] .

واستمر بالمرستون في حديثه قائلا : " **والآن أنا أقول انه من الواضح بأن هذه الوحدة لايمكن لها أن تتحقق وإن الإنفصال أصبح ضرورة ملحة ، لذا فان سياسة بريطانيا تهدف الى ضمان السلام في أوربا ولم تنظر فقط الى مصالحها ، في تاسيس دولة بلجيكية مستقلة بشكل كامل وأساسي ، والتاكد من انه لم يضح بمصالح هولندا هذه هي سياسة وواجب هذه الدولة [بريطانيا] من أن لاتصبح شريكة في الاجراءات التي يمكن أن تضحي بمصالح هولندا** " [4] .

---

(1) غرانت وتمبرلي ، المصدر السابق ، ص 255.

(2) Lunt,W.E.,Op.Cit,P.660.

(3) Quoted in :Francis,George Henry,Op.Cit,PP.195-196.

(4) Quoted in :Ibid,P.196.

وتأخرت مصادقة ملك هولندا على معاهدة لندن حتى عام 1839 ، وتم ذلك أيضا بأشراف بالمرستون [1] ، إذ استمر بمتابعة قضية بلجيكا حتى النهاية وكان ذلك إنجازا مهما لدبلوماسية بالمرستون وسياسته الخارجية [2] .

إتضح لنا من خلال سير الأحداث أن كل من بريطانيا وفرنسا كانتا تؤيدان إنفصال بلجيكا عن هولندا وقيام دولة مستقلة فيها إلا إنهما اختلفتا في الأهداف ، ففرنسا كانت تطمح بضم بلجيكا الى أراضيها أو جعلها دولة تابعة لها ، بدليل قبولها ترشيح المؤتمر الوطني البلجيكي للدوق نيمورس ملكا على بلجيكا ، أما بريطانيا فكانت ممثلة بوزير خارجيتها بالمرستون الذي كان همه الوحيد هو مصلحة بريطانيا وتظاهر بعطفه على الحركات القومية ، فقد أيد استقلال بلجيكا بشكل نهائي وبعيد عن نفوذ كل من هولندا وفرنسا وبذلك اتحدت الدولتان في العمل واختلفتا في الأهداف .

وبعد استقلال بلجيكا عبر بالمرستون عن الدور الذي أدته بريطانيا في القضية البلجيكية ، قائلا: " **انهم مدينون لنا بإستقلالهم أكثر مما هم مدينون للفرنسيين ، ولولا تدخلنا لكانت بلجيكا أما موحدة مع هولندا بشكل تام أو أحد الاقاليم الفرنسية**"[3].

كان بالمرستون منذ وصوله الى منصب وزارة الخارجية يسيطر على معظم المناقشات الخاصة ببلجيكا ، وإستخدم مزيجا من الإقناع والترغيب ليجعل المؤتمر ينفذ مشيئته [4]، وإستفاد من إجتياح الفرنسيين لبلجيكا لتهديد الهولنديين وإخلاء المنطقة ، كما استخدم التهديد الفرنسي للحصول على تنازلات من القوى الشرقية للقبول باستقلال وحياد بلجيكا ، وبذلك كسب بالمرستون من الدول الشرقية أكثر مما كان يتمناه ، وبدأ منذ ذلك الوقت برسم مسار لنفسه في شؤون بلاده الخارجية [5] ، وحقق نجاحا مذهلا باستخدامه الإقناع الممزوج بالشدة والجرأة للدفاع عن المصالح البريطانية دون أن يورط بلاده في أي صراع أوربي ، وتحقيق استقلال بلجيكا كان تجسيدا لهذا النجاح [6] .

---

(1) **Encor,R.C.K.,England 1870-1914,Oxford,1966,P. 491.**
(2) **Bell,Herbert,C.F.,Op.Cit,Vol.1,P.138.**
(3) **مقتبس في : حيدر صبري شاكر الخيقاني ، المصدر السابق ، ص260.**
(4) **Ziegler,Paul R.,Op.Cit,PP.33-34.**
(5) **Stratford,Esme Wingfield,Op.Cit,P.1012.**
(6) **Crawley,C.W.,Op.Cit,P.55.**

ثالثا: سياسته تجاه الأحداث في البرتغال وأسبانيا 1830-1834

اعتقد بالمرستون أن طبيعة النظام السياسي البريطاني فيما يخص مسؤولية الحكومة أمام البرلمان يمكن أن يكون صالحا لجميع الدول الأوربية ، وان نظام الحكم في بريطانيا يمكن اقتباسه من لدن جميع الدول الأوربية ، وقد أشار إلى ذلك في الخطابات التي ألقاها في مجلس العموم بعد توليه وزارة الخارجية ، وأعلن بالمرستون في الثاني عشر من آب 1832 ، انه سيدعم الحركات الدستورية والتحررية في أوربا [(1)]، وأكد أن أية حكومة بريطانية سوف تكون مقصرة في تأدية واجبها في حالة عدم اهتمامها بمصالح الدول الدستورية التي هي حليفة بريطانيا ، وكسب بالمرستون بسبب توجهاته تلك دعم الاحرار في الداخل والخارج لسياسته ، وذلك عندما دعا حكام الدول الأوربية بشكل غير مباشر إلى تنفيذ إصلاحات ليبرالية في بلادهم لتجنب إعلان الثورة ضدهم [(2)] .

استمرت أزمة العرش في البرتغال بعد إستيلاء دون ميغويل بالقوة على العرش منذ عام 1828 ، وأبعد ابنة أخيه دونا ماريا الوريثة الشرعية لعرش البرتغال [(3)] ، وكان ميغويل يتباهى بحكمه الاستبدادي المطلق الذي لقي إعجاب الدول الأوربية الشرقية الثلاث [(4)] ، وذلك لان ميغويل ألغى الدستور البرتغالي وسعى إلى إقامة حكم ملكي مطلق في البرتغال [(5)] .

كان بالمرستون يطمح إلى التخلص من الحكم المطلق في شبه الجزيرة الايبيرية ، وحاول التعاون مع فرنسا للوصول الى هذه الغاية [(6)] ، وأدرك بالمرستون إن توازن القوى في أوربا سيختل فيما لو نجح ميغويل في البقاء في حكم البرتغال لذلك قرر تقديم الدعم للدستوريين في البرتغال الذين يؤيدون الملكة دونا ماريا من خلال تعاون القوتين البحريتين البريطانية والفرنسية [(7)] .

وفي البرتغال أصبح دون ميغويل " **شخصا لايطاق** " حسب تعبير بالمرستون حيث أقدم ضباطه على سجن وإساءة معاملة الرعايا البريطانيين ، وقام ربابنة سفنه بالاستيلاء

---

(1) حيدر صبري شاكر الخيقاني ، المصدر السابق ، ص 260.
(2) The New Encyclopeadia Britannica,Vol.13,PP.936-937.
(3) Ziegler,Paul R.,Op.Cit,P.43.
(4) Bell,HerbertC.F.,Op.Cit,Vol.1,P.140.
(5) Joy,James Richard,Op.Cit,P.51.
(6) Mowat,R.B.,A History of Europe and the Modern World 1492-1928,Oxford,1931, P.631.
(7) Bell,HerbertC.F.,Op.Cit,Vol.1,P.140.

على المراكب البحرية البريطانية ، وفعل ميغويل شيئا مماثلا مع الرعايا الفرنسيين [1] . وكان التدخل الفوري في البرتغال هو الأمر الذي يهم بالمرستون كثيرا ، وكان رئيس الوزراء البريطاني غراي متفقا مع وجهة نظر بالمرستون من حيث خطورة الوضع في البرتغال على الأمن الأوربي [2] .

كان بالمرستون ، كأحد أتباع كاننغ ، يسعى الى تبني الأنظمة الدستورية في أوربا ، كأحد الركائز الأساسية لسياسته الخارجية ، طالما كان ذلك يصب في مصلحة بريطانيا ويوسع نفوذها في القارة الأوربية [3] ، وفي تلك الأثناء عاد بيدرو الأول Pedro I of Brazil [4](1798-1834/1822-1831) إمبراطور البرازيل الى البرتغال لاستعادة العرش من أخيه الأصغر ميغويل وتنصيب ابنته دوناماريا ملكة دستورية على البرتغال[5].

وصل بيدرو إلى أوربا وجمع الأسلحة والمال والمرتزقة لتنصيب ابنته على العرش ، ونزل أنصاره بالقرب من اوبرتو Oporto في الثامن من تموز 1832 [6] ، وعندما عرض بالمرستون دعمه للدستوريين بإرسال الجنود البريطانيين إلى البرتغال دعا عضو مجلس العموم اللورد دربي Lord Derby [7](1799-1869) إلى تبني سياسة الحياد

---

(1) Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,P.54.
(2) Bell,HerbertC.F.,Op.Cit,Vol.1,PP.140-144.
(3) Wood,Anthony,Op.Cit,P.161.
(4) هو الابن الاول لملك البرتغال جون السادس John VI غادر البرتغال مع اسرته بعد اجتياحها من قبل نابليون عام 1808 ، بقيت الاسرة المالكة البرتغالية في البرازيل لمدة 13 ... أصبح بيدرو امبراطورا على البرازيل عام 1822 باسم بيدرو الاول ، وبعد وفاة جون الخامس في 10 آذار 1826 أصبح بيدرو ملكا على البرتغال باسم بيدرو الرابع ، وأصدر دستورا جديدا لمملكة البريغال نص على تخليه عن العرش لابنته ماريا ... التي كانت بعمر 7 سنوات ، وفي عام 1828 استولى ميغويل شقيق بيدرو على العرش البرتغالي ، وعاد بيدرو بعد تنازله عن عرش البرازيل الى ابنه بيدرو الثاني ... 1831 ... ضد أخيه ميغويل ... التي انتهت بهزيمة الاخير عام 1834 ، وتوفي بيدرو في نفس العام، للمزيد من التفاصيل ينظر : The New Encyclopeadia Britannica,Vol.9,PP.235-236.
(5) Hawkins,Angus,The Forgotten Prime Minister Of The 14th Earl Of Derby 1799-1851,Vol.1,Oxford University Press,2007,P.137.
(6) Internet:History Of the Modern Word 1815-1910,The Terror in Portugal.
(7) إدوارد جورج جفري سمث ستانلي دربي Edward Georg Geoffery Stanly Derby سياسي بريطاني ولد في عام 1799 ودخل البرلمان عام 1820 ... عام 1830 ... لشؤون ايرلندا وفي المدة 1841-1845 أصبح وزيرا للمستعمرات في حكومة المحافظين ، أصبح الايرل الرابع عشر دربي عام 1851 وتولى رئاسة الوزراء ثلاث مرات من شباط 1852 الى كانون الاول 1852 ، ومن شباط 1858 الى حزيران 1859 ، ومن حزيران 1866 وحتى شباط 1868 ... من منصبه ... عام 1868 وتوفي في تشرين الثاني 1869 ... لمزيد من التفاصيل ينظر : آلن بالمر ، المصدر السابق ، ج1، ص245.

في الأزمة ، والامتناع عن التدخل بشكل منفرد ، وبعد نقاشات مطولة قررت الحكومة البريطانية التدخل مع اسبانيا وفرنسا في البرتغال لدعم الدستوريين [1].

أيد الدستوريون في البرتغال واسبانيا وبريطانيا بيدرو في حربه ضدّ أخيه ميغويل ، كما شاركت في هذه الحرب فرق عسكرية بريطانية وفرنسية كبيرة ، دخل بيدرو اوبرتو في التاسع من تموز 1832 وهاجم جيش ميغويل [2]، وفي تلك الأثناء سمح بالمرستون عام 1832 للمتطوعين البريطانيين لمساعدة قوات بيدرو ، وأرسل الأميرال شارل نابير Charlis Napier مع مجموعة من السفن البريطانية الى البرتغال ، فتركزت المعارك على مدار عام كامل حول مدينة اوبرتو [3]، واستطاع قائد الاسطول البريطاني شارل نابير من هزيمة الاسطول الموالي لميغويل في معركة رأس سانت فينسنت Cape St.Vincent في الرابع والعشرين من تموز 1833 ، ودخل بيدرو لشبونة في آب 1833 وسيطر على المدن الرئيسة [4].

أثار تدخل بالمرستون في البرتغال قلقا كبيرا لدى كل من النمسا وروسيا وبروسيا وعقد المستشار النمساوي مترنيخ Metternich [5] (1772-1859/1821-1848) اجتماعا في الثامن عشر من ايلول 1833 مع القيصر الروسي نيقولا الاول Nicholas I [6] (1796-1855/1825-1855) في مدينة مونشينغراتز Munchengratz [7] في جيكوسلوفكيا ، اتفق فيه الطرفان على تقديم المساعدة المتبادلة ضد أي ثورة داخلية في بلدانهم ، ثم عقدت روسيا والنمسا وبروسيا بعد شهر اجتماعا في برلين وقع فيه اتفاق

---

(1) Hawkins,Angus,Op.Cit,Vol.1,P.137

(2) Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,P.55.

(3) Ziegler,Paul R.,Op.Cit,P.44.

(4) Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,P.55.

(5) وُلد كليمنس مترنيخ في كوبلنس في النمسا ، خدم كدبلوماسي نمساوي في درسدن الالمانية للمـ ـ دة 1801-1803 وفـ ـ ي بـ ـ رلين 1803-1806 فيرا قـ ـ ي بـ ـ اريس فـ ـ ي المـ ـ دة 1806-1809 أصـ ـ بح وزيف ـ رلي الحكومـ ـ ـة النمساوية عام 1809 ، ادخل النمسا في التحالف الروسي-البروسي ضد نابليون ، ترأس مؤتمر فينا 1814-1815 ، اصبح مستشارا للامبراطور النمساوي عام 1821، واستمر حتى ابعدته ثورات 1848 الى المنفى في لندن ، عاد الى النمسا عام 1849 ، معتزلا السياسة ، توفي عام 1859 للمزيد من التفاصيل ينظر: نعـ ـ يم كـ ـ ريم عجيمـ ـ ي الشويلي ، مترنيخ ودوره السياسي في اوربا 1809-1823، اطروحة دكتوراه ، كلية الاداب ، جامعة بغداد 2006 .

(6) هو قيصر روسيا وملك بولندا والدوق الكبير لفنلنده، تولى الحكم بعد أخيه الاسـ ـ كندر الاول ،اتفقـ ـ ت سياسـ ـ ـة نيقـ ـ ولا الخارجية مع سياسة متـ ـ رنيخ المعادية ـ ـة للثـ ـ ورات فـ ـ ي اتفاقيـ ـ ـة مونشـ ،سينغراتز 1833 ولا الثـ ـ ورة البولنديـ ـ ـة عـ ـ ام 1831 واستخدم نفس الاسلوب ضد ثورات اوربا 1848 ... دة خنكـ ـ ار اسـ ـ كله سـ ـ ي الدفاعيـ ـ ـة مـ ـ ع الدولـ ـ ـة ... ن عـ ـ داءه الشـ ـ ديد لهـ ـ ا ادى الـ ـ ى دخولـ ـ ه حـ ـ رب القـ ـ رم ضـ ـ دها عـ ـ ام 1853-1856 وفي اثنـ ـ اء الحـ ـ رب فـ ـ ي 18شباط عام 1855، للمزيد ينظر: The New Encyclopadia Britannica,Vol.8,P.684.

(7) للمزيد من التفاصيل حول اتفاقية مونشينغراتز ينظر :

Hurewitz,J.C.,The Middle East And North Africa in World Politics(1535-1914), Adocumentary Record,Vol.1,London,1975,P.254.

نص على مساعدة أي ملك يطلب العون ضد الحركات الدستورية المتمردة ، ونجح مترنيخ في إعادة إقامة علاقات دبلوماسية وثيقة بين ثلاث من دول أوربا الشرقية ذات الحكم المطلق التي كانت ترتبط في ذهن بالمرستون بالحلف المقدس [1].

وفي التاسع والعشرين من أيلول 1833 توفي ملك اسبانيا فردناند السابع Ferdinand VII [2] (1784–1833/1808–1833) وترك وراءه طفلتين صغيرتين رُزق بهما من زوجته الرابعة ماريا كرستينا Miria Cristina ، وأكد في وصيته ان تكون ابنته الكبرى إيزابيلا الثانية Isabella II [3] (1830–1904/1833–1868) ملكة على اسبانيا وتكون والدتها وصية عليها ، وقبل ولادة هذه الطفلة كان ولي العهد الاسباني دون كارلوس Don Carlos [4] (1788–1855) شقيق فردناند ونتيجة لذلك ابتليت اسبانيا بالصراع على العرش كما حدث تماما في البرتغال[5] ، حيث وقف أنصار الحكم المطلق إلى جانب دون كارلوس في حين ساند الدستوريون الملكة ايزابيلا الثانية [6].

حاول بالمرستون إقناع الفرنسيين بالعمل معا للتخلص من الحكم الاستبدادي في شبه جزيرة ايبيريا ، ولاسيما بعد أن علم بالمرستون بمحاولة دون كارلوس التدخل في البرتغال الى جانب ميغويل عام 1833[1] ، وفي الوقت الذي توفي فيه فردناند كان كارلوس مع

---

(1) Hurewitz,J.C.,Op.Cit,P.254.

(2) هو ابن شارل الرابع ،توج ملكا على اسبانيا في آذار عام 1808 وبعد استيلاء نابليون على اسبانيا،نفي فردناند الى فرنسا ، عاد الى عرشه في اسبانيا عام 1815، نشبت ضده ثورة دستورية عام 1820، فتدخل ملك فرنسا لويس الثامن عشر بعلم بريطانيا 1823 واطاح بتلك الثورة، لم ينجب فردناند اطفالا من زيجاته الثلاث ، ومال انصاره الى أخيه كارلوس ، وفي عام 1830 أنجبت زوجته طفلة وهي ايزابيلا الثانية ، فأصبحت وريثة العرش الاسباني بعد وفاته عام 1833 ونشب نزاع بين ابنته وانصاره الليبراليون وبين دون كارلوس،للمزيد ينظر: The New Encyclopedia Britannica,Vol.4,P.732.

(3) هي ابنة فردناند السابع وماريا كريستيسنا تولت العرش بعد وفاة والدها عام 1833 ذات ثلاث سنوات تحت وصاية والدتها والجنرال اسبارتيرو Espartero طالب عمها دون كارلوس Don Carlos بالعرش الاسباني ، وحدثت حرب اهلية انتهت بهزيمة كارلوس ، تولت الحكم المباشر عام 1843 لم تستقر الاوضاع السياسية في البلاد في عهدها ، عزلت عن الحكم اثر ثورة عام 1868، وخلفها ولدها الفونسوالثاني عشرْ Alfonso XII،توفيت في باريس 1904،للمزيد من التفاصيل ينظر :

The New Encyclopedia Britannica,Vol.6,p.398.

(4) هوالابن الثاني للملك شارل الرابع ملك اسبانيا ،طالب بالعرش الاسباني بعد وفاة اخيه الاكبر فردناند السابع ، بدأت مقدمات الحرب الكارلسية الاولى Carlist 1st بين كارلوس وانصار الملكة الطفلة ايزابيلا الثانية ، استمر كارلوس بقيادة الحرب الاهلية الاسبانية ضد ابنة اخيه حتى آب 1839 ونفي كارلوس الى المنفى ، وفي آيار 1845 تخلى عن جميع حقوقه في العرش الاسباني لابنه الاكبر كارلوس لويس، للمزيد من التفاصيل ينظر : The New Encyclopedia Britannica,Vol.2,P.872.

(5) Guedalla,Philip,Op.Cit,P.153.

(6) Lane,Peter,Op.Cit,P.163.

(1) Ziegler,Paul R.,Op.Cit,P.44.

ميغويل في مدينة ايفورا البرتغالية [2]، ومن المرجح انه كان ينوي التحرك للاستيلاء على العرش الاسباني ، لذلك اقتنع بالمرستون بضرورة اتخاذ اجراء حاسم للتعامل مع المطالبين بالعرش ، واتضح ذلك في رسالته الى اخيه وليم تمبل بقوله : " **ان ما سنقوم به ليس فقط تسوية القضية في البرتغال بل اننا سنجد طريقة ما لتسوية الاوضاع في اسبانيا ايضا** " [3].

اعتمد كارلوس على أقاليم الشمال وعلى رجال الدين بينما ايد الدستوريون ايزابيلا الثانية ، وساندت الدول الشرقية الثلاث كارلوس وارسل مترنيخ اسلحة ومعونات اليه[4]، في حين ركز بالمرستون جهوده لمساعدة الدستوريين من خلال تقديم الدعم اللازم لأنصار الملكة ايزابيلا الثانية ، على امل ان ذلك سوف يقود الى تأسيس حكومات ليبرالية وديمقراطية [5].

انتقد زعيم المحافظين في مجلس العموم روبرت بيل سياسة بالمرستون تجاه أزمة العرش في اسبانيا والبرتغال ، فوقف بالمرستون مدافعا عن سياسته في جلسة مجلس العموم المنعقدة في الرابع من شباط 1834 قائلا : " **يؤمن السيد النبيل [روبرت بيل] انه كنتيجة للسياسة التي اتبعتها هذه الدولة في التدخل في شؤون البرتغال امتدت الحرب الأهلية من البرتغال الى اسبانيا ، انا اعتقد بان أي شخص شهد مجرى الأحداث في اسبانيا بأن الحرب الأهلية التي حصلت هناك ليس لها أي علاقة بشؤون البرتغال ، وإنها انبثقت فقط بسبب ما حدث في اسبانيا نفسها** " [6].

سعى بالمرستون من خلال سياسته تجاه اسبانيا والبرتغال إلى أن يكون لبريطانيا دور فعال في المحافظة على توازن القوى في أوربا ، وبعد اجتماع ميونشيغراتز بين روسيا والنمسا وبروسيا عام 1833 [7]، والذي تم بفضل مترنيخ بذل بالمرستون جهودا حثيثة لتشكيل تحالف من الدول الدستورية ليكون ندا للتحالف الثلاثي[8].

---

(2) **Littlefield,Henry W.,History of Europe Since 1815,New York ,1957,P.29.**

(3) **Quoted in :Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,P.57.**

(4) **بيير رونوفان ، المصدر السابق ، ص124.**

(5) **Lane,Peter,Op.Cit,P.163.**

(6) **Quoted in : Francis,George Henry,Op.Cit,P.252.**

(7) **Bidwell,W.H.,Op.Cit,P.126.**

(8) **Cook , Chris&Stevenson , John , Modern European history 1763-1985 , London , 1987 , P.289.**

ونتيجة لذلك انقسمت أوربا إلى معسكرين متضادين ، دول التحالف الثلاثي من جهة ، والتي تميل إلى دعم أنظمة الحكم الاستبدادية [1]، وبريطانيا وفرنسا من جهة أخرى واللتين كانتا تمثلان أنظمة الحكم الدستورية ، لذلك أيدت بريطانيا وفرنسا ملكة البرتغال دونا ماريا وملكة اسبانيا إيزابيلا الثانية وأنصارهما الدستوريين ضد كل من ميغويل وكارلوس المطالبين بالعرش واللذين تدعمهم دول التحالف الثلاثي [2].

استمر بالمرستون في بذل جهوده لتشكيل تحالف يضم الدول الدستورية المؤيدة لسياسته [3]، واتضح ذلك في رسالته إلى أخيه وليم المؤرخة في الحادي والعشرين من نيسان 1834 ، إذ قال ما نصه : " **أنا مشغول بتكوين التحالف الرباعي بين بريطانيا وفرنسا واسبانيا والبرتغال ، بهدف طرد كل من كارلوس وميغويل من شبه جزيرة أيبيريا . أنا أنجزت ذلك بداخل الحكومة ووضعتهم أمام الأمر الواقع وبدون إعطائهم أي فرصة للاعتراض ، أنا سوف احسم قضية البرتغال وسوف اتجه لحسم قضية اسبانيا كذلك ، ما يهم في الأمر هو انه سيتم تأسيس التحالف الرباعي بين دول الغرب والذي سيخدم كنفوذ موازن وقوي للتحالف الثلاثي من جهة الشرق** " [4] .

وقع التحالف الرباعي في الثاني والعشرين من نيسان 1834 بين كل من بريطانيا وفرنسا واسبانيا والبرتغال [5]، واتفقت بريطانيا وفرنسا بموجب هذا التحالف لتقديم الدعم والحفاظ على عرشي اسبانيا والبرتغال نيابة عن إيزابيلا وماريا [6]، والدفاع عن الملكتين الطفلتين من مكائد عميهما كارلوس وميغويل [7]، وكان بالمرستون يريد تأمين الحرية والدستور تحت حكم الملكتين بدلا من الاستبدادية تحت حكم عميهما ، حسب اعتقاد بالمرستون [8].

ووصف بالمرستون توقيع التحالف الرباعي بانه خطوة مهمة نحو دعم انظمة الحكم الليبرالية والدستورية في اوربا ، وقال في هذا الصدد : " **هذا التحالف هو علامة فارقة**

---

(1) **Issaac,Jules (and others),De La Revolution De 1789 Ala Revolution De 1848, Paris,1960,P.485.**
(2) **Howat,G.M.D.,Dictionary of World history,London,1973,P.1134.**
(3) **Stratford,Esme Wingfield,Op.Cit,P.1012.**
(4) **Quoted in :Lane,Peter,Op.Cit,P.163.**
(5) **Wiener,Joel H.,Great Britain Foreign Policy and the Span of Empire 1689-1971 A Documentary History,Vol.1,London(n.d),P.305.**
(6) **Wood,Anthony,Op.Cit,P.161.**
(7) **Temperley,Harold,Op.Cit,P.61.**
(8) **Ficouelmont,Le Comte De,OP.Cit,p.122.**

من بين كل ما انجزت من اعمال " [1]، وأضاف بالمرستون ايضا : " **ان ذلك سيكون بمثابة ضربة قوية تؤدي الى تسوية الوضع في البرتغال وتسويته في اسبانيا كذلك** " ، وختم بالمرستون كلامه بالقول :" **اتمنى ان ارى وجه مترنيخ وهو يقرأ بنود اتفاقنا هذا** " [2].

انزعج مترنيخ لسماعه انباء توقيع التحالف الرباعي ، وكان ينوي التدخل الى جانب كارلوس في اسبانيا واتضح ذلك من خلال ما كتبه الى سفيره في باريس ، إذ قال :" **إن ايزابيلا تمثل تجسيدا للثورة في شكلها الأكثر خطورة ، وان دون كارلوس يمثل المفهوم الملكي المرتبط بالثورة الواضحة** " [3]. مما يؤكد استعداد مترنيخ لدعم كارلوس والحكم المطلق .

في تلك الأثناء حققت قوات بيدرو انتصارا كبيرا على جيش ميغول في البرتغال ، وفي الرابع والعشرين من مايس 1834 تنازل ميغول عن مطالبته بعرش البرتغال ومنح راتبا سنويا ، ونفي الى جنوا في ايطاليا ، وأعاد بيدرو الدستور الى البرتغال ونصب ابنته على العرش باسم ماريا الثانية [4] . وكان ذلك انتصارا مهما لسياسة بالمرستون الخارجية [5] ، وكتب في السابع والعشرين من حزيران 1834 بهذا الصدد قائلا : " **لم يكن هناك شيء يسير بشكل جيد مثل التحالف الرباعي ، حيث أدى إلى نهاية حرب قد استمرت طويلا ، وان ميغويل قد اجبر على الاستسلام** " [6] .

كان الانتصار العسكري في البرتغال والمرتقب في اسبانيا من الآثار الدبلوماسية للتحالف الرباعي ، فقد سيطر بالمرستون ببراعة على قدرات فرنسا لاستغلال الوضع في شبه جزيرة أيبيريا لصالحها ، واستخدم بالمرستون هذا التكتيك في وقت سابق عندما استعمل الفرنسيين في إخراج الجيش الهولندي من بلجيكا ، واستطاع بالمرستون ان يحافظ على ميزان القوى في أوربا من خلال تشكيل التحالف الرباعي لموازنة تحالف الدول الشرقية [7] .

---

(1) Quoted in :Marquis of Lane,Op.Cit,P.71.
(2) Quoted in :Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,P.147.
(3) Quoted in :Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,P.58.
(4) Barlen,M.E.,The Foundations of Modern Europe 1789-1871,London,1969,P.237.
(5) Mowat,R.B.,Op.Cit,P.631.
(6) Quoted in : Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,P.58.
(7) Wilks,Washington,Palmerston in three Epochs,p.21.

وكانت المسألة الأهم بالنسبة لبالمرستون هي الرد على الاتفاقية المعقودة بين الدول الشرقية الثلاث ، ولكن المنافسة بين النفوذ الفرنسي والبريطاني ظهرت بوضوح مع تفاقم الوضع في اسبانيا ، كما حرص بالمرستون على عدم وقوع اسبانيا تحت سيطرة النفوذ الفرنسي [1] ، وفي الواقع ان بالمرستون لم يكن يثق بالفرنسيين ومملكتهم الدستورية ، وكان يطمح أن يسيطر على شركائه في التحالف الرباعي سيطرة تامة[2].

وفي الواقع إن التحالف البريطاني-الفرنسي كان هشا ومتناقضا ولم يحظ بشعبية لا في بريطانيا ولا في فرنسا ، وكانت بريطانيا تريد فتح الأسواق الفرنسية أمام البضائع البريطانية ، لكن فرنسا ظلت مرتبطة بمبدأ الحماية من المنافسة الأجنبية ، كما نظر بالمرستون بقلق إلى توسع فرنسا في الجزائر وشمال أفريقيا [3] .

بدا الفرنسيون يحتجون على سيطرة بريطانيا على التحالف الرباعي وبينوا انه مثلما لبريطانيا الحق في السيطرة والهيمنة في البرتغال ، فأن لهم الحق نفسه في اسبانيا ، لذلك توترت العلاقات بينهما [4] . كما إن دعم التحالف الرباعي للملكة إيزابيلا لم يترجم إلى الواقع العملي ، لاسيما بعد ان تراجعت فرنسا عن تأدية أي دور رئيس في الحرب الأهلية في اسبانيا ، ورفض لويس فيليب ان يعرض حياة الجنود الفرنسيين للخطر بأرسالهم الى اسبانيا ، ولجأ بالمرستون إلى إتباع الأساليب التي استخدمها في البرتغال إذ سمح للمرتزقة بالانضمام إلى جانب الملكة ايزابيلا الثانية [5] .

التقى بالمرستون مع تاليران في تموز 1834 ليتباحثا حول ضرورة إدراج شروط إضافية من بينها منع أنصار كارلوس من تهريب السلاح عبر الأراضي الفرنسية وان على بريطانيا تجهيز الملكة إيزابيلا بما تحتاج اليه من سلاح وعتاد ، ومع ذلك فلم يصلا الى نتيجة حاسمة وواضحة ، لان الطرفين الفرنسي والبريطاني لم يظهرا مرة أخرى تفاهما وتوافقا في الآراء [6] .

ودعم بالمرستون للحركات الدستورية وضعه في المواجهه المباشرة مع المعارضة من حزب المحافظين الذين دافعوا عن كارلوس ، وجادل بالمرستون بان هذه الحرب لم

(1) بيير رونوفان ، المصدر السابق ، ص125.
(2) Stratford,Esme Wingfield,Op.Cit,P.1013.
(3) Issaac,Jules (and others),Op.Cit,P.485.
(4) The New Encyclopedia Britannica,Vol.13,P.937.
(5) Ziegler,Paul R.,Op.Cit,PP.45.
(6) Bell,Herbert F.C.,Op.Cit,Vol.1,P.149.

تكلف بريطانيا شيئا من المال لأنها ستقع على عاتق الحكومة الاسبانية ، كما واجه بالمرستون مشاكل أخرى تمثلت في انقسام أنصار الملكة ايزابيلا على انفسهم بين معتدلين ومتطرفين وتوجب عليه التوفيق بينهم وذلك قبل ان يترك وزارة الخارجية نتيجة لسقوط حكومة غراي وتشكيل حكومة من المحافظين [1].

رابعا: موقف بالمرستون من الأحداث الثورية في ايطاليا وألمانيا وبولندا 1830-1834 :-

أحدثت ثورة تموز عام 1830 في فرنسا أثرا قويا في الدويلات الايطالية التي كانت شديدة التأثر بكل مايحدث في فرنسا ، فنظمت الجمعيات السرية الايطالية [2] تمردا في مودينا Modena وبولونيا Polona وهاتان من اكبر المدن التابعة للولايات البابوية ، وامتدت الثورة بعد ذلك الى مناطق اخرى [3] ، وحدثت إضطرابات في روما Roma وبارما Parma ورفع الثوار رايات النصر لأيام معدودة في معظم الدويلات التابعة للبابا ، وفي الخامس من شباط 1831 تأسست في المناطق التابعة للبابا حكومة مؤقتة من ممثلي الاقاليم الحرة في ايطاليا وتركزت أهدافها في مقاومة الاستبداد وتخليص ايطاليا من هيمنة النمسا [4] .

خشي بالمرستون ان تستغل فرنسا الاضطرابات الثورية في ايطاليا لمحاولة إستعادة هيمنتها المفقودة في ايطاليا منذ مؤتمر فينا ، ومن جهة اخرى عارض بالمرستون سياسة مترنيخ في قمع الحركة الدستورية في ايطاليا [5] . وازداد قلق بالمرستون عندما استنجد البابا غريغوري السادس عشر Grigory XVI في شباط 1831 بمترنيخ لإخماد الثورة في الدويلات البابوية التابعة لروما عاصمة البابا [6] .

---

(1) Ziegler,Paul R.,Op.Cit,P.45.

(2) ظهرت الكثير من الجمعيات السرية بعد هيمنة النمسا على ايطاليا ... توحيد ايطاليا وتحريرها من النفوذ الاجنبي النمساوي، وأبرزها جمعية ادلفي Adelfi وجمعية فلادلفي Filadelfi في ... دراتي Federati ... وجمعية جلفي Gulfi ... فرسان الحرية Cavelieri Della Liberta ... Free Masaus ... Decisi ... جمعية الكاربوناري Carbonari ... للمزيد من التفاصيل ينظر: نور الدين حاطوم،تاريخ الحركات القومية،دار الفكر،بيروت،1979،ج1،ص300.

(3) وفاء عبد العظيم العنبكي ، كافور ودوره في الوحدة الايطالية 1810-1861، رسالة ماجستير، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، 2010،ص32.

(4) خضر خضر ، المصدر السابق ، ص 133.

(5) Ziegler,Paul R.,Op.Cit,p. 35.

(6) بيير رونوفان ، المصدر السابق ، ص80.

كانت الاضطرابات الثورية في ايطاليا موجهة بشكل أساس ضد سلطة البابا في المناطق المحيطة بروما ، وضد الوجود النمساوي في لمبارديا والبندقية في شمال ايطاليا حيث تهيمن النمسا على معظم الأمراء هناك [1] . وجد مترنيخ في نداء البابا للنمسا فرصة ثمينة له ، لان وجود نظام حكم استبدادي مطلق في الدويلات الايطالية ملائم لمصالح النمسا وضروري للإبقاء على نفوذها هناك ، وعلى هذا الأساس قمعت القوات النمساوية الانتفاضة في بولونا وأعادت النظام الى ربوعها . وأعطى تدخل النمسا للقضية الايطالية بعدا دوليا ، فقد احتجت فرنسا بشدة وهددت بالتدخل إذا لم تقم النمسا بسحب قواتها من هناك [2] .

شعر بالمرستون بالقلق من تطورات الأوضاع في إيطاليا ، وأرسل مذكرة الى الحكومة النمساوية في الثاني والعشرين من آذار 1831 تضمنت تركيزه على ضرورة الحفاظ على السلام في أوربا وعدم الإخلال بميزان القوى لصالح أي من الدول الكبرى ، كما أعلن بالمرستون التزامه الحياد فيما يخص إيطاليا ، وحاول إقناع النمسا وفرنسا بعدم التدخل لقمع الحركات التحررية في الدويلات التابعة للبابا ، ولأجل توضيح موقفه أرسل بالمرستون مذكرة الى غرينفيل سفيره في باريس جاء فيها : " **إن من المحال ان يكون لبريطانيا دور في حرب تشنها النمسا من أجل كبح الحريات ودعم ومساندة الطغيان والاستبداد ، كما لايمكن لنا أن نقف مع فرنسا في منافسة نتائجها محسومة لصالح توسع فرنسا وامتداد أراضيها على حساب الآخرين وهذا لايمكن لنا ان نقوم به ، إذ لايمكن لبريطانيا أن تتدخل مع فرنسا لأهداف كهذه** " [3].

وبعد إخماد النمسا للانتفاضة الايطالية بدأت المناورات السياسية بين الدول الكبرى لحماية ممتلكات البابا ، ولم تعد النمسا بعد عام 1831 طليقة اليد في إيطاليا وأصبحت فرنسا تستهدف إجلاء النمساويين من روما ، في حين استمرت النمسا في مساعدة البابا على مقاومة الثوار ، وتحولت القضية الايطالية إلى مسألة نزاع قائم بين النمسا وفرنسا[4] . ولذلك أبلغ بالمرستون لويس فيليب انه من الخطر على فرنسا ان تتدخل

---

(1) Guadella,Philip,Op.Cit,p.138.

(2) خضر حضر ، المصدر السابق ، ص 133.

(3) Quoted in :Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,PP.160-161.

(4) وفاء طه رحيم العنبكي ، المصدر السابق ، ص33.

في إيطاليا[1]، كما حث البابا على القيام بإصلاحات للحد من الثورة ، لكن البابا لم يستمع لنصيحة بالمرستون[2] .

تجددت الاحداث الثورية في ايطاليا في كانون الأول 1831 ، ومرة أخرى قام النمساويون بإحتلال بولونا في كانون الثاني 1832 [3] ، الأمر الذي دفع فرنسا لإرسال حملة عسكرية الى أنكون Ancone قرب روما في الثاني والعشرين من شباط ، وأعلنت فرنسا بأن قواتها لن تنسحب من هناك طالما بقيت القوات النمساوية في ايطاليا [4] .

ظل بالمرستون خلال الأحداث الثورية في إيطاليا ملتزما بسياسة عدم التدخل ، واكتفى بالتأييد الدبلوماسي للثوار ، وركز جهوده على إنهاء الصراع في تلك البلاد حيث قال في هذه المناسبة مانصه : " **إن هذا الهدف [مساندة ثوار ايطاليا] لايشكل من اولويات سياستنا ، بل يبقى الحفاظ على الأمن والاستقرار في هذه القارة هو الهدف الرئيس لبريطانيا** " [5] .

ويبدو أن بالمرستون إكتفى بتأييد الثوار في إيطاليا دبلوماسيا ولم يتدخل الى جانب فرنسا خوفا من تدخل روسيا وبروسيا الى جانب النمسا وبالتالي تنشب حرب أوربية واسعة ، كما ان بالمرستون كان بحاجة الى تلك الدول جميعا لإجبار ملك هولندا على القبول بمقررات مؤتمر لندن في تشرين الثاني 1831 القاضية باستقلال بلجيكا . لذلك يمكننا القول ان بالمرستون وجه اهتمامه خلال تلك المرحلة الى الحفاظ على الأمن والاستقرار في أوربا أكثر من الاهتمام بالمشاعر القومية لدى الايطاليين .

كانت روسيا وبروسيا تؤيدان مترنيخ باستمرار ، أما فرنسا فقد حاولت استغلال الوضع لمصلحتها ، فيما حذرها بالمرستون من دعم الثوار الايطاليين ومن الاصطدام مع النمسا ولاسيما بعد ان أرسل الفرنسيون قواتهم إلى روما في شباط 1832 [6] ، وتم عقد مؤتمر بين ممثلي الدول الكبرى والبابا في روما منتصف عام 1832 ، وأرسل بالمرستون مبعوثا خاصا وهو السير بروك تايلر Brogk Taylor الى المؤتمر [7] . إزداد نفوذ

---

(1) **Craig,Gordon A.,Op.Cit,P.33.**
(2) **Ziegler,Paul R.,Op.Cit,P.35.**
(3) **خضر خضر ، المصدر السابق ، 134.**
(4) **بيير رونوفان ، المصدر السابق ن ص 81 .**
(5) **Quoted in :Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,P.161.**
(6) **Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,P.162.**
(7) **وفاء طه رحيم العنبكي ، المصدر السابق ، ص33.**

النمسا خلال المؤتمر نتيجة مساندة البابا من جهه ومساندة روسيا وبروسيا من جهه اخرى ، وعجزت بريطانيا وفرنسا عن إقناع البابا بتبني أي إصلاحات دستورية ، وبقي الوضع في إيطاليا على ماهو عليه [1] .

أثارت سياسة بالمرستون في المؤتمر حفيظة مترنيخ الذي صرح قائلا : " **إن كشف وجهة نظر الحكومة البريطانية في المؤتمر إنما يشكل حافزا للتمرد والعصيان في إيطاليا ، وذلك بإثارة التمرد بين شعوب هذه الدويلات والذي سيشمل لامحالة معظم شبه الجزيرة ، ومن الصعب التكهن بما سيؤول اليه هذا الموقف المتطرف ، وما سيكون عليه رد فعل ايطاليا بل القارة الاوربية بإكملها** " [2] .

وعلى الرغم من استعراض القوة لكل من النمسا وفرنسا في ايطاليا الا ان الأمر لم يتطور إلى حرب ، وقد يعود ذلك إلى تحذير بالمرستون لكلا الطرفين من أن المواجهة في ايطاليا يمكن أن تؤدي الى حرب أوسع ، وهو الأمر الذي لم يرغب به الطرفان ، وكانت الأحداث الثورية في ايطاليا اختبارا آخر لقدرة بالمرستون بالمحافظة على السلام وتوازن القوى في أوربا [3] .

أما في الولايات الألمانية [4] فكان تأثير ثورة تموز في فرنسا أقل منه في الدويلات الايطالية [5] ، وفي أيلول 1830 حدثت حركات ثورية محدودة في بعض الولايات الألمانية الصغيرة مثل برونزويك Bronzweek وهس–كاسل Hisskassel وسكسونيا Sxonia ومملكة هانوفر Hanover ، أما الاضطرابات في باقي الولايات الألمانية فكانت أقل خطورة ، ونجحت شعوب هس–كاسل وسكسونيا وهانوفر في إجبار حكامهم على منح دساتير للبلاد [6] .

---

(1) Ziegler,Paul R.,Op.Cit,P.35.
(2) Quoted in :Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,P.163.
(3) Ziegler,Paul R.,Op.Cit,P.35.
(4) تشكل الاتحاد الالماني من بروسيا والنمسا مع تسعة وثلاثين ولاية ألمانية ، بموجب قرارات مؤتمر فينا عام 1815 ، ولهذا الاتحاد الالماني برلمان [Diet] النمسا ، ونتيجة لذلك مارست النمسا هيمنة مباشرة على الاتحاد ، وأختيرت فرانكفورت لتكون عاصمة للديت الالماني ، وتأثر الالمان بأفكار الثورة الفرنسية ، وقامت في تلك الولايات الالمانية مقاومة للحكم الرجعي النمساوي والحكام المحليين ولاسيما بعد ثورة تموز 1830 في فرنسا ، للمزيد من التفاصيل ينظر : مهدي صالح هادي الجبوري ، المانيا 1789-1871 دراسة في دور بروسيا في توحيد المانيا ، اطروحة دكتوراه ، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية ، الجامعة المستنصرية ، 2004، ص79.
(5) بيير رونوفان ، المصدر السابق ، ص83.
(6) مهدي صالح هادي الجبوري ، المصدر السابق ، ص 116.

أكد بالمرستون ان الوضع المضطرب في الدويلات الألمانية يتحمله الحكام أكثر من الثوار ، وأعلن تأييده لاستمرار الحركات الثورية حتى تحقيق تعديلات دستورية ، ورغم اقتناع بالمرستون بضرورة الحفاظ على السلام والاستقرار في أوربا فقد كان مؤمنا بضرورة تطبيق إصلاحات محدودة لتهدئة الثورات بدلا من قمعها [1].

أقام الأحرار الألمان اجتماعا كبيرا في بافاريا في السابع والعشرين من آيار 1832 ، وحضر هذا الاجتماع عدد من اللاجئين من قادة الثورة البولندية لعام 1831، كما حضر عدد من الليبراليين الفرنسيين ، وطالب الأحرار بتوحيد ألمانيا وإنهاء التجزئة والاستبداد فيها [2] . سارع مترنيخ لإقناع ملك بروسيا فردريك وليم الثالث Fredrick William III [3] (1770-1840/1797-1840) باتخاذ موقف حازم تجاه هذه المسالة ، وفي الثامن والعشرين من حزيران 1832، نجح مترنيخ في إقناع الديت الألماني على إصدار ستة قرارات لاتعترف بأي دساتير ليبرالية وتمنع هذه القرارات توجيه أي انتقاد للنظام الذي تم إقراره منذ مؤتمر فينا [4] .

رأى بالمرستون ، الذي حرص على حماية مصالح بريطانيا ، ان التحرر السياسي في الولايات الألمانية ربما سيكون مفيدا للتجارة البريطانية ، وإنتقد رضوخ بروسيا لمشيئة مترنيخ في قمعه للأحرار الألمان ، ورأى بالمرستون ان تدخل مترنيخ في الولايات الالمانية سيجعل فرنسا تشعر بالتهديد من النمسا [5] ، الأمر الذي يعرقل تراجعها في بلجيكا ، وكان بالمرستون حريصا على عدم التدخل في الشؤون الألمانية ومترددا في إتخاذ إجراء حاسم ، لكون ملك بريطانيا وليم الرابع الذي كان في الوقت نفسه ملك هانوفر ، قد صوت لصالح قرارات الديت الالماني في حزيران 1832 [6] . وردا على قرارات الديت الألماني ، أعلن بالمرستون في خطاب له في مجلس العموم في الثاني من

---

(1) Ziegler,Paul R.,Op.Cit,P.39.

(2) مهدي صالح هادي الجبوري ، المصدر السابق ، ص119.

(3) ولد في الثالث من آب 1770 في بوتسدام ، وكان عسكريا بارزا ، حصل على رتبة عقيد عام 1790 شارك في الحملات العسكرية ضد فرنسا الثورية في المدة 1792-1794 أصبح ملك بروسيا عام 1797 خلفا لأبيه فردريك وليم الثاني ، هزم أمام نابليون في الرابع عشر من تشرين الاول 1806 في معركة يينا ، عامل نابليون بعدها بروسيا بقسوة وإقتطع منها اراضيها البولندية ، وفرض عليها غرامة حربية ، أدى فردريك دورا كبيرا في هزيمة نابليون في معركة واترلو ... في أوربا ... بروسيا ، توفي في السابع من حزيران 1840 ... للمزيد من التفاصيل ينظر :
The New Encyclopeadia Britannica,Vol.4,p.960.

(4) خضر خضر ، المصدر السابق ، ص134.

(5) بيير رونوفان ، المصدر السابق ، ص87.

(6) Ziegler,Paul R.,Op.Cit,P.37.

آب 1832 قائلا : " **إن الشعب البريطاني لايمكن ان يكون غير مبال لقضية الدول الدستورية ، وأنا أعد الدول الدستورية حلفاء طبيعيين لبريطانيا العظمى ، وانا مقتنع بأن أي وزارة بريطانية سوف لاتؤدي واجبها إذا كانت غافلة عن مصالح تلك الدول** " . أثار هذا الخطاب الدول الشرقية الثلاث ، لاسيما بعد أن نشر الأحرار الألمان آلاف النسخ منه في ألمانيا (1) .

وفي الوقت الذي كانت فيه القوات البروسية والنمساوية تقمع الانتفاضات الألمانية في فرانكفورت منتصف عام 1833 ، أكد بالمرستون أن التصرف بحكمة مع مطاليب الجماهير سيعيد الامن والهدوء ، وإن تصرف مترنيخ باستخدام القوة لإخماد الحركات الثورية في ألمانيا سيؤدي الى عواقب وخيمة ، ورغم التأييد الدبلوماسي الذي قدمه بالمرستون إلا أن الحركات الثورية في المانيا لم تحقق أهدافها (2) .

أما في بولندا (3) فاندلعت الثورة في الحادي والعشرين من تشرين الثاني 1830 ضد القيصر الروسي نيقولا الاول ، وكانت ثورتا فرنسا وبلجيكا هما السببين الرئيسين لاندلاع الثورة في بولندا ، وحاولت الحكومة البولندية التي تشكلت في الثالث من كانون الأول أن تحصل من القيصر الروسي على دستور للبلاد ، فأعلن البولنديون استقلالهم في الخامس والعشرين من كانون الثاني 1831 بعد رفض القيصر لمطالبهم (4) .

التزم بالمرستون موقفا حذرا تجاه الثورة في بولندا ، وعلى عكس الوضع في إيطاليا ، حيث كان بالمرستون قد بذل جهدا لإقناع البابا لتنفيذ الإصلاحات ، فقد امتنع عن التدخل بشكل نهائي في الثورة البولندية (5) . وكان الرأي العام في بريطانيا مؤيدا للثورة ، الا ان بالمرستون عدّ نجاح الثورة سيصب لمصلحة فرنسا لانها كانت تؤيد البولنديين الكاثوليك ، كما ان بالمرستون كان بحاجة ماسة الى تأييد القيصر الروسي لاجبار ملك هولندا على القبول بالتسوية في بلجيكا (6).

---

(1) Quoted in : Ibid,P.37.

(2) Ziegler,Paul R.,Op.Cit,P.38.

(3) قسمت بولندا بموجب مقررات مؤتمر فيينا الى ثلاثة أقسام قسم تابع لروسيا وفيه مملكة يحكمها نائب عن القيصر الروسي وقسمان صغيران يتبعان لبروسيا والنمسا ، حدثت الثورة البولندية عام 1830 في القسم التابع لروسيا ، حيث وعد القيصر الروسي الاسكندر الاول بعد مؤتمر فينا بمنح دستور لبولندا يكفل حرية الصحافة لعبادة وإنشاء جيش بولندي بدلا من التحاق البولنديين بالجيش الروسي ، لكن هذا الدستور لم يطبق ولذلك ثار البولنديون وطالبوا بإعادة دستور عام 1815 في ذلك الشعور الوطني والقومي الذي تزايد بعد ثورة فرنسا وبلجيكا ، للمزيد من التفاصيل ينظر : بيير رونوفان ، المصدر السابق ، ص74.

(4) Morfill,W.R.,A History of Russia,London,1902,P.390.

(5) Wilks,Washington,Palmerston in three Epochs,p.19.

(6) خضر حضر ، المصدر السابق ، ص132.

اعتقد بالمرستون ان تدخلا بريطانيا الى جانب البولنديين سيؤدي الى حرب مع روسيا ولن تخدم هذه الحرب مصالح بريطانيا ، ولذلك لم يستجب بالمرستون لنداء البولنديين بالتدخل [1] ، وفي هذا الموضوع قال بالمرستون : " **إن الأمة البريطانية قادرة على شن الحرب ضد روسيا ، لكنها لم تفعل ذلك الا عندما تكون مصالحها الخاصة معنية**" [2] .

ويبدو أن عطف بالمرستون على الحركات الثورية والقومية والدستورية قد تلاشى في مسألة بولندا ، فلم يستجب للنداءات المتكررة التي طلبت مساعدة بريطانيا ضد الروس ، حتى ان بالمرستون لم يقدم دعما دبلوماسيا كما فعل مع ألمانيا ، وهذا يبين بوضوح مدى تناقض سياسة بالمرستون الخارجية ويؤيد المبدأ الذي يسير عليه معظم وزراء بريطانيا العظمى وهو المصالح الخاصة لبلادهم قبل أي شيء آخر .

وجد البولنديون أنفسهم لوحدهم أمام القيصر الروسي الذي أرسل قوات الحرس الإمبراطوري المكون من مائة وسبعين ألف جندي في حين أن قوات البولنديين كانت ثمانين ألف جندي [3] ، وزحفت القوات الروسية في نيسان 1831 على بولندا واستطاعت القضاء على الثورة هناك ، ودخلت القوات الروسية وارشو في السابع من أيلول 1831 [4] .

خامسا: **تدخله في الأزمة بين محمد علي باشا** [5] **والدولة العثمانية 1833**:

تأزمت العلاقات بين والي مصر محمد علي باشا وبين السلطان العثماني محمود الثاني[6] (1785-1808/1839 -1839) عام 1831 ، وذلك بعد ان طلب والي

---

(1) Guedalla,Philip,Op.Cit,PP.140.

(2) Quoted in :Ziegler,Paul R.,Op.Cit,P.37.

(3) بيير رونوفان ، المصدر السابق ،ص79.

(4) Morfill ,W.R.,Op.Cit,P.391.

(5) هو تاجر تبغ البانيء ولد عام 1769 في قولة ، قاد فرقة البانية قاتلت الى جانب العثمانيين ضد الفرنسيين عام 1799، وبقي محمد علي في مصر بعد إنسحاب الفرنسيين منها ، أصبح واليا على مصر عام 1805 ، وأبقى على عدد كبير من الفرنسيين في مصر للاستعانة بهم في بناء الجيش المصري والاسطول وتطوير الصناعة مما ادى تمتع فرنسا بنفوذ قوي في بلاطه، ساعد الاتراك في إخماد ثورة اليونان 1823-1828 احتل سوريا عام 1832 وهدد استنبول ، أجبرته الدول الاوربية على التخلي عن فتوحاته وحكم مصر وراثيا بموجب معاهدة لندن عام 1840، توفي عام 1849، للمزيد ينظر : آلن بالمر ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 95.

(6) ثامن السلاطين العثمانيين نجاحا على مدى قرنين ، استطاع القضاء على الباشوات المتمردين ودمر الانكشاريين عام 1826، وأكد سلطة السلطان المطلقة ، الا انه لم يستطع منع انفصال اقاليمه الاوربية مثل صربيا واليونان وفي ثلاثينات القرن التاسع عشر ، هدده طموح واليه على مصر محمد علي باشا الذي طالب ببلاد الشام ، وبعد رفض السلطان بدأت الحرب بين الطرفين والتي تعرضت فيها القوات العثمانية الى هزائم متكررة وصلت على أثرها قوات ابراهيم باشا مشارف اسطنبول ، للمزيد من التفاصيل ينظر : المصدر نفسه ، ص78.

مصر من السلطان إعطاءه سوريا كتعويض عن دوره في قمع الانتفاضة في شبه جزيرة المورة في اليونان [1] ، وبعد أن رفض السلطان طلب الوالي ، أرسل محمد علي باشا في الأول من تشرين الأول 1831 حملة برية وبحرية بقيادة ابنه ابراهيم باشا[2] (1789-1848) لاحتلال سوريا [3] ، ورد السلطان بأعلان الحرب على محمد علي في نيسان 1832 [4].

تزايدت مخاوف السلطان بعد ان حقق إبراهيم باشا انتصارات متتالية ، ففي السابع والعشرين من آيار 1832 فتح ابراهيم باشا عكا [5] ، وبدأ الغزو المصري بالتسارع ، فاحتلت دمشق في الرابع عشر من حزيران 1832 وحلب في السادس والعشرين من تموز [6] ، وفي الثلاثين من تموز 1832 هزم ابراهيم باشا القوات العثمانية في منطقة بيلان شمال سوريا [7] ، مما مكنه بعد ذلك من احتلال الاسكندرونة وانطاكية واللاذقية والسويدية ، فتم له بذلك احتلال الشام [8] .

طلب السلطان مساعدة الدول الأوربية وأرسل في الثالث من تشرين الثاني 1832 مذكرة الى الحكومة البريطانية ، لتقديم مساعدة بحرية لضرب خطوط امدادات ابراهيم باشا [9] ، وكانت الحكومة البريطانية مشغولة آنذاك بتمرير قانون الإصلاح البرلماني فضلا عن الأحداث في البرتغال والثورة في بلجيكا [10] ، لذلك بعد ان ترددت حكومة غراي في مساعدة العثمانيين ، نصح بالمرستون السلطان بالصبر وانتظار نجدة النمسا[11].

---

(1) **Wood,Anthony,Op.Cit,P.163.**

(2) **هو الابن الأكبر لوالي مصر محمد علي باشا ، ويعد ساعده القوي فقد كان الباشا يعتمد عليه في قيادة جيوشه ، وقد قادها في معظم معارك ابيه ، تولى قيادة الجيش المصري في الحرب على آل سعود في المدة 1816-1819 ، فقضى على حكمهم ، والذهب بين سنتي 1821-1822 تم ... ردا وقع هناك ، كما قضى على ثورة اليونان بين عامي 1822-1827 ،ومنذ عام 1832 خاض ابراهيم باشا حروبا ضد الدولة العثمانية للاستيلاء على بلاد الشام ، وحقق ابراهيم باشا انتصارات متتالية ضد الدولة العثمانية ، الى ان تدخلت الدول الاوربية الكبرى فحرمت محمد علي من فتوحاته ... ينظر: حسن ... ابراهيم باشا نشاطه العسكري ودوره السياسي والاداري 1789-1848، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة ديالى ،2005.**

(3) **مؤلف مجهول ، حملة ابراهيم باشا على سوريا ، تحقيق : أحمد غسان سبانو ، دار قتيبة للطباعة والنشر ، دمشق ، د.ت.،ص47.**

(4) **محمد صبري ، تاريخ مصر الحديث من محمد علي الى اليوم ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1926، ص65 .**

(5) **Temprtley,Harold,Op.Cit,P.63.**

(6) **Schultz,Harold J.,Op.Cit,P.239.**

(7) **لطيفة محمد سالم ، الحكم المصري في الشام 1831-1841 ، ط2 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1990، ص44.**

(8) **محمد عفيفي ، محمد علي مؤسس مصر الحديثة ، القاهرة ، 2006 ، ص25.**

(9) **غرانت وتمبرلي ، المصدر السابق ، ص63.**

(10) **Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,P.53.**

(11) **خضر خضر ، المصدر االسابق ، ص137.**

ويبدو ان بالمرستون اختار النمسا لتولي دعم السلطان لكون هذه الدولة لاتشكل خطرا حقيقيا على المصالح البريطانية لانها ليست دولة بحرية من الدرجة الأولى بالمقارنة مع فرنسا وروسيا وكان بالمرستون يخشى من تدخل هاتين الدولتين في الأزمة ، لان ذلك سيشكل تهديدا للمصالح البريطانية في الشرق [1].

ومن الجدير بالذكر ان المستشار النمساوي مترنيخ ، كان قد اقترح ارسال مساعدة بحرية للسلطان العثماني في حربه ضد محمد علي منذ بداية الأزمة [2] ، مما شجع السلطان لطلب المساعدة من بريطانيا والنمسا [3] ، لذلك ارسل السلطان في الثالث عشر من كانون الأول 1832 سكرتيره الشخصي نامق باشا الى لندن من اجل الحصول على دعم الحكومة البريطانية ضد محمد علي [4] .

حث السلطان العثماني أيضا ستراتفورد كاننغ Stratford Canning [5] (1786-1880) ، الذي كان موجوداً في اسطنبول لترسيم الحدود العثمانية – اليونانية ، لإقناع الحكومة البريطانية لتقديم الدعم اللازم ، ووعد ستراتفورد كاننغ السلطان قبل مغادرته لاسطنبول بانه سوف يبذل قصارى جهده لاقناع حكومته لمساعدة الدولة العثمانية [6] . وبالرغم من تأييد بالمرستون الكامل لوجهات نظر ستراتفورد كاننغ ، الا انه في تلك المرحلة لم يستطع اتخاذ قرار بسبب معارضة حكومة غراي من جهه ، وخشية بالمرستون من تدخل روسيا وفرنسا من جهه اخرى .

فضل بالمرستون التريث وانتظار ماستؤول اليه الاحداث ، لأسباب عديدة منها: تجنب اثارة العداء مع محمد علي باشا لئلا يكون دافعاً لارتمائه في احضان فرنسا من

---

(1) خضر خضر ، المصدر السابق ،ص 137.

(2) بالرغم من مبادرة مترنيخ لمساعدة السلطان الا انه تراجع عنها وذلك لانه لم يرد اثارة غضب القيصر الروسي نيقولا الاول بتدخله في القضية التي تثير حفيظة روسيا ، وفضل أن يحتفظ بالقيصر حليفا له في مواجهة مشاكله ولاسيما قوى التحرر والثورة في اوربا ، ينظر : Temperley,Harold,Op,Cit,P.79.

(3) Marriott,J.A.R.,The Eastern Question An Historical Stady in European Diplomasy,Oxford,1963,p.233.

(4) احمد ناطق ابراهيم العبيدي، مضائق البسفور والدردنيل 1815-1854، اطروحة دكتوراه ، كلية التربية ابن رشد جامعة بغداد ،2008، ص91.

(5) ستراتفورد كاننغ دي ردكليف ، ولد في الرابع من تشرين الثاني 1786 ، دبلوماسي بريطاني مشهور ، وهو قريب وزير الخارجية ورئيس الوزراء البريطاني جورج كاننغ (1770-1827) الذي ساعده في اكمال دراسته ، وادخله في الخدمة الخارجية ، تعين ستراتفورد كاننغ 1807 سكرتيرا للسفير البريطاني في الباب العالي ، بلاط العثماني تقريبا لمدة عشرين عاما مابين 1810-1858وعرف بالسلطان العثماني غير المتوج ، اذ اصبح سفيرا بريطانيا في اسطنبول في المدة 1825-1831 وفي المدة 1841-1846 وكذلك 1848-1851 وفي المدة 1853-1858 واصبح صديقا مقربا للسلطان عبد المجيد الاول ، توفي في 14 آب 1880، للمزيد من التفاصيل ينظر: The New Encyclopeadia Britannica,Vol.11,p.306.

(6) Marriott,J.A.R., The Eastern Question,P.233.

جهة، وإمكانية الاستفادة منه في مواجهة روسيا اذا ما انهارت الدولة العثمانية من جهة ثانية ، كما ان تدخل بريطانيا في هذا الوقت ربما يصب في مصلحة الروس. اذ يقود الى تقسيم الدولة العثمانية مابين روسيا ومحمد علي باشا ، وفي افضل الحالات فان بريطانيا لاتكسب شيئاً، لان الروس سوف يتدخلون في الشأن العثماني بشتى الذرائع، ولذلك التزمت موقف الحذر المترقب للاحداث حفاظاً على الدولة العثمانية من الانهيار [1].

وفي تلك الاثناء استأنف ابراهيم باشا زحفه شمالا باتجاه قونيه وجهز السلطان جيشا بقيادة رشيد باشا لايقاف الجيش المصري [2] ، وفي الحادي والعشرين من كانون الاول 1832 استطاع ابراهيم باشا من انزال هزيمة ساحقة بالجيش العثماني في معركة قونية ، كما وقع رشيد باشا في اسر الجيش المصري [3] . وفي العشرين من كانون الثاني 1833 اتجه ابراهيم باشا الى كوتاهيه التي كانت تبعد 150 ميلا عن اسطنبول [4] .

لم تكن سياسة بالمرستون واضحة المعالم تجاه الأزمة المصرية حتى ذلك الوقت ، واهم ما قام به بالمرستون في حينها انه ابلغ السفير النمساوي في لندن قائلا : " **ان رأيي الشخصي هو انه ينبغي علينا إبلاغ الباشا وعلى الفور بالانسحاب الى مصر والاقتناع بتلك الاراضي الخصبة** " [5] .

أرسل القيصر الروسي الجنرال مورافيف Genral Muraviev في كانون الثاني على راس بعثة عسكرية وعرض على السلطان المساعدة العسكرية لإيقاف جيش ابراهيم باشا [6] ، وعلى الرغم من تهديد الجيش المصري لاسطنبول وحاجة السلطان لتلك المساعدة ، الا ان السلطان لم يرد على المبادرة الروسية ، ولاسيما وانه كان بانتظار ما ستؤول اليه مهمة الوفد الذي أرسله الى بريطانيا [7] .

غيرت بريطانيا وفرنسا مواقفها بسرعة تجاه الأزمة المصرية ، فكشفت بريطانيا عن مخاوفها بشأن نجاح محمد علي وخطورة ذلك على مصالحها في الهند ، اما فرنسا فبعد

---

(1) احمد محسن عبد البديري ، السياسة البريطانية تجاه المضائق 1841-1878، رسالة ماجستير ، كلية التربية – صفي الدين الحلي ، جامعة بابل ، 2011، ص38.

(2) ثعبان حسب الله علوان الشمري ،المصدر السابق، ص ص 89-90.

(3) Temperley,Harold,Op,Cit,P.63.

(4) Joy,James Richard, Op.Cit,P.51.

(5) مقتبس في : احمد ناطق ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق . ص 92.

(6) Marriott,J.A.R.,The Eastern Question,P.233.

(7)احمد ناطق ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق . ص 96.

ان كانت تدعم محمد علي غيرت موقفها بعد ان تدخلت روسيا بشكل منفرد في الأزمة الأمر الذي أثار قلق الدولتين بريطانيا وفرنسا [1] .

كان هم بالمرستون هو كيفية إيقاف ابراهيم باشا ، وحاول التعاون مع فرنسا في هذا الإطار ، ورفض بالمرستون ان يقوم باي فعل منفرد من جانب بريطانيا [2] ، لذلك أرسل في كانون الثاني 1833 مذكرة الى سفيره في باريس غرينفيل يوضح فيها للحكومة الفرنسية موقفه من الأزمة قائلا : " **يجب المحافظة على الدولة العثمانية كما ينبغي إرغام محمد علي باشا بحصر نفوذه على مصر فقط لان احتلال سوريا سوف يؤدي بالضرورة الى احتلال بلاد مابين النهرين ، وان إقامة دولة موحدة في تلك المنطقة بزعامة محمد علي لن تفيد بريطانيا بشيء** [3] **، اما السلطان العثماني فسوف يزداد ضعفه في مقاومة روسيا ، و من المحتمل ان تحاول تلك الدولة الاتفاق مع والي مصر لمهاجمة بلاد فارس ، وذلك على حساب الوجود البريطاني في الهند** "[4] .

تابع بالمرستون تطورات الازمة المصرية بكثير من القلق ، لاسيما وان الوضع في اوربا في ذلك الوقت بالذات كان متوترا جدا ، فالقيصر الروسي نيقولا الاول تبنى موقفا عدائيا تجاه فرنسا ، وكان ينظر لنجاح محمد علي بمثابة انتصار لفرنسا لانها كانت من يدعمه ، اما النمسا وبروسيا فلم يكونا ايضا على وفاق مع فرنسا فانضما الى روسيا ، لذلك اصبحت العلاقات البريطانية الفرنسية أكثر تقاربا [5] .

فضل بالمرستون التعاون مع فرنسا ، ووضع في ستراتيجيته ان يبقي فرنسا وروسيا منفصلتين [6] ، لان أي تحالف روسي–فرنسي سيكون خطرا جدا على بريطانيا ، ولهذا رأي بالمرستون ان على بريطانيا التحالف مع احداها لتبعد الأخرى وان صداقة فرنسا تعني العداوة مع روسيا والعكس صحيح [7] .

---

(1) **Bullard , Reader,Britain and The Middle East,London,1964 ,P.35.**

(2) **Temperley,Harold,Op,Cit,P.63.**

(3) **مقتبس في : جون كيلي ، بريطانيا والخليج 1795-1870 ، ترجمةمهنمحعبد الله ، مطبعـ ـة عيسـ ـى البـ ـابي الحلبي ، ج1 ، ص471 .**

(4) **Quoted in :Bullard,Reader,Op.Cit,P.36.**

(5) **Ancel,Jaoues,Manuel Historique De La Question D'Orient 1792-1930,Paris,1931 ,P.229.**

(6) **Temperley,Harold,Op,Cit,P.60.**

(7) **احمد ناطق ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق . ص89.**

وفي مطلع شباط من عام 1833 وصل ابراهيم باشا مدينة كوتاهية ، وبذلك هدد مدينة اسطنبول بشكل مباشر [1] ، واضطر السلطان العثماني في الثالث من شباط الى التوجه لطلب المساعدة من روسيا لوقف تقدم قوات ابراهيم باشا [2] . اشتد قلق بالمرستون بعد تلك التطورات الخطيرة ، وأرسل تعليمات في الرابع من شباط 1833 الى كامبل Cample قنصله في القاهرة قال فيها : " **ان حكومة جلالة الملك تعلق أهمية كبرى على الحيلولة ليس فقط دون انحلال الامبراطورية العثمانية ، بل ايضا دون اجتزاء أي قسم منها** " [3] .

وفي السابع من شباط 1833 طلب السلطان رسميا مساعدة روسيا العسكرية له ، بعد أن يأس من وصول المساعدة البريطانية [4] ، وفي العشرين من شباط وصل الأسطول الروسي بقيادة الادميرال لازاروف Lazarov ، ورسا عند الجزء الاسيوي من مضيق البسفور لصد هجوم ابراهيم باشا [5] ، ادى ظهور الاسطول الحربي الروسي في مضيق البسفور الى استياء وغضب سفيري بريطانيا وفرنسا ، وجرت اتصالات مكثفة بين السفير الفرنسي روسين Rossen والسفير البريطاني مانديفل Mandeville في اسطنبول ، واتفقا على تنسيق جهودهما لمواجهة النفوذ الروسي [6] .

وصلت الإجابة الرسمية للحكومة البريطانية في السابع من آذار 1833 على طلب السلطان للمساعدة العسكرية ضد جيش ابراهيم باشا ، واحتوت هذه الاجابة على رفض بالمرستون المهذب لتقديم المساعدة البحرية ، كما تعهد بالمرستون بتقديم الدعم الدبلوماسي ، ولم يفكر بالمرستون حتى تلك اللحظة باستخدام القوة الا انه غير سياسته بعد وصول الأسطول والقوات البرية الروسية الى اسطنبول [7] .

وفي الثالث والعشرين من آذار نزل جيش روسي عدده اربعة عشر ألف مقاتل على الساحل الآسيوي من البسفور [8] ، في تلك الأثناء بدأ بالمرستون بالتعاون مع فرنسا

---

(1) ثعبان حسب الله علوان الشمري، المصدر السابق، ص92 ؛ غرانت وتمبرلي ، المصدر السابق ، ص 345.
(2) حيدر صبري شاكر الخيقاني ، المصدر السابق ، ص261.
(3) مقتبس في : جوزيف حجار ، أوربا ومصير الشرق العربي " حرب الاستعمار على محمد علي والنهضة العربية " ، ترجمة : بطرس الحلاق وماجد نعمة ، بيروت ، 1976، ص70.
(4) احمد ناطق ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق .ص102.
(5) Temperley,Harold,Op.Cit,P.64.
(6) احمد ناطق ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق .ص102.
(7) Temperley,Harold,Op.Cit,P.64.
(8) حيدر صبري شاكر الخيقاني ، المصدر السابق ، ص261.

للضغط على محمد علي للتوصل إلى اتفاقية صلح مع الدولة العثمانية [1] . أدرك بالمرستون خطورة الوضع في الدولة العثمانية فأرسل في بداية آيار اللورد بونسونبي Lord Ponsonby [2] (1770-1855/ 1832-1837) سفيرا جديدا له في اسطنبول ، وزوده بتعليمات أهمها منع الدولة العثمانية من الخضوع لروسيا [3] . وازداد قلق بالمرستون عندما اتخذت روسيا خطوات فعلية لحماية السلطان العثماني من تهديد والي مصر عن طريق انزال قواتها البرية قرب العاصمة العثمانية [4] .

يبدو ان إرسال بونسونبي جاء في سياق إعادة النظر في السياسة البريطانية تجاه الدولة العثمانية ، فقد اخبر بونسونبي السلطان محمود اثناء تقديمه اوراق اعتماده بأن بريطانيا لن تظهر ثانية الضعف الذي أظهرته عام 1832، كما أبلغ بونسونبي السفير الفرنسي في اسطنبول بان هدفه الأساس هو إبعاد الروس عن مضائق البسفور والدردنيل واسطنبول وكان بونسونبي أكثر عداء للروس من بالمرستون نفسه عندما نصح السفير الفرنسي بالاستعداد للحرب ضد روسيا [5] .

هددت بريطانيا وفرنسا محمد علي بإرسال أساطيلهما إلى سواحل بلاد الشام ومصر إذا لم يوقف زحفه تجاه اسطنبول [6] ، وبذلك توقف الزحف المصري وتم عقد معاهدة كوتاهية في الرابع من آيار 1833 بين السلطان محمود الثاني ومحمد علي باشا [7] ، اعترف السلطان العثماني لمحمد علي بموجبها بسلطته على ولايتي مصر و سوريا ومنطقة أظنه جنوب آسيا الصغرى و جزيرة كريت في البحر المتوسط [8] ، كما تعهد محمد علي بأن يدفع للسلطان عن سوريا الاموال التي كان يدفعها له الولاة العثمانيون سابقا ، أي ما يعادل 150000 جنيه استرليني ، وبذك تم إيقاف باشا مصر في توسعه

---

(1) Joy,James Richard,Op.Cit,P.51.

(2) الفسكونت جون بونسونبي Viscount John Ponsonby سياسي بريطاني عين سفيراً في اسطنبول ، ادى دوراً حيوياً بتعاونه مع بالمرستون لاعادة صياغة السياسة البريطانية بشأن المسألة الشرقية ، وقد كان له دور بارز في معارضة سياسة روسيا ... (1848-1851) ... للمزيد من التفاصيل ينظر: Howat,G.M.D.,Op.Cit ,p.1207.

(3) احمد ناطق ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق ، ص106.

(4) The New Encyclopedia Britannica,Vol.13,p.935.

(5) احمد ناطق ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق ، ص106.

(6) حيدر صبري شاكر الخيقاني ، المصدر السابق ، ص261.

(7) Temperley.Harold,Op.Cit,P.65.

(8) ثعبان حسب الله علوان الشمري، المصدر السابق،ص94.

على حساب الدولة العثمانية ، ووجه بالمرستون جهوده بعد ذلك لإخراج الروس من اسطنبول [1] .

وقد علق بالمرستون على معاهدة كوتاهية في رسالة وجهها الى أخيه وليام عام 1833 قائلا : " **ان الشروط التي فرضت على الباشا هي شروط معقولة ، وكان هدفه هو انشاء مملكة عربية تضم جميع الاقطار التي لغتها العربية ، وقد لايشكل هذا أي خطر في حد ذاته ، أما إذا اشتمل هذا الامر على تقسيم الدولة العثمانية فاننا سوف نعارضه ، كما ان الدولة العثمانية ليست اقل صلاحية لحماية الطريق الى الهند من أي حاكم عربي** " [2].

لم تكن طموحات محمد علي مقتصرة على سوريا ، فقد أرسل قواته الى اليمن لاحتلالها ايضا لكنه واجه مقاومة من لدن بعض الحكام المحليين ضد قواته لذلك حاول محمد علي الحصول على تأييد بالمرستون لإرسال حملة عسكرية كبيرة وإخضاع معظم اقاليم اليمن لحكمه [3] . واستدعى محمد علي قنصل بريطانيا في القاهرة كامبل في الثالث من حزيران 1833 وابلغه ان تفاقم امر المتمردين في اليمن سوف يؤدي الى اثارة القلاقل في البحر الأحمر مما يعرض أمن السفن التجارية وسلامتها للخطر ، واوضح محمد علي ان من شأن الوجود المصري في منطقة البحر الأحمر ان يؤمن التجارة البريطانية التي تتخذ ميناء المخا مركزا لها . أيد كامبل وجة نظر محمد علي خلال مراسلاته مع الحكومة البريطانية ، وأوضح ان من مصلحة بريطانيا حينذاك ان يسود الامن في بلاد اليمن ، لاسيما ان محمد علي قد عرض صداقته على البريطانيين وأبدى حرصه على مصالحهم ، غير ان بالمرستون كان شديد الحقد حينذاك على تزايد قوة محمد علي في منطقة البحر الاحمر ، مما جعله يراقب تطور الاحداث بكل يقظة وحذر [4].

ومن جهه اخرى رأى بالمرستون ان دعم السلطان العثماني والتحالف معه قادر وحده على الحفاظ على المصالح البريطانية ضد كل من محمد علي من جهة وروسيا من جهة

[1] خضر خضر ، المصدر السابق ، ص139.
[2] مقتبس في : جون كيلي ، المصدر السابق ،ج1، ص472.
[3] فاروق عثمان أباظة السياسة البريطانية في البحر الاحمر 1839-1918 الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة1976، ص ص113-114.
[4] المصدر نفسه ، ص 114.

أخرى [1] ، وابلغ سفيره في اسطنبول بونسونبي بذلك مؤكدا على ضرورة توثيق العلاقات البريطانية مع الدولة العثمانية وإحباط محاولات روسيا بالسيطرة عليها [2] .

أدرك بالمرستون بعد فوات الأوان خطورة تردد الحكومة البريطانية في تقديم المساعدة للسلطان العثماني ، وأثر ذلك عليه كثيرا وقد وضح رأيه هذا فيما بعد ، اذ قال : " **لقد ترددنا في مساعدة السلطان ، اذ كان بالإمكان إيقاف الباشا بكلمة واحدة فقط من دون إطلاق رصاصة ، نعم لم يحدث شيء [حرب أوربية] ... ولكنني آسف على تلك الفرصة كثيرا ، ولكنها لم تكن غلطتي ، فقد بذلت قصارى جهدي لأقنع مجلس الوزراء بأن يدعني اتخذ الخطوة المناسبة .... ولكن جهلهم بكيفية تحمل أعباء الشؤون الخارجية أو لأسباب أخرى ، وغراي الذي كان يوافقني الرأي ، كان ضعيفا وتقهقر ، لذلك لم يتم فعل شيء في الأزمة الأكثر أهمية بالنسبة لكل أوربا** "[3] . واستمر بالمرستون قائلا : " **صحيح ان روسيا وحدها منعت في ذلك الوقت قوات ابراهيم باشا من احتلال اسطنبول ... ويمكنني ان أغامر باعتقادي بأن مجلس الوزراء البريطاني لم يرتكب في أي حقبة من حقب التاريخ البريطاني خطأً عظيما يتعلق بالشؤون الخارجية مثلما فعل مجلس وزراء غراي عندما رفض مساعدة وحماية السلطان ... ان رفض الحكومة في ذلك الوقت كان يمكن ان يعرض السلام في أوربا للخطر [في حالة سقوط اسطنبول بيد محمد علي] وكذلك مصالح بريطانيا للمصير نفسه** " [4] .

ولذلك كان بالمرستون هو موجه السياسة البريطانية المعادية لمحمد علي باشا ، اذ رأى في قيام دولة حديثة موحدة تضم مصر والشام وشبه الجزيرة العربية تهديدا كبيرا للمصالح الاقتصادية البريطانية ، تلك المصالح التي كان بالمرستون ومن سبقه من الساسة البريطانيين يحرصون عليها [5] .

سادسا: موقفه من تغلغل النفوذ الروسي في الدولة العثمانية1833

حاول القيصر الروسي نيقولا الأول استغلال نجاح مساعدته للسلطان العثماني الى اقصى حد [6] فأرسل مندوباً خاصاً وهو الكسي فيودورفيتش اورلوف Aleksey

---

[1] جوزيف حجار ، المصدر السابق ، ص88.

[2] Warner,George Townsend & Marten,C.H.K.,Op.Cit,P.654.

[3] مقتبس في : احمد ناطق ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق ،ص ص 94-95.

[4] مقتبس في : المصدر نفسه ، ص95.

[5] Bidwell,W.H.,Op.Cit,P.127.

[6] خضر خضر ، المصدر السابق ، ص 139.

Fyodorovich Orlov [1] (1786–1861) لإجراء محادثات مع الحكومة العثمانية من اجل عقد معاهدة تحالف [2] ، بدأت المباحثات بين اورلوف وممثل السلطان ريس أفندي في السادس والعشرين من حزيران 1833 وانتهت بتوقيع معاهدة خنكار اسكله سيUnkiar-skelessi في الثامن من تموز 1833 [3] .

كان أمد المعاهدة ثمان سنوات وتضمنت :–

1– تعهد كل من الدولة العثمانية وروسيا بتقديم العون والمساعدة المتبادلة برا وبحرا في حالة تعرض إحداهما للاعتداء من لدن قوة ثالثة.

2– تعهد الطرفان أيضا بالعون المتبادل في حالة وقوع اضطرابات داخلية في أي منهما [4].

3– تعهدت الدولة العثمانية بمنع مرور السفن الحربية في المضائق في حالة الحرب بين روسيا وأي دولة أخرى ، وتبقى المضائق مفتوحة أمام الأسطول الروسي في كل الظروف . وهذه الفقرة كانت سرية ولم تعلن إلا بعد مدة [5] .

ويبدو أن نيقولا الأول استطاع استغلال الفرصة التي أتيحت أمامه بشكل يخدم مصلحة روسيا ويحقق أهدافها بالوصول إلى المضائق وتقديم الحماية بصورة رسمية للدولة العثمانية ، ويعد ذلك نجاحا مهما على الصعيدين العسكري والدبلوماسي ، فمعاهدة خنكار اسكله سي ثبتت أقدام روسيا في العاصمة العثمانية بشكل رسمي وبطريقة فوتت الفرصة على كل من بريطانيا وفرنسا لمنع عقد المعاهدة . كما حصلت روسيا على امتياز مهم لم تحصل عليه أي من الدول الأوربية ، فمثلا في حالة اندلاع حرب بين روسيا من جهه وبريطانيا وفرنسا من جهة أخرى فبإمكان الأسطول الروسي مهاجمة

---

(1) ي بطرسـ . بورغ ، سياسـي وعسـ . كري ورجـ . ل دولـ . ـة ، كـ . ـان مستشـ . ـارا سياسـ . يا للقيصـ . ـر نيقـ . ـولا الاول والاسـ . كندر الثـاني ، وهو الابن غير الشرعي للكونـ . ـت فيـ . ـدور غريغـ . ـورفيتش اورلـ . ـوف ، دخـ . ـل اورلـ . ـوف الجيش الروسي عام 1804، شارك في الحروب النابليونية ، كما شارك في الحرب الروسية –العثمانية 1828، قـ . ـاد المفاوضات لعقد معاهدة ادريانوبل عام 1829، شارك في قمع ثورة بولندا 1830-1831، أصبح سفيرا في اسطنبول 1833، ونجح في اقناع السلطان لعقد معاهدة خنكار اسكله سي 1833، مثل روسيا في مفاوضات السلام في بـ . ـاريس عام 1856، للمزيد من التفاصيل ينظر:

The New Encyclopedia Britannica,Vol.8,P.1005.

(2) **Bolsover,G.H.,Palmerston and Metternich on the Eastern Question in 1834,The English Historical Review,Vol.51,No.202,(April1936),P.237.**

(3) **Barlen,M.E.,Op.Cit,P.237;Hollis,Christopher,Op.Cit,P.274.**

(4) **Hurewitz,J.C.,Op.Cit,P.252.**

(5) **Marriott,J.A.R.,The Eastern Question,P.236; Lane,Peter,Op.Cit,P.176.**

السفن الحربية البريطانية او الفرنسية في البحر المتوسط والعودة الى البحر الأسود عن طريق المضائق دون أن يتمكن البريطانيون والفرنسيون من تعقبه .

علم بالمرستون بوجود مباحثات بين العثمانيين والروس ، من خلال سفيره في اسطنبول بونسونبي ، وأرسل اليه بالمرستون تعليمات في السابع من تموز 1833 بأن ينصح السلطان ويقنعه بعدم ابرام أي شكل من أشكال التحالف مع روسيا (1) ، لان بريطانيا لم تعد ذلك سوى تنازل عن الثقة (2) . لكن بونسونبي لم يستطع فعل شيء بسبب تأخر وصول تعليمات بالمرستون من جهة وسرعة ابرام المعاهدة من جهة أخرى (3) .

اشتد غضب بالمرستون عند سماعه أنباء عقد معاهدة خنكار اسكله سي ، والتي بموجبها حصل الروس على رخصة خاصة لمرور سفنهم في بحر مرمرة (4) ، ومثلت تلك المعاهدة نقطة تحول مهمة في وجهات نظر بالمرستون تجاه العلاقات البريطانية-الروسية ، اذ عدّ بالمرستون روسيا التهديد الرئيس على المصالح البريطانية في الشرق بعد وصولها الى المضائق (5) . ولاحظ بالمرستون ان المعاهدة تعطيها الحق في التدخل في شؤون الدولة العثمانية (6) ، وأوجد ذلك كراهية شديدة في نفسه لمحمد علي الذي كانت سياسته ، حسب رأي بالمرستون ، سببا في اعطاء الروس الفرصة التي كانوا يبحثون عنها منذ زمن بعيد (7) .

رأى بالمرستون ان توقيع معاهدة خنكار اسكله سي سيخل بمبدأ توازن القوى ، الذي سعى بالمرستون للحفاظ عليه ، وذلك من خلال انفراد روسيا بالسيطرة على الدولة العثمانية ، لذلك تبنى بالمرستون موقفا أشد عداء من موقف فرنسا تجاه تلك المعاهدة (8) ، لكونها قد ألغت معاهدة التحالف البريطانية-العثمانية (معاهدة الدردنيل1809) (9) ، التي تضمنت إغلاق المضائق بوجه جميع السفن الحربية في وقت السلم ، وهو ماعرف

---

(1) **Bell,Herbert,Op.Cit,Vol.1,P.92.**

(2) **احمد ناطق ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق ، ص110.**

(3) **ثعبان حسب الله علوان الشمري ، المصدر السابق ، ص96.**

(4) **Miller,William,The Ottoman Empire and its Successors 1801-1927,London,1966, P.136.**

(5) **Ziegler,Paul R.,Op.Cit,PP.48-49.**

(6) **جون كيلي ، المصدر السابق ،ج1، ص474.**

(7) **Lorin,Henri,L Egypte D'Aujourd'hui Le Pays Et Les Hommes, Paris,1926,P.185.**

(8) **Craig,Gordon,Op.Cit,P.35.**

(9) **Marriott,J.A.R.,The Eastern Question,P.236.**

بالقاعدة القديمة للمضائق بينما معاهدة خنكار اسكله سي أعطت للأسطول الروسي حق المرور في المضائق رسميا [1] .

كان بالمرستون يشك في ان المعاهدة قد كتبت في سانت بطرسبيرغ قبل ان يذهب اورلوف في مهمته ، واعتقد بالمرستون بأن الروس هم من كتبوا المعاهدة و فرضوها على الدولة العثمانية بهدف تدميرها [2] .

قدمت حكومتا بريطانيا وفرنسا احتجاجا رسميا مشتركا في السادس والعشرين من آب 1833 الى كل من الدولة العثمانية وروسيا [3] ، وأكدت بريطانيا وفرنسا في احتجاجهما ان روسيا ستستغل نفوذها في اسطنبول لشن حرب ضدهما ، كما انتقد بالمرستون موقف النمسا المؤيد لروسيا في سياستها تجاه الدولة العثمانية ، فقد كان مترنيخ يعتقد ان هدف روسيا هو دعم وتأييد الدولة العثمانية وليس تدميرها [4] .

أشار بالمرستون بسخرية الى موقف مترنيخ المؤيد لروسيا ، وذلك في رسالة بعث بها الى أخيه في الثالث من أيلول 1833 قائلا : " **لقد تم إقناع هذا الأمير [مترنيخ] بسهولة** " ، وكان بالمرستون مقتنعا بان النمسا قد اتخذت هذا الموقف لأجل ضمان الدعم الروسي ضد جميع الحركات الثورية في أوربا [5] .

لقد أمعن بالمرستون التدقيق بالمعاهدة الروسية–العثمانية ، بحيث احتفظ بها في درج مكتبه ، وكان كثيرا ما يخرجها ليدرس احتمالاتها ومدى تأثيرها على المصالح البريطانية وقد خرج باستنتاجات قد يكون مبالغا في بعضها ، اذ اعتقد بأن روسيا ستحصل على فوائد عظيمة ، اذ ستغلق على بريطانيا وفرنسا منافذ البحر الأسود التجارية والحربية [6] ، لكن الخطورة التي وضعها في حساباته تكمن فيما اذا سمحت الدولة العثمانية للسفن الحربية الروسية بالدخول إلى مضيق البسفور، ففي هذه الحالة ستكون اسطنبول مفتوحة للسفن الحربية الروسية ، بينما الدردنيل سيكون مغلقا بوجه

---

(1) Wood,Anthony,Op.Cit,P.163.

(2) احمد ناطق ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق،ص114.

(3) المصدر نفسه ، ص113.

(4) Bolsover,G.H.,Op.Cit,P.240.

(5) Quoted in :Ibid,P.240.

(6) احمد ناطق ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق ، ص114.

الآخرين [1] ، ان معاهدة خنكار اسكله سي ، من وجهة نظر بالمرستون قد فتحت البسفور للسفن الحربية الروسية [2] .

أدى موقف بالمرستون العدائي تجاه روسيا الى توطيد العلاقات الروسية مع النمسا ، ففي اجتماع مونشينغراتز في الثامن عشر من أيلول 1833 ، الذي تم بين القيصر الروسي نيقولا الأول ومترنيخ [3] ، تناول الطرفان الأزمة المصرية-العثمانية واتفقا على الوقوف بوجه التوسع المصري داخل الأقاليم التابعة للدولة العثمانية [4] ، كما تم الاتفاق انه فيما لو سقطت الدولة العثمانية فإنهم سيجتمعون لهدف تأسيس نظام جديد [5] ، وتعهدت النمسا أيضا بدعم روسيا فيما لو حاولت بريطانيا وفرنسا منع القيصر الروسي من مساعدة الدولة العثمانية حسب مانصت عليه معاهدة خنكار اسكله سي [6].

ويبدوا لنا ان القيصر الروسي هدف من اجتماع مونشخراتز إرضاء النمسا لكونه قد انفرد بالسيطرة على الدولة العثمانية بموجب معاهدة خنكار اسكله سي ، فضلا عن توحد جهود الدولتين للوقوف بوجه الموقف العدائي الذي تبنته بريطانيا وفرنسا ضد سياسة روسيا تجاه الدولة العثمانية . وهذا الموقف العدائي للدول الغربية قد أجبر القيصر على إشراك النمسا في سياسته تجاه الدولة العثمانية ، اذ تعهد الطرفان بالتعاون وبذلك فان معاهدة خنكار اسكله سي شملت روسيا والنمسا ، وهكذا حصلت النمسا على الامتيازات المنصوص عليها في تلك المعاهدة دون ان تشارك في تحمل المسؤوليات ، وذلك مكسب مهم لمترنيخ .

كانت هناك مراسلات على درجة عالية من السرية بين بونسونبي وبالمرستون ، اذ اقترح السفير ان يحصل على تخويل من الحكومة البريطانية يضمن له حق استدعاء الأسطول الحربي البريطاني في البحر المتوسط الى المضائق ، والذي يمكن بواسطته إحباط أي تحرك روسي في المضائق ضد المصالح البريطانية ، لكن كان من الصعوبة

---

(1) Temperley,Harold,Op.Cit,P.72.
(2) Ancel,Jacoues,Op.Cit,P.113.
(3) Wood,Anthony,Op.Cit,P.163.
(4) Marriott,J.A.R.,The Eastern Question,P.247; Temperley,Harold,Op.Cit,P.80.
(5) Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,P.292.
(6) Bolsover,G.H.,Op.Cit,P.238.

الحصول على ذلك التخويل ، في ظل الخلافات والانقسامات القائمة بين أعضاء مجلس الوزراء ، اذ لايمكن وضع هكذا سلطة بيد السفير [1] .

انقسمت الحكومة البريطانية حيال الموقف الذي يجب اتخاذه ضد روسيا ، فهناك فريق يقوده رجل القانون ريتشارد كوبدن Richard Copden [2] (1802-1865) الذي رأى ان احتلال روسيا لاسطنبول لن يضر بالمصالح البريطانية ، لان روسيا غير قادرة على منافسة بريطانيا ، بل ستكون مضطرة لتوقيع اتفاقية اقتصادية معها وهذا سيؤمن المصالح الاقتصادية البريطانية . اما الفريق الآخر الذي تزعمه بالمرستون وايدته الأغلبية الساحقة في البرلمان والرأي العام البريطاني فقد بين بأنه اذا ما قبلت بريطانيا بوجود روسيا في اسطنبول ، فان عليها بالتالي أن تقبل بظهورها في الهند ، وان الدفاع عن الدولة العثمانية وبلاد فارس ضروري للحفاظ على مصالح بريطانيا ، لان خسارة الهند تعني تحول بريطانيا إلى دولة من مستوى الدول الأوربية الصغرى كبلجيكا وهولندا [3] .

بذل بالمرستون جهدا في إقناع الحكومة البريطانية بضرورة منح بونسونبي حق استدعاء الأسطول البريطاني ودخوله إلى المضائق [4] ، وبين بالمرستون ان طلب بونسونبي خطوة ضرورية للحفاظ على السلام ، فاذا ما سمح للروس بالعمل لوحدهم ثانية فأنهم قد يقومون بغلق الدردنيل ، وقد يكون من الضروري بالنسبة للأسطول البريطاني ان يبادر الى اتخاذ الإجراءات ، ولايمكن القيام بذلك إلا إذا كان للسفير سلطة تمكنه من استدعاء الأسطول البريطاني [5] .

وفي الوقت نفسه كلف بالمرستون بونسونبي في الخامس من كانون الأول 1833، بإقناع السلطان بوجهه النظر التالية : " **إن جميع الأخطار والمحاذير ستنتفي**

---

(1) **احمد ناطق ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق ، ص117.**

(2) **سياسي ورجل دولة بريطاني ليبرالي ، ارتبط مع جون برايت John Bright في تشكيل عصـ ـبة مقاومـ ـة قـ ـوانين الحبوب عام 1838، دعا كوبدن الى مباديء السلام العالمي وعدم التدخل وأيد حرية التجارة ، وفي عام 1835 نشر كتابه الاول المعنون بريطانيا وايرلندا وامريكا ، زار الولايات المتحدة في حزيران 1835 ر فـ ـي نيسـ ـان 1837، دخل البرلمان البريطاني عام 1841واستمر فيه حتى وفاته ، للمزيد من التفاصيل ينظر :**
The New Encyclopedia Britannica,Vol.3,P.413.

(3) **خضر خضر ، المصدر السابق ، ص ص 140-141.**

(4) **Bullard,Reader,Op.Cit,P.36.**

(5) **احمد ناطق إبراهيم العبيدي ، المصدر السابق ، ص117.**

إذا اتجه شطر بريطانيا ، وهي الدولة التي لديها من الإمكانيات والاستعداد ماتستطيع به كبح قوة محمد علي ، على أن تبقى الدولة العثمانية مستقلة فعلا ... " [1] .

اقتنعت الحكومة البريطانية بمنح صلاحية استدعاء الأسطول البريطاني لبونسونبي ، وفي السادس من كانون الأول 1833 وجه بالمرستون تعليماته الى سفيره في اسطنبول ، مصادقا عليها من لدن الملك والحكومة [2] ، تخوله باستدعاء الأسطول البريطاني عند الحاجة ، وشملت التعليمات أيضا أمرا إلى الأدميرال جيمس راولي Admeral James Rowley قائد الأسطول الحربي البريطاني في البحر المتوسط يأمره بالتأهب والاستعداد لأي هجوم قد يقوم به الروس لاحتلال اسطنبول ، وهكذا أصبحت أوربا على شفير حرب ولاسيما أن السفير البريطاني كان يكن مشاعر الحقد ضد روسيا [3] .

أبلغ بالمرستون السلطان العثماني ، من خلال سفيره في اسطنبول ، بضرورة القيام بإصلاحات إدارية واقتصادية وعسكرية تعفيه من الاعتماد على روسيا ، وكان بالمرستون يريد كسب الوقت لأنه طالما كان مترنيخ يدعم القيصر الروسي [4] ، فإنه من الصعب أو المستحيل على بريطانيا أن تشن هجوما مباشرا على المواقع الروسية في البحر الأسود ، وكان بالمرستون يأمل في إقناع النمسا في التخلي عن دعم سياسة روسيا إزاء الدولة العثمانية ، لكن مترنيخ استمر في تأييده روسيا والتحالف معها [5] .

استمر بالمرستون في سياسته المعادية لروسيا [6] ، وفي السادس عشر من كانون الأول 1833 أكد بالمرستون على خطورة معاهدة خنكار اسكله سي على الدولة العثمانية ، لان تلك المعاهدة وضعت الدولة العثمانية تحت إشراف روسيا ، والتي كانت أهدافها الرئيسة في حقيقتها معادية لبقاء هذه الدولة نفسها [7] .

أما في روسيا فقد بدأت رئاسة الأركان الروسية بوضع الخطط العسكرية ضد أي هجوم قد تقوم به بريطانيا بالتعاون مع فرنسا ، وكتب وزير الخارجية الروسي كارل روبرت نيسلرود

---

(1) مقتبس في : جوزيف حجار ، المصدر السابق ، ص99.

(2) Bolsover,G.H.,Op.Cit,P.242.

(3) Temperley,Harold,Op.Cit,Pp.76-77.

(4) Bolsover,G.H.,Op.Cit,P.243.

(5) Ibid,P.243.

(6) غرانت وتمبرلي ، المصدر السابق ، ص 346.

(7) بيير رونوفان ، المصدر السابق ، ص 133.

Karl Robert Nesselrode (1) (1786–1862/1816–1856) إلى سفيره في لندن ليفين Lieven في العشرين من كانون الثاني 1834 مانصه : " **يريد بالمرستون أن ينتقم منا من أجل الدور المتواضع الذي أداه في شؤون الشرق [الدولة العثمانية] ، لقد وصفنا بأبشع الصفات وقد رددنا عليه بالأسلوب نفسه ، أتمنى أن يقتصر الأمر على تبادل المذكرات والرسائل ، ومع هذا فكل شيء ممكن مع الرجال الغاضبين والذين يفتقرون الى الحكمة كأولئك الذين يحكمون بريطانيا اليوم ... ولهذا فلن أكون آسفا لأعلمكم بأننا مشغولون كثيرا بالاستعداد للدفاع عن ميناء سيفاستوبول Sebastopol من أي هجوم محتمل** " (2) .

نشأت عند بالمرستون ، لكي يجابه سياسة روسيا تجاه الدولة العثمانية ، فكرة تعديل معاهدة خنكار اسكله سي وذلك بإشراك الدول الأوربية الخمس الكبرى بها ، بحيث يصل إلى هدفه في تقليل التأثير الروسي فيها ، وضمان أملاك الدولة العثمانية ثانيا ، ليس فقط بتعهد من روسيا إنما أيضا بضمان من جميع الدول الأوربية وسوف تبرز هذه المحاولات الحثيثة من جانب بالمرستون أثناء الأزمة المصرية–العثمانية الثانية (3) . ويتضح مما سبق ان الدبلوماسية البريطانية قد فشلت فشلا ذريعا في التصدي للتطلعات الروسية تجاه الدولة العثمانية خلال ازمة محمد علي باشا الأولى .

(1) روسـ . ـية عريقـ . ـة امتهنـ . ـت الدبلوماسـ . ـية ، فقـ . ـد كـ . ـان والـ . ـده سـ . ـفيرا لروسـ . ـيا فـ . ـي اسـ . ـبانيا ، أسـ . ـهم ... ماسـ . ـي مـ . ـن عائلـ . ـة
في السياسة الخارجية الروسية لمدة طويلة ، من خلال توليـ . ـه حقيبـ . ـة الخارجيـ . ـة لاربعـ . ـة عقـ . ـود متواصـ . ـلة (1816-1856) ... ه
في الى منصب مستشـ . ـار ، وقام ... 1844 ... ـدة بـ . ـارايس ... أنهم 1856 ... ـرب القـ . ـرم ، تـ . ـوفي فـ . ـي الثالـ . ـث والعشرين من آذار 1862 في سانت بطرسبيرغ ، للمزيد من التفاصيل ينظر :
The New Encyclopedia Britannica,Vol.8,P.611.

(2) مقتبس في : احمد ناطق ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق ، ص 199.

(3) خضر خضر ، المصدر السابق ، ص 141.

أولا : جهود بالمرستون لحماية طريق الهند 1835-1841

1- تبنيه مشروع طريق الفرات :

كانت حرية المواصلات مع الهند عبر الأراضي العثمانية بطبيعة الحال الحجر الأساس في الأهمية التي تعلقها بريطانيا على هذه المنطقة [1] ، وكان هناك إمكانيات لتحقيق هذا الاتصال ، الأولى عبر مصر والثانية عبر سوريا ، وكان على بريطانيا أن تختار الإمكانية التي توفر لها أكبر قدر من السرعة والأمان [2] . ولذلك حاولت بريطانيا التصدي للتطلع الروسي نحو بلاد مابين النهرين ومنطقة الخليج العربي من خلال الاستفادة من نهر الفرات للملاحة من سوريا الى الخليج العربي [3] .

أوفدت الحكومة البريطانية منذ عام 1831 فرانسيس رودن شزني Francis Rawdon Chesney[4] (1789–1872) إلى بلاد مابين النهرين لجمع المعلومات عن طريق الفرات[5] ، وبعد انتهاء جزني من مسحة لطريق الفرات ، قدم تقريرا الى الحكومة البريطانية ، حث فيه الحكومة لتبني هذا المشروع [6] ، ونال تقرير جزني اهتمام وزير الخارجية البريطاني بالمرستون [7] ، وعرض المشروع على مجلس العموم البريطاني في حزيران 1834، وتشكلت لجنة من مجلس العموم عهد إليها البحث في موضوع الملاحة البخارية [8] ، وأظهر ملك بريطانيا وليم الرابع رغبة كبيرة في فتح طريق الى الهند عن طريق الفرات [9] .

---

(1) جوزيف حجار ، المصدر السابق ، ص100.

(2) زكي صالح ، مجمل تاريخ العراق الدولي في العهد العثماني ،مطبعة الرابطة ،بغداد،1949،ص45.

(3) فواز مطر نصيف الطائي ، التنافس البريطاني الروسي في منطقة الخليج العربي 1798-1907، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 2007، ص84.

(4) عسكري بريطاني ولد في ايرلندا ... رتبة ملازم ، أرسلته حكومته الى استنبول عام 1829 للمشاركة مع القوات العثمانية في حربها ... وبعد الانتهاء ... أوكلت اليه عام 1835 مهمة مسح ومقارنة بين طريق البحر الاحمر ونهر الفرات وأيهما أصلح لنقل البريد البريطاني بين الهند وبريطانيا ، أرسل الى الشرق الاوسط مرة اخرى عامي 1856 و1862 ... مشروع سكة حديد الفرات ، توفي في الثلاثين من كانون الثاني 1872، للمزيد من التفاصيل ينظر :
The New Encyclopedia Britannica,Vol 13,P.177.

(5) انظر الملحق رقم (2) .

(6) عبد الفتاح ابراهيم ، على طريق الهند ، ط2 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 2004،ص84.

(7) Crawley,C.W.,Anglo-Russian Relations 1815-1840,Historical Journal,No.1,Vol.3, 1929 , P.70.

(8) ... مصطفى عقيل ، سياسة ايران في الخليج العربي على عهد ناصر الدين شاه ، الدوحة ، 1987، ص273.

(9) عبد الفتاح ابراهيم، المصدر السابق ، ص85.

حاولت الحكومة البريطانية الإسراع في تنفيذ هذا المشروع ، لمراقبة أي محاولة قد يقوم بها محمد علي باشا لمد نفوذه إلى بلاد مابين النهرين [1] ، وأوعز بالمرستون إلى قنصل بريطانيا في القاهرة كامبل لاتخاذ الإجراءات اللازمة لإتمام المشروع ، وفي الحادي والعشرون من تشرين الأول 1834 سلم كامبل ، محمد علي ، مذكرة مفصلة تتضمن مطاليب حكومته بشأن شق طريق الى الهند عبر سوريا وما بين النهرين . وطلبت الحكومة البريطانية في المذكرة أن يشق محمد علي طريقا صالحة للعربات بين أنطاكية والفرات مرورا بحلب وانتهاءً بموقع آخر على نهر الفرات يقع عليه الاختيار ، وأن يسمح للمتعهدين البريطانيين بالمباشرة بعملهم دون عوائق [2] .

كما ينبغي على والي مصر أن يوفر الحماية اللازمة لأفراد البعثة ، أدرك محمد علي باشا نوايا بالمرستون فأحال الطلب المقدم إليه إلى السلطان العثماني ، دون ان يرفض صراحة تقديم المساعدة ، على أمل أن يعارض السلطان هذا المشروع الأجنبي [3] . إلا إن الباب العالي اغتنم الفرصة ليضع واليه أمام مطامع دولة قوية كبريطانيا وأبدى موافقته على المشروع [4] .

وفي تشرين الثاني 1834 استقالت وزارة غراي ، وخلف بالمرستون في وزارة الخارجية ولنكتون [5] ، وتزامن ذلك مع صدور مرسوم ملكي بريطاني في الثامن والعشرين من تشرين الثاني من العام نفسه بتعيين شزني رسميا لتنظيم البعثة وقيادتها وتوجيهها [6] ، وبعد شهر حصلت الحكومة البريطانية في التاسع والعشرين من كانون الأول من العام نفسه على فرمان من السلطان العثماني يسمح لها باستخدام سفينتين في نهر الفرات لأهداف تجارية ، وبذل الكونت موديم Count Modem السفير الروسي في اسطنبول جهودا مستميتة ليحول بين الحكومة العثمانية وإصدار ذلك الفرمان [7]. كان لدى بالمرستون وحكومته دوافع سياسية لتشكيل بعثة الفرات [8] ، فقد كان شبح

[1] جون كيلي ،المصدر السابق ، ج1،ص483.
[2] جوزيف حجار ، المصدر السابق ، ص100.
[3] المصدر نفسه،ص101.
[4] Hurewitz J.C.,Op.Cit,Vol.1,P.258.
[5] جون كيلي ، المصدر السابق ،ج1،ص484.
[6] فواز مطر نصيف الدليمي،المصدر السابق، ص86.
[7] Hurewitz J.C.,Op.Cit,Vol.1,P.258.
[8] Bartle,G.F.,Bowring and the Near Eastern Crisis of 1838-1840,The English Historical Review,No.313,Vol.79,(October.1964),P.763.

الأزمة يخيم على كل من حاكم بلاد فارس محمد شاه (1834-1848) ووالي مصر محمد علي باشا ، وهما يعدان العدة للدخول في مغامرات جديدة للغزو والتوسع الأول بتأييد مستتر من روسيا ، والثاني بتأييد علني من فرنسا [(1)] ، ولذلك أيد بالمرستون إرسال بعثة الفرات لتقوم بمراقبة نشاط الروس والمصريين في المنطقة من ناحية وتدعيم خطوط المواصلات مع الهند من ناحية أخرى [(2)] . أما رئيس البعثة فلم يكن أقل حماسا من بالمرستون للاستفادة من طريق الفرات ، ففي أثناء شرحه لأهمية المشروع أمام لجنة مجلس العموم قال جزني : " **إن أهمية الفرات في المواصلات السريعة تتضاءل مقارنة لاهميته كحاجز لصد التغلغل الروسي في بلاد مابين النهرين ، حاجز يستند الى تجارة نامية مفيدة لنا ولمستعمراتنا الشرقية وللبلاد العربية** " [(3)] .

غادرت بعثة الفرات ميناء ليفربول البريطاني في الرابع من شباط 1835 واتجهت إلى سواحل سوريا على البحر المتوسط ، ولاقت بعثة الفرات صعوبات كبيرة في عملها نتيجة للموقف العدائي الذي أظهره محمد علي باشا [(4)] ، والذي كان مستاء من عمل البعثة واعتقد محمد علي أن نجاح البعثة في تنفيذ المشروع البريطاني سوف ينال من أهمية مصر كطريق الى الهند ، كما أن وجود النفوذ البريطاني في بلاد مابين النهرين سوف يقضي على أطماع محمد علي فيها ، ولذلك التقت أهداف محمد علي مع السفير الروسي في اسطنبول لإحباط المشروع ، وكان ابراهيم باشا قد نجح بالفعل في عرقلة موضوع تزويد البعثة بالعمال والجمال وغيرها من وسائل النقل [(5)] .

عانت بعثة الفرات منذ وصولها إلى سوريا من متاعب كبيرة ولاسيما من الأمراض وعلى الأخص بين الأوربيين من أعضائها ، وقد أضاف وصول السفير الروسي في اسطنبول الكونت موديم الى سوريا مصاعب جديدة [(6)] ، وتزامن ذلك مع الانتخابات العامة التي جرت في بريطانيا التي حصل فيها الأحرار على أغلبية مقاعد مجلس العموم اذ حصلوا على 385 مقعد مقابل 273 مقعد للمحافظين من مجموع مقاعد مجلس العموم البالغة 658 ، الأمر الذي أدى الى عودة بالمرستون الى وزارة الخارجية في

---

(1) **Ficouelmont,Le Comte De,OP.Cit,p.144; Reader,Bullard,Op.Cit,P.34.**

(2) **فواز مطر نصيف الدليمي ، المصدر السابق ، ص86.**

(3) **مقتبس في : زكي صالح ، المصدر السابق ،47.**

(4) **عبد العزيز سليمان نوار ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،د.ت، ص195.**

(5) **ثعبان حسب الله علوان ، المصدر السابق ،ص124.**

(6) **جون كيلي ، المصدر السابق ،ج1،ص ص485-486.**

نيسان 1835 في حكومة ملبورن [1] ، وأبلغه بونسونبي بأنه لاشيء يمكن أن يضع حدا لمتاعب البعثة إلا بصدور مرسوم خاص من محمد علي باشا[2] .

كانت روسيا داخلة في صراع طويل الأمد ضد بريطانيا في هذه المنطقة المتاخمة لبلاد فارس والمؤدية إلى آسيا الوسطى [3] ، ويبدو ان الدبلوماسيين الروس قد تدخلوا فعلا في تشجيع محمد علي على التشدد في معارضة موضوع بعثة الفرات من جهة ولتحذير الباب العالي من مخاطر المشروع من جهة أخرى [4] ، واتضح ذلك في المذكرة التي أرسلها دوهامل Duhamel القنصل الروسي في مصر في السابع من آيار 1835 إلى وزير الخارجية الروسي نيسلرود ، نوه فيها بشيء من الارتياح لموقف الباشا السلبي من البعثة وذكر أيضا مانصه : " **لايزال مشروع بريطانيا الخاص بالملاحة بالفرات شغل الباشا الشاغل ، وهو ينظر إليه باستياء خاص. وقد وصل الكابتن جزني مع كل جماعته الى مرفأ السويدية على البحر المتوسط ، لكن محمد علي عارض نقل القوارب الى ضفاف الفرات قبل أن يتلقى التعليمات التي طلبها من الباب العالي . أظن انه يريد فقط كسب الوقت وهو يأمل أن يساعد انتهاء الفصل وقلة المياه على إفشال مشروع الملاحة ، ومهما يكن من أمر ففي اعتقادي ان قضية الملاحة ستوقع بين محمد علي والبريطانيين** "[5].

انزعج بالمرستون من تصرفات والي مصر تجاه بعثة الفرات [6] ، وكان غاضبا على محمد علي الى درجة انه أبلغ قنصله في مصر كامبل في الثلاثين من حزيران 1835 أنه يفكر في فرض حصار بحري على الإسكندرية لإرغام الوالي على تغيير موقفه [7] ، غير أن الأخير قد غير موقفه نتيجة لاحتجاجات بالمرستون ، وأصدر أوامره الى ابراهيم باشا بتقديم مساعدته إلى جزني [8] . ولم يكتف بالمرستون بذلك بل أقنع السلطان محمود الثاني بإصدار فرمان في الرابع والعشرين من كانون الأول 1835

---

(1) Guedalla,Philip,Op.Cit,P.164.

(2) جون كيلي ، المصدر السابق ،ج1،ص486.

(3) جوزيف حجار ، المصدر السابق ، ص101.

(4) فـ ـواز مطـ ـر نصـ ـيف الـ ـدليمي ، تغلغـ ـل النفـ ـوذ البريطـ ـاني فـ ـي العـ ـراق 1869-1914 ، رسالة ماجسـ ـتير ، كليـ ـة الاداب ، جامعة بغداد ، 1989، ص54.

(5) مقتبس في : جوزيف حجار ، المصدر السابق ، ص102.

(6) Crawley,C.W.,Op.Cit,P.70.

(7) ثعبان حسب الله علوان ، المصدر السابق ،ص124.

(8) جون كيلي ، المصدر السابق ،ج1،ص487.

صرح فيه للبعثة بمزاولة نشاطها في الشام والعراق ، وطالب ولاة الأقاليم المذكورة بتسهيل مهمة البعثة [1] .

وعلى الرغم من ان موقف ابراهيم باشا من المشروع البريطاني قد تحسن الا انه هو ووالده محمد علي باشا استمرا في محاولتهما لعرقلة أعمال البعثة [2] ، حتى أن رئيس مجلس الهند السير هوب هاوس Hobhaus استاء من هذه التصرفات وطلب من بالمرستون في التاسع والعشرين من كانون الأول 1835 بأن يلقن الإسكندرية درسا لن تنساه وأضاف بأنه "**لايمكنني أن أتحمل الفشل في مشروع خط الفرات بحجة ان ذلك يمثل تدخلا في شؤون بلاد مابين النهرين كما يتصور محمد علي ونجله** " . وقد حدث تغيير في موقف الوالي مع بداية عام 1836 نتيجة للضغوط البريطانية المستمرة [3] .

ويتضح لنا ان محمد علي لم يكن مطمئنا لمشروع الملاحة في الفرات لكون ذلك سيعزز مصالح بريطانيا في المنطقة من جهة ويوثق العلاقات البريطانية-العثمانية من جهة أخرى مما يشكل خطرا على طموحات محمد علي ، كما ان التحالف البريطاني العثماني إذا ما تم فإنه سيقوي موقف السلطان أمام الوالي في أي نزاع محتمل حدوثه مستقبلا.

بدأت بعثة الفرات رحلتها الملاحية في السادس عشر من آذار 1836 من خلال باخرتين صنعتا خصيصا لهذا الغرض إحداهما أسمها دجلة والثانية اسمها الفرات [4] ، ونزلتا في أعالي النهرين لاستكشاف المنطقة واختيار صلاحية هذين النهرين للملاحة ، وقد غرقت الباخرة دجلة في النهر بينما واصلت الباخرة الفرات رحلتها حتى وصلت البصرة في العاشر من حزيران 1836 [5] .

قدم أعضاء البعثة عدة تقارير نصت على أن نهر الفرات سيكون صالحا للملاحة في حالة إزالة العوارض الصخرية وكذلك تأمين جانب القبائل على ضفتي النهر [6] ، كما حصلت الحكومة البريطانية على خرائط عديدة عن بلاد مابين النهرين ، ودونت معلومات تفصيلية عن البلاد وساكنيها وقبائلها وماضيها وحاضرها ، وكتب جزني كل

---

(1) **جوزيف حجار ، المصدر السابق ، ص103.**
(2) **ثعبان حسب الله علوان ، المصدر السابق ،ص122.**
(3) **مقتبس في : جون كيلي ، المصدر السابق ،ج1،ص487.**
(4) **عبد الفتاح ابراهيم ، المصدر السابق ، ص85.**
(5) **Bullard,Reader,Op.Cit,PP.40-41.**
(6) **عبد الفتاح ابراهيم ، المصدر السابق ، ص86.**

ذلك في مجلدين ضخمين فيهما الكثير من الملاحظات والدراسات المهمة التي استفاد منها بالمرستون وحكومته للاطلاع على الأوضاع العامة في تلك البلاد [1] .

اعتقد بالمرستون ان هناك فائدة عظيمة من إيجاد طريق بديل عن مصر ، لكونه يساعد في إنهاء التأثير السياسي الفرنسي والروسي في الوقت نفسه القادم من أطراف متعاكسة ، حيث انه يتجنب خطر الاصطدام المباشر مع فرنسا حول مصر ويحمي السلطان من محمد علي ويبقي روسيا خارج بلاد مابين النهرين ، وعلى الرغم من فشل هذا المشروع في حينه الا انه أعطى لبريطانيا نفوذا في المنطقة [2] .

2- سياسة بالمرستون تجاه تحركات قوات محمد علي نحو سواحل الخليج العربي :

سعى محمد علي باشا الى تأسيس إمبراطورية عربية كبيرة تضم مصر والسودان وبلاد الشام وشبه الجزيرة العربية [3] ، ونجح في ضم معظم تلك المناطق الى حكمه فأخذ يتطلع الى مد نفوذه الى سواحل الخليج العربي [4] ، ومن الواضح أن نجاحه في تحقيق مثل هذا الهدف سيشكل خطرا كبيرا على مصالح بريطانيا ، لان سيطرته على سواحل الخليج العربي ستجعله متحكما في كل من طريق البحر الأحمر والخليج العربي ، وهما طريقان مهمان الى مستعمرات بريطانيا في الهند [5] .

ازدادت مخاوف حاكم البحرين الشيخ عبد الله بن حمد (1820-1843) نتيجة لازدياد عدد القوات المصرية ، التي احتفظت بجيش مؤلف من حوالي عشرة آلاف جندي في الرياض ، وكان يعتقد أن قوات محمد علي ستتوجه الى سواحل الخليج العربي والبحرين ، لذلك أرسل في الثالث والعشرين من آيار 1837 رسالة الى هانيل Hannelالمقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي ، يبلغه بضرورة التحري عن نوايا القوات المصرية [6] .

---

(1) زكي صالح ، المصدر السابق ، ص47؛ مصطفى عقيل ، المصدر السابق ، ص275.

(2) Crawley,C.W.,Op.Cit,P.70.

(3) Bidwell,W.H.,Op.Cit,P.127.

(4) محمد عرابي نخلة ، تاريخ الاحساء السياسي(1818-1913) منشورات ذات السلاسل ، الكويت د.ت، ص43.

(5) جمال زكريا قاسم ، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، امارات الخليج العربي في عصر التوسع الاوربي الاول(1507-1840) ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،2001 ، ج1، ص400.

(6) جون كيلي ، المصدر السابق ،ج1،ص504.

أرسل هانيل تقارير حول تحركات القوات المصرية الى حكومة الهند ومن هناك أرسلت الى وزارة الخارجية البريطانية حيث وصلت الى بالمرستون في الثالث عشر من تشرين الثاني 1837 [1] ، وتضمنت تلك التقارير تحذير هانيل لبالمرستون من خطورة تواجد القوات المصرية بالقرب من سواحل الخليج العربي، وضرورة اتخاذ إجراءات رادعة ضد القوات المصرية ، غير ان بالمرستون لم يتخذ إجراءات فورية على ضوء تلك التقارير، بل فضل التريث ريثما يحصل على صورة أوضح عما يجري في المنطقة [2] .

وفي الأول من كانون الأول 1837 تلقى بالمرستون مذكرة أخرى من سفيره في أسطنبول بونسونبي ، بعد أن جمع بعض المعلومات عن طريق القناصل البريطانيين في بغداد والبصرة ، ذكر فيها : " **أود ان انبه ان لاتوجد أي قوة في هذه المنطقة تستطيع التصدي لمحمد علي باشا ، رغم ذلك فان تحركات الباشا تتطلب اتخاذ قرار فوري بشأن مصير الإمبراطورية العثمانية ، ومدى تأثر مصالحنا المباشرة في الهند إذا ما استولى محمد على ضفاف أنهار العراق وموانيء الخليج العربي** " [3] .

ويبدو ان محمد علي باشا بعدما فشل في التخلص من بعثة الفرات ، التي استعملها البريطانيون كوسيلة لتركيز نفوذهم في بلاد مابين النهرين ، سعى لتوطيد نفوذه على سواحل الخليج العربي ليجعل طريق الفرات تحت سيطرته من الشمال والجنوب ، وبذلك يصبح طريقا البحر الأحمر والخليج العربي الى الهند تحت سيطرته .

استاء بالمرستون بعد ان وصلته تقارير السفراء والقناصل البريطانيين حول تحركات محمد علي ، وكتب الى كامبل قنصله في مصر في الثامن من كانون الأول 1837 [4] قائلا : " **اني اكلفك بأن تخبر باشا مصر بأن حكومة جلالته تلقت تقارير عن تحركات جيوش في سوريا والجزيرة العربية تدل على انه ينوي مد سلطته الى الخليج العربي وولاية بغداد . إعلم الباشا صراحة ان الحكومة البريطانية لن تقف من تنفيذ هذه المشاريع مكتوفة اليدين** " [5] .

---

(1) جون كيلي ، المصدر السابق ،ج1،ص504.
(2) فؤاد سعيد العابد ، سياسة بريطانيا في الخليج العربي خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت ، 1981 ،ص ص125-126.
(3) مقتبس في : جون كيلي ، المصدر السابق ،ج1،ص505.
(4) Hawley,Donald,The Trucial States,London ,1972 ,p.156.
(5) مقتبس في : جوزيف حجار ، المصدر السابق ، ص111.

سلم كامبل هذا التحذير الى محمد علي في أوائل شباط 1838 ، وقد أنكر محمد علي انكارا تاما بأن له أطماعاً في بلاد مابين النهرين أما بالنسبة للخليج العربي فليس من حق الحكومة البريطانية التدخل في هذا الموضوع [1] ، وان الشخص الوحيد الذي يحق له التدخل في ذلك هو السيد سعيد (1806-1856) حاكم مسقط ، واضاف محمد علي بأنه لن يقوم باي عمل في الخليج العربي يتعارض مع مصالح الحكومه البريطانية وسياستها ، لكن هذا الرد لم يبدد شكوك بالمرستون [2]. الذي ابلغ كامبل مانصه "**ان مهمتنا في الخليج العربي هي وضعه تحت سيطرتنا البحرية ، بعيدا عن نفوذ أي دولة اخرى تستطيع منافستنا فيه ، بشرط ان لاتكلفنا هذه السياسة نفقات باهضة** "[3]. وفي آيار 1838 عهد محمد علي باشا الى خورشيد باشا بقيادة الجيش المصري في نجد [4]، وأمضى خورشيد باشا فصل الصيف في تدعيم نفوذه في شبه الجزيرة العربية [5] .

استمرت شكوك بالمرستون بنوايا محمد علي تجاه الخليج العربي كما عزز البريطانيون وجودهم فيه اذ أعطى بالمرستون أوامره الى حكومة الهند البريطانية بإرسال قوة عسكرية لاحتلال جزيرة خرج ، التي تقع على مدخل الخليج العربي من جهته الشمالية [6] ، وأبحرت السفينة سميراميس وعلى متنها خمسمائة جندي من بومباي يوم الرابع من حزيران 1838 ، بالاضافة الى سفينة نقل أخرى ، وفي التاسع عشر من حزيران نزل الجنود البريطانيون على أرض الجزيرة واحتلوها [7] .

ومن الجدير بالذكر ان احتلال البريطانيين لجزيرة خرج لم يأت نتيجة تقدم قوات محمد علي باتجاه الخليج العربي فحسب بل نتيجة لتفاقم الأزمة الأفغانية [8] . لكن بالمرستون اتخذ من وجود القوات البريطانية في خرج وسيلة لمراقبة تحركات القوات المصرية باتجاه سواحل الخليج العربي وجنوب بلاد مابين النهرين .

---

(1) جوزيف حجار ، المصدر السابق ، ص111.

(2) جون كيلي ، المصدر السابق ،ج1،ص505.

(3) مقتبس في : حسن سلمان محمود ، الكويت ماضيها وحاضرها ، المكتبة الاهلية ، د.ت ، ص180.

(4) Hawley,Donald,Op.Cit,P.157.

(5) كان خورشيد باشا يخوض صراعا في تلك المرحلة مع زعيم آل سعود الامير فيصل بن تركي ، وحاول المصريون [illegible] القاهرة للمزيد من التفاصيل ينظر : جون فيلبي ، تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد [illegible] ، ترجمة : عمر الديراوي ، المكتبة الاهلية ، بيروت ، د.ت ،ص ص203-208.

(6) محمد عرابي نخلة ، المصدر السابق ، ص44.

(7) جون كيلي ، المصدر السابق ،ج1،ص512.

(8) سنتناول هذه الأزمة بالتفصيل في الصفحات اللاحقة .

وفي أيلول 1838 استعدت القوات المصرية للتقدم شمالا باتجاه الإحساء القريبة من سواحل الخليج العربي [1] ، وأرسل خورشيد باشا وفودا الى حاكم الكويت جابر الصباح والبحرين عبد الله ال خليفة والى القبائل في جنوب العراق يطالبهم بتأييده وتقديم مايحتاجه الجيش من تموين عند وصوله الى ساحل الخليج العربي [2] .

اخذ الموقف يتأزم بين بريطانيا ومحمد علي أواخر عام 1838 [3] ، حيث كتب الكولونيل تايلور المقيم البريطاني في بغداد ، الى اللورد بالمرستون في تشرين الأول 1838 موضحا العواقب التي سوف تترتب على تقدم القوات المصرية في سواحل الخليج [4] ، وبادر بالمرستون بالكتابة الى كامبل قنصله في القاهرة في التاسع والعشرين من تشرين الثاني يبلغه بتلك المعلومات التي كان مفادها اتجاه القوات المصرية إلى الإحساء والقطيف وتمهيدا للسيطرة على البحرين وطلب منه الاستفسار من والي مصر عن صحة هذه المعلومات مؤكدا ان هذه التحركات تنظر اليها الحكومة البريطانية نظرة غير ودية[5].

سلم كامبل احتجاج بالمرستون في مطلع كانون الثاني 1839 الى بوغوص بيك وزير محمد علي ، حيث كان الوالي في زيارة للسودان في ذلك الوقت ، وحصل كامبل على وعد من بوغوص بيك بأن ليس لمحمد علي أية أطماع في جزيرة البحرين [6] ، وفي بداية كانون الثاني 1839 كان خورشيد باشا قد أقام حاميات عسكرية في الموانئ الهامة الواقعة على ساحل الإحساء كالقطيف والعقير وسيحات بعد أن أكمل احتلال الإحساء [7] .

ومن الجدير بالذكر ان وزارة الخارجية البريطانية في لندن أبدت اهتماما كبيرا بالتحركات المصرية في الخليج ، بالرغم من ان تلك هي مهمة حكومة الهند البريطانية مما يبين لنا تأثير تلك التحركات على المصالح البريطانية في المنطقة .

---

(1) لوتسكي ، تاريخ الاقطار العربية الحديث ، ترجمة : دار التقدم أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي ، موسكو ، 1971 ، ص109.
(2) جون كيلي ، المصدر السابق ،ج1،ص524.
(3) جمال زكريا قاسم ،المصدر السابق ، 406.
(4) جون كيلي ، المصدر السابق ،ج1،ص525.
(5) جمال زكريا قاسم ،المصدر السابق ، 406.
(6) جون كيلي ، المصدر السابق ،ج1،ص527.
(7) Hawley,Donald,Op.Cit,P.156.

وفي شباط 1839 طلب شيخ البحرين عبد الله آل خليفة من بريطانيا تقديم الحماية له في حالة هجوم القوات المصرية على بلاده ، إلا أن الرد البريطاني تأخر فطلب شيخ البحرين من شاه فارس الحماية ، وعرض أن يدفع له اتاوة سنوية ، ولم يحصل شيخ البحرين على رد نهائي لكون شاه فارس كان مشغولا بالأزمة الأفغانية [1] ، أما هانيل فاعتقد ان توجيه انذار الى خورشيد باشا بعدم مهاجمة البحرين كافيا لردع المصريين عن التدخل في شؤونها[2].

وفي أوائل شهر آذار 1839 بعث بالمرستون بمذكرة الى كامبل يحثه فيها على ضرورة توجيه تحذير الى محمد علي باشا وخطورة محاولته لاحتلال البحرين ، وفي الثالث عشر من آذار بعثت حكومة الهند البريطانية بأوامر إلى هانيل تحثه بضرورة استخدام كل ما له من نفوذ لوقف توسع خورشيد باشا في منطقة الخليج [3] ، وهكذا اتجهت السياسة البريطانية الى منع القوات المصرية من السيطرة على البحرين لأهميتها الاقتصادية والإستراتيجية [4] ، وشدد بالمرستون على ضرورة استخدام القوة لإجبار خورشيد باشا على عدم مهاجمة البحرين حتى لو اضطرت شركة الهند الشرقية البريطانية لاحتلالها [5] .

وفي الواقع فأن القوات المصرية كانت تشكل في ذلك الوقت قوة لايستهان بها تقف على مقربة من البحرين ، لذلك اعتقد شيخ البحرين بضرورة طلب الصلح معها ، بالرغم من وصول مندوب فارسي الى البحرين لتقديم الحماية [6] ، الا ان خورشيد باشا نجح في ابرام اتفاقية مع شيخ البحرين في الثاني والعشرين من نيسان 1839 [7] ، نص على خضوع البحرين للحماية المصرية ودفع اتاوة مقدارها 3000 ريال نمساوي تدفعها البحرين سنويا [8] .

أثارت هذه الاتفاقية قلقا شديدا لدى البريطانيين ، ووجه هانيل احتجاجا شديدا الى خورشيد باشا محملا إياه مسؤولية أي ضرر يحدث للرعايا البريطانيين في البحرين [9] ، وفي التاسع

---

(1) جون كيلي ، المصدر السابق ،ج1،ص528.

(2) لوتسكي ،المصدر السابق ، ص109.

(3) Hawley,Donald,Op.Cit,P.157.

(4) جمال زكريا قاسم ،المصدر السابق ، 408.

(5) الكسي فاسيلييف ، تاريخ العربية السعودية ،ص20، على الموقع : 4Kitab.com

(6) جون كيلي ، المصدر السابق ،ج1،ص533.

(7) عبـ ـد الفتـ ـاح حسـ ـن ابـ ـو عليـ ـه ، تـ ـاريخ الدولـ ـة السـ ـعودية الثانيـ ـة 1840-1891 ، ط4،دار المـريخ للنشـ ـر،الرياض 1991، ص66.

(8) Hawley,Donald,Op.Cit,P.157.

(9) جمال زكريا قاسم ،المصدر السابق ، ص409؛ عبد الفتاح حسن ابو عليه ، المصدر السابق ، ص69.

من آيار 1839 علم بالمرستون من خلال المذكرة التي بعثها اليه هانيل خطورة الوضع في البحرين وضرورة اتخاذ التدابير اللازمة لمنع وقوعها تحت سيطرة المصريين . كما تلقى بالمرستون في اليوم نفسه تقريرا من كامبل لملخص حديث جرى بينه وبين محمد علي باشا ، فقد حاول محمد علي باشا التقليل من خطورة الحملة التي يقوم بها في شبه الجزيرة العربية ، وذكر الوالي أن قوات خورشيد باشا ستنسحب خلال بضعة أشهر وسوف يتم تسليم السلطة في الخليج لخالد بن سعود أمير نجد [1] .

وفي حديثه عن البحرين ذكر محمد علي لكامبل أنها كالكويت ولاية من ولايات نجد ، وانها كانت تدفع الزكاة الى أمراء نجد من آل سعود لسنوات عديدة [2]، وقد اتضح لكامبل من سير الحديث ان الوالي يعد نفسه الحاكم الشرعي لنجد وملحقاتها ، خاصة وان السلطان العثماني قد خول محمد علي باشا بالقضاء على الدولة السعودية الأولى في وقت سابق [3].

بعث بالمرستون في الحادي عشر من آيار 1839 برسالة الى بونسونبي في اسطنبول يكلفه فيها ببحث الموضوع مع الحكومة العثمانية والتأكد مما اذا كانت تحركات محمد علي في نجد وسواحل الخليج تحظى بتأييد السلطان ام لا، كما كلفه بأن يوضح للحكومة العثمانية بأن أمن ولايتي البصرة وبغداد قد يتعرض للخطر فيما لو نجح محمد علي في مد نفوذه الى مناطق الخليج [4] . وقد طلب بالمرستون من كامبل ان ينتظر نتائج الاتصالات التي كلف بونسونبي بأجرائها مع الحكومة العثمانية ، فإذا تبين ان الباب العالي يعارض هو الآخر امتداد النفوذ المصري الى الخليج فيجب عليه تحذير الوالي بأن بريطانيا لن تسمح له بمد سيطرته عليها ، واذا أصر على هذا التوسع فأن الحكومة البريطانية ستمنعه من توطيد سيطرته على أي منطقة في ساحل الخليج [5].

ولم تكتف بريطانيا بذلك بل انها أرسلت بعض قواتها الى البصرة لتعزيز الحامية البريطانية في جزيرة خرج [6] ، وقد بعث بالمرستون تعليماته الى حكومة الهند التي أصدرت أوامرها الى المقيم السياسي في الخليج هانيل ، والتي وصلته في الثاني من

---

[1] جون كيلي ، المصدر السابق ،ج1،ص533.
[2] جمال زكريا قاسم ،المصدر السابق ،ص 410.
[3] جون كيلي ، المصدر السابق ،ج1،ص552.
[4] المصدر نفسه ، ص 553.
[5] Hawley,Donald,Op.Cit,P.157.
[6] فاروق عثمان أباظة ، المصدر السابق ،ص 121 .

حزيران 1839تحثه بمعارضة أي تقدم يقوم به خورشيد باشا في الخليج العربي ، وطالبته بالتدخل بالقوة العسكرية اذا تطلب الأمر ذلك [1].

حاول خورشيد باشا مد نفوذه الى إمارات الساحل العماني [2] ، وأوفد قائده العسكري سعد بن مطلق الى واحة البريمي لتهيئة القبائل لتقبل النفوذ المصري ، وعندما علم هانيل بالأمر قام بجولة في المنطقة بدأت في الأول من تموز 1839 [3] ، لتوطيد العلاقات البريطانية مع شيوخ الخليج وتذكيرهم بمعاهدات الحماية المعقودة معهم [4] . وتزامن ذلك مع تجدد الأزمة بين محمد علي والسلطان العثماني وهزيمة الجيش العثماني في معركة نصيبين في الرابع والعشرين من حزيران 1839 [5] ، فاضطر خورشيد باشا لإيقاف نشاطه في الخليج العربي [6] .

تدخلت الدول الكبرى وعلى رأسها بريطانيا في الأزمة التي حدثت بين الدولة العثمانية ووالي مصر [7] ، وفي آواخر شباط 1840 ابلغ بالمرستون هوب هاوس الحاكم العام للهند ، انه يعتقد بأنه قد أصبح من حق حكومة الهند اللجوء إلى القوة لإرغام المصريين على الانسحاب من موانئ الإحساء ومن أية منطقة أخرى يحتلونها على سواحل الخليج العربي [8] .

وإزاء تزايد المخاطر التي باتت تهدد الوجود المصري داخل الجزيرة العربية وسواحلها من الدول الأوربية وفي مقدمتها بريطانيا [9] ، اضطر محمد علي الى أن يصدر أوامره في الثالث عشر من آذار من عام 1840 إلى الجيش المصري بالانسحاب من الجزيرة العربية والخليج العربي [10] ، وتسليم حكم نجد للأمير خالد بن سعود [11]، وبعد الانسحاب المصري نجح بالمرستون بعد ممارسة ضغوط على شيخ البحرين من إن

---

(1) فؤاد سعيد العابد ، المصدر السابق ، ص 29.
(2) عبد الفتاح حسن ابو عليه، المصدر السابق ، ص40.
(3) Hawley,Donald,Op.Cit,P.158.
(4) نزار علوان عبد الله ، التطورات الداخلية في الحجاز وعلاقاته الخارجية 1803-1858اطروحة دكتوراه ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ،2011، ص167.
(5)Marrriott,J.A.R.,The Eastern Question,P.238.
(6) عبد الفتاح حسن ابو عليه، المصدر السابق ، ص72.
(7) Rodkey,F.S.,Colonel Campbell's Report on Egypt in 1840,with Palmerston Comments, Cambridge Historical Journal,Vol.3,No.1,1929,P.102.
(8) جون كيلي ، المصدر السابق ،ج1،ص558.
(9) نزار علوان عبد الله ، المصدر السابق ، ص167.
(10) لوتسكي ، المصدر السابق ، ص109؛ الكسي فاسلييف ، المصدر السابق ، ص22.
(11) جمال زكريا قاسم ،المصدر السابق ،ص 419.

يجعله ينقض الاتفاقية مع المصريين ، ويخضع للحماية البريطانية [1]، وبذلك انتهى الحكم المصري في جزيرة العرب تحت ضغط بريطانيا [2] .

3- موقفه إزاء نشاط والي مصر في اليمن :

قامت شركة الهند الشرقية البريطانية في عام 1836 بعملية مسح للحدود الخارجية للهند في السادس من كانون الثاني 1837 ، وامتدت أنشطتها الى الأقسام الشرقية والجنوبية للجزيرة العربية [3] ، وكان من أهم استنتاج وصلت إليه الشركة هو إن محمد علي باشا ينوي إخضاع شبه الجزيرة العربية كلها لنفوذه ، ونبهت الشركة حكومة الهند إلى أن والي مصر ينوي إحكام السيطرة على اليمن وتهديد عدن ، نظرا لموقعها الاستراتيجي كميناء ومرفأ تجاري [4].

كان بالمرستون قد انتابته الشكوك نفسها من توسع محمد علي في الجزيرة العربية لاسيما بعد إن وصلت قوات قائده خورشيد باشا إلى الإحساء [5]، وقد حدث تمرد من لدن بعض الجنود الألبان في جيش محمد علي في اليمن ، لذلك قرر محمد علي إرسال قوة عسكرية لإخماد التمرد بقيادة إبراهيم يكن باشا ، الأمر الذي أدى إلى ازدياد شكوك بالمرستون بنوايا محمد علي [6].

وفي الثامن من كانون الأول 1837 كتب بالمرستون إلى كامبل ليقابل محمد علي ويخبره بأن مسألة تواجد قواته بالقرب من ميناء عدن لا ينظر إليها بعين الرضى في بريطانيا أو الهند ، وابلغ بالمرستون قنصله بضرورة إجراء مباحثات مباشرة معه لمعرفة حقيقة نواياه ، ولقد أكد محمد علي لكامبل بأنه لا يفكر بالتوسع في اليمن ، ولا يتطلع بامتلاك ميناء عدن [7] ، وقد ابلغ محمد علي كامبل إن يخبر بالمرستون التأكيد الكامل بأنه يضع في حساباته مصالح بريطانيا العظمى ، وأنه لن يقوم بإجراءات توسعية ضد تلك المصالح ، كما أيد كامبل ما قاله محمد علي بهذا الصدد [8].

---

[1] محمد عرابي نخلة، المصدر السابق ، ص48.
[2] عبد الفتاح حسن ابو عليه، المصدر السابق ، ص72.
[3] Gavin,R.J.,Aden Under British Rule 1839-1967,Lndon,1979,P.27.
[4] Ibid,P.27.
[5] Hawley,Donald,Op.Cit,PP.156-157.
[6] صـ . باح مهـ . دي رمـ . يض ، تـ . اريخ جنـ . وب الجزيـ . رة العربيـ . ـة الحـ . ديث، دار الفكـ . ر ناشـ . رون وموزعون ، عمـ . ان ، 2010، ص167.
[7] فاروق عثمان أباظة ، المصدر السابق ،ص ص 124-125.
[8] المصدر نفسه ، ص125.

ومما لا شك فيه إن محمد علي بموقفه هذا وتصريحاته كان يريد تحقيق غرضين أساسين **أولهما** : هو تجنب الاصطدام المباشر مع بريطانيا خلال تلك المرحلة لمعرفته بحجم قوتها البحرية بحيث تستطيع إحباط مشاريعه التوسعية لذلك كان يبدي استعداده للحفاظ على سلامة التجارة البريطانية في البحر الأحمر ، **وثانيهما** : هو كسب الوقت اللازم لإكمال حملاته العسكرية في شبه الجزيرة العربية والخليج من دون مضايقات من جانب بريطانيا ليحقق طموحه من دون أية مشاكل ، وبالطبع فإن تلك السياسة كانت ذكية وبارعة ، لكن بالمرستون ظل مرتابا من تحركات محمد علي على الأرض ويراقبه بيقظة تامة من خلال قناصله وعملائهم .

تنبهت بريطانيا لأهمية عدن كمحطة تجارية وميناء مهم يقع في منتصف الطريق إلى الهند ، وذلك بعد إن اتسع نفوذ محمد علي في شبه الجزيرة العربية واليمن [1]، ولذلك كتب هوب هاوس في آيار 1838 رسالة إلى بالمرستون يأمل منه إن يبحث موضوع احتلال عدن وإخضاعها إلى النفوذ البريطاني ، وسيترك ذلك فوائد كبيرة على مصالح شركة الهند الشرقية [2].

ولهذا حذرت الحكومة البريطانية محمد علي من البقاء في اليمن أو الاستمرار في التوسع هناك [3]، وأرسل بالمرستون بهذا الخصوص رسالة إلى كامبل في الرابع والعشرين من آيار 1838 يطالبه فيها بإبلاغ والي مصر إن الحكومة البريطانية يسرها ان ترى القوات المصرية تغادر اليمن [4]. وفي حزيران 1838 أرسل بالمرستون رسالة أخرى إلى كامبل ليوضح لمحمد علي أن عدن تشكل ميناء مهم للتجارة البريطانية ومحطة لتزويد السفن القادمة من الهند بالفحم ، لذلك فيجب الالتزام بعدم التعرض لها في الوقت الحاضر [5].

لذلك فإن بريطانيا كانت ترى في مسألة انسحاب محمد علي من كل المناطق العربية التي سيطر عليها في اليمن والجزيرة العربية أمراً ضرورياً يدعوها للاطمئنان على مركزها الحيوي في تلك المناطق التي تشكل لها أهمية كبيرة لسيطرتها على الطرق

(1) Gavin,R.J.,Op.Cit,P.33.
(2) Ibid , P.33.

(3) صباح مهدي رميض ،المصدر السابق ، ص169.
(4) فاروق عثمان أباظة ، المصدر السابق ،ص ص 126-127.

(5) Gavin,R.J.,Op.Cit,P.33.

الرئيسة المؤدية إلى الهند. ويبدو إن موقف بريطانيا هذا له مغزى ينحصر في رغبتها الأكيدة بإخلاء الساحة اليمنية من أية قوى محلية وخارجية تؤثر على سير مصالحها وأهدافها الاستعمارية (1).

بدأت بريطانيا بإعداد العدة لاحتلال عدن ، وجلبت من اجل ذلك قوات عسكرية بريطانية من الهند ، تمثلت بثلاث بوارج حربية تحمل على متنها ثلاثمائة جندي بريطاني

وأربعمائة جندي هندي (2)، وأرسلت تعزيزات إضافية لإحكام السيطرة على ميناء عدن . أعطى بالمرستون أوامره باحتلال المدينة في كانون الثاني 1839 بحجة غرق إحدى السفن البريطانية مقابل سواحل عدن (3)، وبعد معارك ضارية استطاع البريطانيون بقيادة الكابتن هينز احتلال عدن في التاسع عشر من كانون الثاني1839 (4).

وفي اجتماع الحكومة البريطانية في الشهر نفسه أكد بالمرستون إن وجود قوات محمد علي في اليمن وتهديدها لميناء عدن يستهدف الطريق البحري إلى الهند ، وإن عدن تقع ضمن منطقة نفوذ شركة الهند الشرقية البريطانية ، لذلك اوجد بالمرستون تبريرا لاحتلال عدن وضمها إلى ممتلكات شركة الهند الشرقية البريطانية (5)، وذلك لتحطيم قوة محمد علي في المناطق التي عدتها بريطانيا ذات أهمية إستراتيجية واقتصادية لمواصلاتها مع الهند . كما وطدت بريطانيا نفوذها مع الكثير من الأمراء والمشايخ في المنطقة (6) .

ولم تكتف بريطانيا باحتلال عدن ، بل طالبت اللجنة السرية التي تشرف على شؤون حكومة الهند في لندن من بالمرستون السماح لها بعقد معاهدات بالصداقة مع الزعماء المحليين المحيطين بعدن لجذبهم إلى جانب بريطانيا ، ولكي لا ينضموا إلى جانب المصريين ويشكلوا خطرا على الوجود البريطاني في عدن ، وقد أعطى بالمرستون تعليماته إلى حكومة الهند بإبلاغ وكيلها في عدن بالقيام بعقد المعاهدات والاتفاقيات مع الزعماء المحليين المحيطين بعدن والمناهضين لمحمد علي باشا (7).

---

(1) صباح مهدي رميض ،المصدر السابق ، ص169.
(2) الكسي فاسلييف ، المصدر السابق ، ص20.
(3) نزار علوان عبد الله ، المصدر السابق ، ص167.
(4) Hawley,Donald,Op.Cit,P.157.
(5) Gavin,R.J.,Op.Cit,P.34.
(6) نزار علوان عبد الله ، المصدر السابق ، ص167.
(7) فاروق عثمان أباظة ، المصدر السابق ،ص221.

وفي حزيران 1839 تجددت الحرب بين محمد علي باشا والسلطان العثماني [1]، وتزامن ذلك مع تزايد الضغوط البريطانية عليه للانسحاب من اليمن وشبه الجزيرة العربية ، وأخيرا شعر محمد علي بأنه في أمس الحاجة لقواته المنتشرة في أرجاء الحجاز ونجد واليمن ، وفي الوقت نفسه توالت عليه الإنذارات الشديدة اللهجة من الحكومة البريطانية تطلب منه الجلاء عن اليمن [2]، وفي آذار 1840 أمر محمد علي قواته في اليمن بالجلاء والعودة إلى مصر [3]، وبذلك انتهى الوجود المصري في اليمن ، واستطاع بالمرستون ان ينجح في التخلص من طموحات محمد علي باشا [4]، وترسخت اقدام البريطانيين على اثرها فــــي عدن بعد احتلالهم لها وأصبحت قاعدة مهمة على الطريق القادم من الهند إلى أوربا[5].

4- معالجته للأزمة الأفغانية الأولى:

كانت أفغانستان خلال القرن التاسع عشر مقسمة إلى ثلاث مقاطعات هي : هرات وقندهار وكابول ، ويقع اقليم هرات[6] على الحدود الأفغانية–الفارسية [7] ، ويمثل منفذا مهما يؤدي إلى الهند البريطانية ، وأدعى حكام بلاد فارس أن إقليم هرات تابع لهم ، اما البريطانيون فقد رفضوا هذا الادعاء ، وكانت العلاقة بين الطرفين قد توترت بسبب هذا الإقليم [8] .

تولى الحكم في بلاد فارس محمد شاه ، الذي كان خاضعا لنفوذ الروس ، وبعد أن خسرت بلاد فارس أقاليمها في القوقاز أمام روسيا نتيجة للحروب المتكررة بين الطرفين ، أرادت ان تتوسع في اماكن أخرى من آسيا [9] ، وبعد تولي محمد شاه العرش وجه أنظاره الى إقليم هرات التابع لأفغانستان ، لاسيما ان الأخيرة كانت في حالة اضطراب شديد ونزاعات داخلية [10] . أدرك بالمرستون خطورة خضوع الشاه للروس على مصالح

---

(1) Mansfield,Peter,The British in Egypt ,London,1971,P.3.

(2) Muir,Ramsay,British History,London,1945,P.787.

(3) فاروق عثمان أباظة ، المصدر السابق ،ص223.

(4) نزار علوان عبد الله ، المصدر السابق ، ص167.

(5) جمال زكريا قاسم ،المصدر السابق، ج1،ص 406.

(6) انظر الملحق رقم (3)

(7) Alder,G.J.,The Key to India Britian and the Heart Problem 1830-1863,Middle Eastern Studies,Vol.10,No.2,(May.1974),P.186.

(8) مصطفى عقيل ، المصدر السابق، ص ص 171-172.

(9) Chatterji,Nikshoy C.,Muddle of the Middle East,Vol.1,New Delhi,1973,P.233.

(10) Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,P.66.

بريطانيا ، وفي تشرين الاول 1835 ، أعلن بالمرستون : " **ان استقلال فارس هدف كبير من أهداف السياسة البريطانية ليس لارتباط ذلك بمصلحتنا في الهند وحسب وإنما لأرتباطه باستقلال الدولة العثمانية أيضا** [1] ، **لأن الروس يمارسون نفس الإستراتيجية السياسية تجاه كل من فارس والباب العالي** " [2] . وفي حالة سقوط هرات بأيدي شاه فارس ، فسيؤدي ذلك الى امتداد النفوذ الروسي الى افغانستان [3] ، وبالتالي ستطرق روسيا ابواب الهند البريطانية [4] ، وسيتمكن الروس بعدها من زعزعة النفوذ البريطاني في شمال الهند [5] .

استنتج بالمرستون إن عداء الشاه الجديد نحو بريطانيا يعود إلى حد كبير إلى قيام بريطانيا بإلغاء البنود الخاصة بالدفاع عن ايران ضد أي خطر خارجي ، والمدونة في معاهدة طهران [6] . كما ان الفرس يئسوا من الحصول على مساعدة بريطانيا لهم في صراعهم الطويل مع روسيا ، الذي كان دائما ينتهي بانتصار الاخيرة ، مما دفعهم للانصياع أكثر لأطماع روسيا [7] . لذلك وضع بالمرستون إستراتيجية للتعامل مع شاه فارس مكونا من شقين ، الأول : تجديد وتعديل معاهدة طهران ، بحيث تتعهد بريطانيا بمساعدة الشاه إذا تعرضت بلاده لأي هجوم من الخارج ، والثاني : هو الحيلولة دون قيام الشاه بالهجوم على أي دولة أخرى [8] . وحذر بالمرستون شاه فارس من خطورة مهاجمة إقليم هرات ، لان رد الفعل البريطاني سيكون شديدا [9] .

وفي آيار 1836 أصبح جون ماكنيل John McNeill سفيرا بريطانيا في طهران ، وكلفه بالمرستون بأن يعرض على الشاه إبرام اتفاقية دفاعية جديدة تقوم بريطانيا بموجبها بمساعدة شاه فارس ضد أي خطر تتعرض له بلاده [10] ، كما أكد بالمرستون لماكنيل على ضرورة إضافة ملحق للمعاهدة في شكل اتفاق تجاري يمنح بريطانيا

---

[1] مقتبس في : جون كيلي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص498.

[2] Quoted in :Ziegler,Paul R.,Op.Cit,P.51.

[3] أرنولد ولسن، الخليج العربي ، ترجمة:عبد القادر يوسف ، مكتبة الامل ، الكويت ،د.ت، ص412.

[4] Alder,G.J.,Op.Cit,P.188.

[5] Samra,Chattar Singh,India and Anglo-Soviet Relations 1917-1947,Pombay,1959, P.7.

[6] عقدت هذه المعاهدة عام 1814 .

[7] مصطفى عقيل ، المصدر السابق، ص 175.

[8] جون كيلي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص499.

[9] Fraser-Tytler,W.K.,Afghanistan a Study of Political Development in Central Asia ,Oxford University Press,London,1950,P.83.

[10] جون كيلي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 499؛ Chatterji,Nikshoy C.,Op.Cit,P.233.

الامتيازات نفسها التي حصلت عليها روسيا بموجب معاهدة تركمان جاي [1]، والذي ينص على تعيين قناصل بريطانيين في أي جزء من الأراضي الفارسية [2] . إلا أن ماكنيل فشل في إقناع الشاه لعقد معاهدة التحالف كما انه أخفق أيضا في منع الشاه من الهجوم على هرات [3] .

وعلى الرغم من احتجاجات ماكنيل فقد قرر محمد شاه حاكم فارس التحرك بقواته من طهران في الثالث والعشرون من تشرين الأول 1837 للهجوم على هرات [4] ، تلك الولاية الجبلية الواقعة على أقصى الطرف الغربي لأفغانستان ، ولم يستبعد بالمرستون ان يكون هجوم الشاه على هرات قد تم بتحريض من السفير الروسي في طهران الكونت سيمونيش Count Cemonych ، وقد تجلى ذلك في القرض الذي قدمه الروس إلى الشاه والذي بلغ نحو 35 ألف جنيه استرليني [5] ، كما وعد الروس الشاه بإسقاط الديون الروسية عليه في حالة احتلاله لإقليم هرات ، وكانت تلك الديون قد تراكمت على الشاه كنتيجة للحروب المتكررة مع روسيا [6] .

كان إقليم هرات يحكمه الأمير كامران ميرزا ، وقبل قيام الشاه بالحملة ، عقد مفاوضات في أيلول 1837 مع دوست محمد خان حاكم كابول وكوهنديل خان حاكم قندهار ، وهم من الأعداء التاريخيين لحاكم اقليم هرات ، وأسفرت تلك المفاوضات عن عقد اتفاقية تحت إشراف الروس نصت على مساعدة حاكم كابول وحاكم قندهار لشاه فارس في حملته ضد إقليم هرات [7] ، ونتيجة لذلك ازداد قلق البريطانيين من المؤامرات التي تدبرها حكومة شاه فارس ضد إقليم هرات ، وقد ذكر بالمرستون بهذا الصدد : " **انه لايجب ان تقف الحكومة البريطانية مكتوفة اليدين ، اذا ما تقدمت القوات الفارسية لاحتلال إقليم هرات** " [8] . ومن هنا أصبحت مهمة اللورد اوكلاند Lord Okland

---

(1) المنعقدة عام 1828 .
(2) مصطفى عقيل ، المصدر السابق، ص 175.
(3) Alder,G.J.,Op.Cit,P.189.
(4) Boveri,Margret,Minaret and Pipe-Line , London,1939,P.154.
(5) عبد العزيز سليمان نوار ، المصدر السابق ، ص438.
(6) جون كيلي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص508.
(7) المصدر نفسه ، ص508.
(8) مقتبس في : مصطفى عقيل ، المصدر السابق، ص 175.

(1784–1842–1836/1849) الحاكم العام للهند[1] هي العمل على إفشال قيام مثل ذلك الحلف والحفاظ على استقلال الدويلات الأفغانية كمناطق عازلة للهند البريطانية [2].

نظر بالمرستون إلى تحرك شاه فارس ضد هرات على انه بتوجيه من الروس ، لأنه كان في مصلحتهم على طول الخط سواء انتصر الشاه الفارسي في حملته أم فشل [3] . وقد طرد الشاه الضباط البريطانيون في جيشه مع بدء الحملة على هرات ، ووقع محمد شاه شيئا فشيئا تحت التأثير الكامل للسفير الروسي ، الذي وضع عددا من الضباط الروس تحت تصرفه لقيادة العمليات الحربية [4] .

ومن المؤكد أن الحملة الفارسية على إقليم هرات كانت تخدم المصالح الروسية ، فلو نجحت لكان لروسيا حق بموجب معاهدة تركمان جاي ان تعين قنصلا في هرات ، او وكيلاً سياسياً ، وإذا فشلت الحملة فان بلاد فارس ستكون منهكة ، وذلك يجعلها أكثر خضوعا للنفوذ الروسي ، وإذا منعت بريطانيا الشاه بالقوة من احتلال هرات فسيزداد العداء بين الشاه وبريطانيا ، وبذلك تجني روسيا الثمرة [5] .

كان تحرك الشاه باتجاه هرات يمثل استفزازا صريحا للبريطانيين ، خاصة بعد ان فرض الشاه حصارا شديدا على هرات [6] . وكان بالمرستون يعتقد ان هرات لن تصمد طويلا لذلك يجب اتخاذ الخطوة اللازمة لإيقاف الشاه ، لكن المدينة اثبت صلابة ومقاومة شديدة ضد قوات الشاه ، وبدأت بريطانيا تستخدم كل إمكانياتها بإرغام الشاه على الانسحاب من هرات [7] . وفي آذار 1838 غادر ماكنيل طهران متوجها الى معسكر الشاه الواقع بالقرب من هرات [8] ، وقبل ان يغادر طهران كتب الى الحاكم العام في الهند والى وزير الخارجية البريطاني في لندن بالمرستون ذكر لهما بان عملية

---

(1) **Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,P.67.**

(2) **Alder,G.J.,Op.Cit,P.189.**

(3) **عبد العزيز سليمان نوار ، المصدر السابق ، ص438.**

(4) **كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه امين فارس ومنير البعلبكي ، ط5، دار العلم للملايين، بيروت ، 1968، ص663.**

(5) **عبد العزيز سليمان نوار ، المصدر السابق ، ص438.**

(6) **Alder,G.J.,Op.Cit,P.189.**

(7) **عبد العزيز سليمان نوار ، المصدر السابق ، ص438.**

(8) **Fraser-Tytler,W.K.,Op.Cit,P.98.**

استعراض القوة في بلاد فارس اصبحت امرا ضروريا لإرغام الشاه على الاحتكام إلى المنطق [1] .

وصل ماكنيل إلى معسكر الشاه الواقع بالقرب من هرات يوم السادس من نيسان 1838، وقد وجد الشاه ممتعضا من فشله في إرغام حامية هرات على الاستسلام ، وبالنظر إلى تدهور روحه المعنوية فقد رحب الشاه باقتراح ماكنيل للتوسط بينه وبين سكان هرات [2] . ولكن ما أن غادر المبعوث البريطاني المعسكر لمفاوضة أهل هرات على تسوية النزاع مع الشاه ، حتى وصل الكونت سيمونيش الى المعسكر ، وكنتيجة لذلك رفض الشاه مشروع الصلح الذي اقترحه ماكنيل ، وأخذ يضاعف من عملياته لاحتلال هرات ، وقد أدى ذلك إلى ازدياد الموقف سوءا بين ماكنيل والشاه ، وبذلك تعثرت المفاوضات بينهما [3] .

اقتنع الدبلوماسيون البريطانيون بضرورة استخدام القوة ضد شاه فارس لإرغامه على رفع الحصار عن هرات [4] ، وفي السابع عشر من نيسان 1838، كتب هوب هاوس الى بالمرستون مايلي : " **ان الوقت قد حان لمخاطبة الشاه بلغة تختلف عن اللغة التي تعود سماعها منك من قبل ، وقد يستدعي الأمر أن تقوم بعملية لاستعراض القوة البريطانية لإرغام الشاه بأنه إذا كان يعرف الطريق إلى الهند ، فأننا نعرف أيضا الطريق إلى أصفهان**" [5] .

اقترح هوب هاوس أيضا احتلال جزيرة خرج التابعة لبلاد فارس والواقعة في الطرف الغربي من الخليج العربي ، كإجراء يراد منه الضغط على الشاه ، كما ان هذه الخطوة كما أضاف هوب هاوس ستدعم موقف ماكنيل في مفاوضاته الجارية مع شاه فارس [6] ، وفي الأول من آيار 1838 طلب بالمرستون من حكومة الهند إرسال اكبر قوة ممكنة من الأسطول البريطاني إلى منطقة الخليج بالاضافة إلى كتيبة من المشاة استعدادا لاي إجراء قد يتخذه ماكنيل [7] .

---

(1) **Gottschalk,Louis&Lach,Donald,The Transformation of Modern Europe,Chicago ,1954,P.298.**
(2) **Alder,G.J.,Op.Cit,P.189.**
(3) **جون كيلي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص513.**
(4) **Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,P.67.**
(5) **مقتبس في : جون كيلي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص510.**
(6) **ارنولد ويلسون ، المصدر السابق ، ص412.**
(7) **جون كيلي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص514-515.**

أجرى ماكنيل مقابلتين أخيرتين مع شاه فارس ، الذي كان مايزال يفرض الحصار على إقليم هرات ، المقابلة الأولى تمت في السادس عشر من آيار وفيها سلم ماكنيل للشاه مذكرة من بالمرستون تدعوه لعقد معاهدة صداقة بين الطرفين والانسحاب من هرات ، ولم يحصل ماكنيل على رد من الشاه الذي استخدم اسلوب المراوغة والمماطلة [1] ، وفي الثلاثين من آيار 1838 تمت المقابلة الأخيرة لماكنيل مع الشاه ، والتي لم تؤد إلى نتائج أفضل من سابقتها ، وأخيرا أدرك ماكنيل بأنه لافائدة من البقاء في معسكر الشاه ، وحذر ماكنيل الشاه بأن الحكومة البريطانية لن تقف مكتوفة الأيدي إزاء حصار الشاه لإقليم هرات [2] ، وأرسل رسالة مطولة إلى بالمرستون وصف له فيها ماحدث مع الشاه ثم غادر المعسكر إلى مشهد وغادر طهران في السابع من حزيران 1838 [3] .

وفي التاسع عشر من حزيران 1838 احتلت قوات أرسلتها حكومة الهند جزيرة خرج [4] ، ومن هذه الجزيرة أخذ البريطانيون يهددون الساحل الإيراني وخاصة ميناء بوشهر ، واقترح ماكنيل بأنه يجب ممارسة ضغط أكبر على الشاه لإجباره على الانسحاب من إقليم هرات عن طريق احتلال جنوب إيران ، إلا أن بالمرستون اعترض اعتراضا شديدا على هذا المقترح لان ذلك سيودي إلى اعتماد الشاه أكثر فأكثر على الروس ، ومن المحتمل ان يؤدي ذلك الى حرب مع الروس في آسيا [5] .

وفي السابع والعشرين من تموز 1838 ، بعث بالمرستون رسالة شديدة اللهجة إلى شاه فارس مؤكدا انه في حالة عدم رفع الحصار عن إقليم هرات فأن الحكومة البريطانية لن تستطيع بأي حال أن تغض الطرف عن مخطط الشاه لاحتلال أفغانستان وبأن حكومة صاحبة الجلالة لديها من الأسباب ما يجعلها تعتقد بأن خطة الشاه قد تمت بالاتفاق مع روسيا [6] ، وينبغي على الحكومة البريطانية ان تنظر الى هذه الخطة باعتبارها مظهرا عدائيا من مظاهر السياسة الفارسية ضد حكومة الهند البريطانية . ومن

---

(1) جون كيلي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص515.

(2) عبد العزيز سليمان نوار ، المصدر السابق ، ص439؛

Fraser-Tytler,W.K.,Op.Cit,P.102.

(3) Alder,G.J.,Op.Cit,P.189.

(4) ارنولد ويلسون ، المصدر السابق ، ص412.

(5) عبد العزيز سليمان نوار ، المصدر السابق ،ص439.

(6) Gottschalk,Louis&Lach,Donald,Op.Cit,P.298.

جهة اخرى قامت حكومة الهند بتحشيد قوات عسكرية استعدادا لاجتياح أفغانستان وإعادة ترتيب وضعها بما يخدم مصلحة بريطانيا [1] .

تسلم الشاه تحذير بالمرستون وهو في معسكره القريب من هرات عن طريق مبعوث ماكنيل [2] ، وفي التاسع عشر من أيلول 1838 قرر الشاه سحب قواته المحاصرة واتجه إلى الغرب [3] ، ولم يؤد احتلال جزيرة خرج الى الضغط على الشاه واجباره على الانسحاب فحسب ، بل ان ذلك أحدث إرباكا لدى الروس ، ففي الأول من تشرين الثاني 1838 أرسل نيسلرود وزير الخارجية الروسي مذكرة الى بالمرستون ، يحتج فيها بشدة على احتلال البريطانيين لجزيرة خرج [4] ، وقال نيسلرود في مذكرته بأنه يتكلم باسم الشاه ، ويقدم الاحتجاج نيابة عنه ، وأضاف وزير الخارجية الروسي بأن وجود القوات البريطانية في خرج انتهاك صريح لسيادة بلاد فارس ، ويجب سحبها فورا هي والأسطول البريطاني العامل في الخليج العربي ، فإذا تم ذلك فأن روسيا سوف تؤيد بريطانيا في جهودها لإقناع الشاه بالبقاء ضمن حدوده وعدم القيام بعمليات عسكرية جديدة كتلك التي قام بها على إقليم هرات [5] . غير ان بالمرستون لم يكن يرغب بالانسحاب من جزيرة خرج في تلك المرحلة على الأقل ، وقال بأن الاحتفاظ بالجزيرة سوف يستمر كضمان لمصالح بريطانيا في بلاد فارس [6] .

استغلت بريطانيا انسحاب الشاه من إقليم هرات لتبدأ حملة عسكرية شاملة في أفغانستان في الثالث من آب 1839[7] ، أطاحت فيها بكل الأمراء الأفغان ونصبت شاه شجاع على عرش أفغانستان [8] ، وبعد ذلك فتحت باب المفاوضات مع شاه فارس ، وبعد مراسلات طويلة بين بالمرستون والحكومة الفارسية اتفق الطرفان على توقيع معاهدة في الثامن والعشرين من تشرين الأول 1841[9] ، وتم التصديق عليها في اليوم نفسه ، ونص الاتفاق على حرية التبادل التجاري بين البريطانيين والفرس وحرية تنقلاتهم في

---

[1] رنا عبد الجبار حسين الزهيري ،سياسة بريطانيا تجاه الهند 1764-1858 ،أطروحة دكتوراه ،كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 2011، ص140.

[2] جون كيلي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص520.

[3] عبد العزيز سليمان نوار ، المصدر السابق ، ص445.

[4] Mgilchrist,John,Op.Cit,PP.153-154.

[5] جون كيلي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص523.

[6] المصدر نفسه ، ص523.

[7] Samra,Chattar Singh,Op.Cit,P.7.

[8] Gottschalk,Louis&Lach,Donald,Op.Cit,P.298.

[9] عبد العزيز سليمان نوار ، المصدر السابق ، ص445.

أراضـي الـدولتين المتعاقـدتين ، كمـا نـص الاتفـاق علـى حـق القناصـل البريطـانيين فـي الإقامة في تبريز حيث اصبح من حق بريطانيا ان يكون لديها وكالة تجارية في طهران واخرى في تبريز، كما حصل شاه فارس على حق اقامة وكالتين تجاريتين في بومباي ولندن تتمتعان بالمزايا نفسها التي تمتع بها نظراءهم البريطانيين ، مع ان هذا يعد أقل من الامتيازات التي حصلت عليها روسيا في معاهداتها مع بلاد فارس ، كما سمح للمقيم البريطاني بموجب الاتفاق البقاء في مقره في بوشهر [1] ، وبعد ذلك انسحب البريطانيون من جزيرة خرج في كانون الثاني 1842 [2].

وبعد انتهاء الأزمة الأفغانية الأولى بفشل روسيا ، بدأت صفحة جديدة من العلاقات البريطانيـة–الروسـية عنـدما انـدلعت أزمـة محمـد علـي باشـا مـع الدولـة العثمانيـة عـام 1839 ، والتي كانت سببا لتحالف بريطانيا رسميا مع روسيا .

---

[1] جون كيلي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص609.

[2] عبد العزيز سليمان نوار ، المصدر السابق ، ص445.

ثانيا: سياسة بالمرستون أزاء الدول الكبرى في ضوء تطور الأزمة العثمانية-المصرية 1838-1841

كان صلح كوتاهية عام 1833 هدنة مؤقتة بين محمد علي باشا والسلطان العثماني ، ولم تجلب هذه الهدنة الهدوء والسلام إلى ربوع الدولة العثمانية [1] . إذ بدا للسلطان محمود الثاني أن الهزائم التي تكبدها على يد محمد علي هي اهانة غير محتملة [2]، وعزم على الثأر من خصمه واستعادة سوريا وبدأت الأمور تتجه نحو حرب جديدة بين والي مصر والسلطان العثماني بحلول عام 1838 [3] .

رأى بالمرستون ان السلام لن يدوم طويلا بين السلطان محمود الثاني ومحمد علي ، لطالما ان لكل منهما جيشا كبيرا ، وكلاهما غير مقتنع بما لديه أو تحت سيطرته [4] ، ولذلك بدأت سياسة بالمرستون تتجه إلى دعم موقف السلطان العثماني في استعادة سيطرته على بلاد الشام والوقوف بوجه محمد علي [5] .

وفي السادس من شباط 1838 ، أمر بالمرستون سفيره في اسطنبول بونسونبي [6] ان يعرض على السلطان العثماني إبرام اتفاقية تجارية يسمح بموجبها لجميع الرعايا البريطانيين بالمتاجرة مع أي ولاية عثمانية [7] ، مع تخفيض قيمة الرسوم الكمركية إلى 3% [8] ، وأكد بالمرستون لبونسونبي أن يوضح للسلطان العثماني فوائد الاتفاقية المزمع إبرامها [9]، من خلال إلغاء الاحتكارات التي فرضها محمد علي على معظم السلع في بلاد الشام ومصر والمناطق الأخرى الخاضعة له [10] ، وبذلك يتم توجيه ضربة قاصمة للنظام الاقتصادي الذي بناه محمد علي في مصر ، ووافق السلطان على عرض السفير البريطاني [11].

---

(1) Wood,Anthony,Op.Cit,P.163.
(2) Joy,James Richard,Op.Cit,P.52.
(3) Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,P.70.
(4) Temperley,Harold,Op.Cit.P.90.
(5) Wiener,Joel H.,Op.Cit,Vol.3,P.2282.
(6) Mgilchrist,John,Op.Cit,P.156.
(7) جوزيف حجار ، المصدر السابق ، ص109.
(8) Hurewitz,J.C.,Op.Cit,P.265.
(9) Bullard,Reader,Britain and the Middle East From Earliest Times to 1952,New York ,1952,P.35.
(10) Hollis,Christopher,European History 1815-1914, Vol.2,London,1929,P.2.
(11) Miller,William,Op.Cit,P.148.

ومن الواضح أن بالمرستون نجح في استغلال الفرصة المتاحة له لتدمير اقتصاد مصر ولإضعاف محمد علي من جهة ، ولتحقيق المصالح البريطانية في حرية المتاجرة مع جميع ولايات الدولة العثمانية بما فيها مصر من جهة أخرى ، فقد ضمن بالمرستون موافقة السلطان على الاتفاقية التجارية لأنه كان بأمس الحاجة لبريطانيا لمواجهة قوة والي مصر.

كان بالمرستون ناقما على النهضة التي قام بها محمد علي في مصر ، ووقف بشدة بوجه كل مشاريعه التوسعية خارج مصر (1) ، وعدها تهديدا كبيرا لخطوط مواصلات الإمبراطورية البريطانية مع مستعمراتها في الشرق (2) . وكان بالمرستون يكره محمد علي كرها شديدا ويعده شخصاً همجياً جاهلاً ، وقال في هذا الصدد : " **أنا أنظر إلى حضارته ، حضارة مصر، التي يفتخر بها على إنها هراء وخدعة ، وأنا أؤمن بأنه طاغية وظالم لأنه جعل الناس يعيشون في حالة من البؤس** " (3) .

اتضح لمحمد علي ان بريطانيا ستقف مع الدولة العثمانية في حالة اندلاع حرب معها ، لذلك فكر في اعلان استقلاله وانفصاله نهائيا عن الدولة العثمانية (4) ، ونتيجة لذلك أعلن في الخامس والعشرين من آيار 1838 عن نيته في الاستقلال (5) ، وقال في هذا الصدد : " **لايمكنني ان اترك ماشيدته من المنافع والمرافق الحيوية بمصر طوال هذه السنين مما كلفني أموالا طائلة ، كالاسطول ودور الصنعة ... والمناجم التي فتحتها في سوريا ... لايمكنني ترك كل هذا للفناء على يد الباب العالي بعد موتي** " (6).

يبدو ان محمد علي باشا اعتقد ان الفرصة موآتية لاعلان استقلاله فاختار هذا التوقيت ، ففرنسا كانت متعاطفه مع طموحاته ، أما روسيا وبريطانيا فكانتا مشغولتين في الحرب الافغانية التي عمقت الخلاف بينهما . وعليه توصل محمد علي الى ان السلطان العثماني سيعارض وحده هذا الاستقلال .

---

(1) Stratford,Esme Wengfield,Op.Cit,P.1013.

(2) Ancel , Jacoues , Manuel Historique De La Question D'orient 1792-1930 , Paris , 1931 , P.116.

(3) Quoted in: Temperley,Harold,Op.Cit.P.89.

(4) Marriott,J.A.R.,Op.Cit,P.238.

(5) Bell,Herbert,Vol.1,P.293.

(6) مقتبس في : احمد ناطق ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق ، ص 137.

أخطأ محمد علي في تقديراته فقد أعلنت الدول الاوربية وفي مقدمتها بريطانيا بأنها لن تقف مكتوفة اليدين ازاء أي محاولة لتقسيم املاك السلطان العثماني [1] ، وقد بعث بالمرستون في الثامن من حزيران 1838 رسالة الى سفيره في باريس غرانفيل مبديا رفضه القاطع لاستقلال محمد علي [2] ، وقال مانصه : " **ترى الحكومة البريطانية ان استقلال الباشا سيؤدي الى صراع بينه وبين السلطان العثماني ، وربما ستهزم قوات السلطان في مثل هذا النزاع ، وسيتوجه الروس بلا شك لمساعدة السلطان وسيقومون باحتلال القسطنطينية والمضائق** [3] **، واذا ماسيطرت روسيا على هذه المواقع فلن تنسحب منها ابدا ، لذلك فنحن على استعداد لتقديم الدعم البحري للسلطان العثماني للوقوف بوجه محمد علي اذا دعت الضرورة لذلك او اذا ماطلب السلطان ذلك بنفسه** " [4] .

وأضاف بالمرستون لكلامه ان الباشا سيخدع نفسه فيما لو افترض بأن الخلافات الأوربية يمكن ان تمنع هذه القوى من تقديم المساعدة للسلطان [5] ، بل أن القوى الأوربية ستقدم كل المساعدة والعون [6] ، وكل ماهو ضروري لصون وحماية حقوق وممتلكات السلطان [7] .

سعى بالمرستون إلى توثيق علاقة بلاده مع الدولة العثمانية لموازنة التأثير الروسي من جهة [8] ، الذي تعزز على أثر معاهدة خنكار اسكله سي ، ولحماية الدولة العثمانية من محمد علي من جهة أخرى [9] . وفي الوقت نفسه كان بالمرستون يحاول التقرب من روسيا وذلك لتحقيق هدفين ، الأول: منع روسيا من القيام بعمل منفرد على أساس معاهدة خنكار اسكله سي ، والثاني : إبعاد روسيا عن فرنسا والقضاء على إمكانية

---

[1] Temperley,Harold,Op.Cit.P.92.
[2] Rodkey,F.S.,Colonel Campbell's Report on Egypt in 1840,With Palmerston's Comments,Cambridge Historical Journal,No.1,Vol.3,1929,P.102.
[3] Wiener,Joel H.,Op.Cit,Vol.3,P.2282.
[4] Quoted in :Temperley,Harold,Op.Cit.P.92.
[5] Wiener,Joel H.,Op.Cit,Vol.3,P.2282.
[6] Temperley,Harold,Op.Cit.P.92.
[7] ثعبان حسب الله علوان ، المصدر السابق ، ص96.
[8] Marriott,J.A.R.,Op.Cit,P.237.
[9] Hollis,Christopher,Op.Cit,P.276.

تحالف الدولتين [1] ، كما حرص بالمرستون إلى جذب فرنسا للتحالف معه ، محاولا جمع القوى الأوربية في موقف موحد للوقوف بوجه استقلال محمد علي [2] .

أرسل بالمرستون رسالة إلى سفيره في فرنسا في الثامن من تموز 1838 ، قال فيها : " **ينبغي ان لاننسى أن احتمال الاتفاق بين فرنسا وروسيا هو احد الإخطار الكبيرة التي تهدد أوربا ، إن الأطماع الشخصية للقيصر الروسي في الدولة العثمانية يمكن أن تعيق اتفاق الدولتين في الوقت الحاضر ، ولكن ذلك يمكن ان لايستمر الى الأبد ولهذا فسيكون من الأفضل توجيه سياسة فرنسا الخاصة بالشرق الأدنى الى الطريق الصحيح طالما اننا مانزال نملك القدرة على ذلك** " [3] .

وفي السابع والعشرين من تموز 1838 أجمعت القوى الأوربية على منع إعلان استقلال محمد علي [4] ، وفي السادس عشر من آب تلقى محمد علي رسالة من الحكومة الفرنسية ، لتوضيح أهدافه البعيدة فأجاب الوالي بأنه يريد ان يضمن الحكم لأسرته دون أن يقف في وجه مصالح الدول الأوربية وسياستها [5] ، وأكد محمد علي بأنه سيكتفي حاليا بالمطالبة بحق الوراثة لأسرته ، لكن اذا لجأت الدولة العثمانية إلى الحرب لحل القضية سيطالب باستقلاله [6] .

نجح بالمرستون في إبرام الاتفاقية التجارية التي سميت باسم بلطه ليمان في السادس عشر من آب 1838 مع الدولة العثمانية [7] ، وكان لهذه الاتفاقية أهمية كبيرة للاقتصاد البريطاني ، حيث ألغت الاحتكارات التي كان يفرضها محمد علي على معظم السلع ، ولتسهيل التبادل التجاري بين التجار البريطانيين وجميع الولايات التابعة للدولة العثمانية ، كما ان هذه الاتفاقية ربطت مصالح بريطانيا اكثر بالدولة العثمانية [8] .

أدت اتفاقية بلطه ليمان إلى تأزم العلاقات البريطانية–الفرنسية ، وبدأت الخلافات تبرز بين فرنسا وبريطانيا [9] ، وظهرت أولى علامات التصدع في الموقف الموحد الذي

---

(1) **An Illustrated History of Modern Europe 1789-1939,Op.Cit,P.192.**
(2) **Rayner,Robert M.,Op.Cit,P.206.**
(3) **هلتقد. ..جبص ف الج التكريت . ي ، المسد . ألة الشد . رقية المرحل . ة الاولد . ى 1774-1856يب حكقد الـ ة ، بغ . داد 1990، ص ص 145-146.**
(4) **Bell,Herbert C.F.,Vol.1,P.293.**
(5) **Marriott,The Evolution of Modern Europe 1453-1939 ,London(n.d.),P.317.**
(6) **Rifaat Bey,M.,The A Wakening of Modern Egypt ,London,1947,P.66.**
(7) **Hurewitz,J.C.,Op.Cit,P.265.**
(8) **Mgilchrist,John,Op.Cit,P.156.**
(9) **Bullard,Reader,Op.Cit,P.34.**

اتخذته الدولتان ضد النفوذ الروسي في الدولة العثمانية أثناء الأزمة المصرية الأولى [1]، واعترض السفير الفرنسي لقيام السفارة البريطانية بالتفاوض مع الباب العالي ، بشأن إبرام اتفاقية واعتماد تعريفة جديدة من دون أن تتعاون مع السفارة الفرنسية ، لاسيما أن الفرنسيين كانوا يرغبون أيضا بتعديل الرسوم الكمركية المفروضة على سلعهم [2] .

قدمت الحكومة الفرنسية احتجاجا إلى السفير البريطاني في باريس غرانفيل ، على إبرام اتفاقية بلطه ليمان ، وعبرت الحكومة صراحة عن مخاوفها على المصالح الفرنسية في الولايات العثمانية [3] ، ومن جانب آخر كان بالمرستون يعتقد بأهمية التحالف مع فرنسا في مواجهة الخطر الروسي ، اذ على الرغم من ان سياسة البلدين كانت مختلفة تجاه محمد علي إلا إنها كانت متطابقة بشأن الخطر الروسي [4] ، وأرسل بالمرستون اللورد هولاند Lord Holland [5] (1773-1840) إلى باريس بهدف تخفيف التوتر بين البلدين على خلفية عقد الاتفاقية التجارية ، وتشجيع فرنسا على إبرام اتفاقية تجارية مشابهة للاتفاقية البريطانية وتذكيرها بالخطر القادم من روسيا على مصالح الدولتين في اسطنبول [6] .

حاول بالمرستون إقناع الحكومة العثمانية بإبرام اتفاقية عسكرية ودفاعية بين الدولة العثمانية وبريطانيا ، تتعهد فيها الأخيرة بحماية اسطنبول والمضائق العثمانية في حالة نشوب حرب مع محمد علي [7] ، محاولا بذلك الوصول الى إلغاء وإبطال معاهدة خنكار اسكله سي [8] ، وعرض بونسونبي الأمر على السلطان ، وفي الرابع والعشرين من آب أبدى السلطان محمود الثاني موافقته على إجراء مناورات بحرية بريطانية-عثمانية دون إبرام حلف دفاعي لكي لايستفز روسيا [9] .

---

(1) Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,P.71.

(2) احمد ناطق ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق ، ص 149.

(3) Mgilchrist,John,Op.Cit,P.158.

(4) Hurewitz,J.C.,Op.Cit,P.265.

(5) هنري ريتشارد هولاند Henry Richard Holland سياسي بريطاني من الاحرار ، انضم الى حكومة الاحرار التي شكلها غرانفيل (1806-1807) ، وفي عام 1812 رفض هولاند عرض غراي بأن يكون زعيما للمعارضة في مجلس العموم ، وذلك لان المحافظين هم من كانوا يسيطرون على المجلس ، وفي عام 1827 حاول الاحرار ادخاله في حكومة كانننغ ، لكن الملك جورج الرابع رفض ادخال أي من الاحرار في الحكومة ، وفي تشرين الثاني 1830 عين هولاند مستشارا لدوقية لانكستر Lancaster في حكومة غراي الإصلاحية واستمر في هذا المنصب حتى وفاته ، للمزيد من التفاصيل ينظر : The New Encyclopedia Britannica,Vol.6,p.8.

(6) احمد ناطق ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق ،ص ص 149-150.

(7) Rayner,Robert M.,Op.Cit,P.207.

(8) Brourgeois,Emile,History of Modern France 1815-1852,Vol.1,London,1919,P.214.

(9) خضر خضر ، المصدر السابق ، ص 142.

ازدادت شكوك فرنسا تجاه سياسة بالمرستون كلما ازداد النفوذ البريطاني في العاصمة العثمانية [1] ، وأعتقد روسين أن هدف المناورات البريطانية–العثمانية هو أرغام محمد علي على القبول بالاتفاقية التجارية ، وأن فرنسا غير ملزمة بفرض الاتفاقية على محمد علي ، لان بريطانيا وقعتها من دون موافقة فرنسا [2] ، اما روسيا فقد طالبت السلطان العثماني برد صريح ومكتوب حول مايجري ، وذكر السفير الروسي في اسطنبول بوتينيف السلطان بمعاهدة خنكار اسكله سي التي لاتسمح بدخول السفن الحربية الى المضائق [3] .

كان بالمرستون قد اقترح أيضا على السلطان العثماني إيفاد مدربين وخبراء من ضباط الجيش البريطاني ليقوموا بتدريب الجيش العثماني ، الأمر الذي لاقى معارضة شديدة من لدن روسيا [4] ، فاضطر السلطان إلى تفادي الموقف واستعان ببعثة عسكرية من بروسيا بقيادة فون مولتكه Von Moltke لتدريب الجيش العثماني [5] ، ولطمأنة السفير الروسي بعث السلطان محمود اليه برسالة شفهية في السابع عشر من أيلول 1838 قائلا : " **بأنه لن يسمح للأسطول البريطاني من الدخول إلى مضيق الدردنيل ... وإن السفارة البريطانية لم تلمح بذلك حتى الوقت الحاضر ولو حدث وطلبت ذلك لقوبل طلبها بالرفض ...** " [6] .

ويتضح مما سبق أن بالمرستون حاول بجدية انتزاع الدولة العثمانية من النفوذ الروسي ، كما كان مصمما على تحدي النجاح الذي حققه الروس من خلال معاهدة خنكار اسكله سي ، وبذل جهودا كبيرة في هذا المجال ، وان معاهدة بلطه ليمان دليل واضح على تلك الجهود .

اقتنع السلطان محمود أن تقربه من بالمرستون سيؤدي إلى توتر علاقته مع روسيا الجار والحليف القوي للدولة العثمانية ، فحاول الموازنة في علاقاته مع الدول الأوربية الكبرى ، والاستفادة من هذه الدول للقضاء على محمد علي باشا ، لذا اتخذ السلطان

---

(1) **Bullard,Reader,Op.Cit,P.34.**
(2) **Hollis,Christopher,Op.Cit,P.276.**
(3) **أحمد ناطق ابراهيم ألعبيدي ن المصدر السابق ، ص155.**
(4) **Brourgeois,Emile,Op.Cit,P.214.**
(5) **Marriott,J.A.R.,The Eastern Question,P.237.**
(6) **مقتبس في : أحمد ناطق ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق ، ص156.**

قرارا كان له أثر عظيم على تسارع أحداث الأزمة العثمانية–المصرية [1] ، وأصدر أوامره إلى القائد العام للجيش العثماني حافظ باشا بالاستعداد للزحف على سوريا ، وبذلك أصبح الصدام بين الجيشين العثماني والمصري وشيكا [2] .

أدرك بالمرستون خطورة الموقف في اسطنبول ، فنصح الحكومة العثمانية في أيلول 1838 بأن لايغامر السلطان بمهاجمة محمد علي قبل ان يعيد تنظيم الأسطول والجيش بشكل جيد ، وأن لايزعج روسيا إطلاقا خلال هذه المرحلة [3] . وفي العاشر من تشرين الأول عرض بالمرستون على روسيا عقد مؤتمر دولي حول الأزمة العثمانية–المصرية بهدف الوصول إلى اتفاق حول مايجب عمله لحماية الدولة العثمانية [4] ، وأكد بالمرستون بأن الامر يقتضي تدخلا مباشرا من لدن جميع الدول الأوربية وليس من جانب دولة واحدة [5] .

لم ترحب روسيا بعقد المؤتمر الذي اقترحه بالمرستون ، لانه كان من الواضح أن المؤتمر سيؤدي الى مناقشة معاهدة خنكار اسكله سي ، والمكاسب الروسية في المضائق . وفي بداية تشرين الثاني 1838 أبلغ نيسلرود سفيره في الدولة العثمانية بوتنييف بضرورة تحذير السلطان العثماني من السماح لنفسه بالانجراف والمشاركة في أي مؤتمر أوربي [6] ، وأبلغ بوتنييف السلطان بأن المؤتمر الذي انعقد بشأن اليونان وبلجيكا انتهى باستقلال وانفصال التابع والتضحية بالحقوق الشرعية للحاكم ، وأن تلك ستكون النتيجة الحتمية للمؤتمر المزمع عقده بسبب الازمة المصرية ، وعندها أعلن السلطان العثماني رفضه لمقترح بالمرستون وبذلك انتهت فكرة عقد المؤتمر برفض روسيا والدولة العثمانية [7] .

برهنت تلك الأحداث التي حصلت اواخر عام 1838 ، أن بريطانيا كانت مهتمة في مساعدة السلطان في القضاء على محمد علي ، والتخلص من الخطر الروسي

---

(1) Mgilchrist,John,Op.Cit,PP.156-157.
(2) Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,PP.293-294.
(3) جوزيف حجار ، المصدر السابق ، ص141.
(4) Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,P.294.
(5) Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,P.70.
(6) أحمد ناطق ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق ، ص161.
(7) المصدر نفسه ، ص161.

أيضا [1] ، لكن فشل الروس في إحراز أي نجاح في الأزمة الأفغانية أدى إلى تغيير موقفهم من بالمرستون ، وفي شباط 1839 كان بالمرستون قد بدأ محادثات جدية مع روسيا للتفاهم حول اتخاذ التدابير اللازمة بشأن الأزمة المصرية [2] .

انصب اهتمام أوربا ، بعد أن هدأ الصراع البريطاني-الروسي في أفغانستان ، باتجاه الازمة المصرية [3] ، وأكد بالمرستون في مجلس العموم البريطاني في التاسع عشر من آذار 1839 ، بأن قضايا الشرق تستأثر بكامل اهتمام الحكومة البريطانية [4] . وفي تلك الأثناء تطورت الأحداث واجتاز الجيش العثماني نهر الفرات في الحادي والعشرين من نيسان 1839 ، متجها نحو سوريا ومتحديا الجيش المصري [5] .

اقترح لويس فيليب ملك فرنسا في الأول من حزيران 1839 عقد مؤتمر أوربي في فينا تشترك فيه بروسيا ، محاولا بذلك جذب كل من بروسيا والنمسا إلى جانبه ، وساعيا لإبعاد بريطانيا عن روسيا حيث كانت الدولتان تدعمان السلطان العثماني ضد محمد علي [6] . تلقى بالمرستون دعوة لويس فيليب بحذر شديد ، واعتقد ان التصرف الصحيح هو التوصل الى تفاهم في لندن بين القوى الخمس الكبرى ، ولم تلق دعوة بالمرستون قبولا صريحا من لدن فرنسا [7] .

نظر بالمرستون إلى فرنسا بشك وحذر كبيرين [8] ، لان الحكومة الفرنسية في حقيقة الأمر كانت وحدها مهتمة بدرجة كبيرة برؤية محمد علي يقطف ثمار انتصاراته التي حققها على السلطان ، وكانت تأمل في إيجاد مناطق نفوذ لها في مصر وسوريا ، وبذلك تحكم سيطرتها على البحر المتوسط ، ورأى بالمرستون ان هذا المخطط يهدد المصالح

---

(1) Middelton,Charles R.,Cabinet Decision Making at the accession of Qeen Victoria: The Crisis of the East 1839-1840,The Journal of Modern History,Vol.51,No.2, Jun.1979 , P.1189.
(2) Marriott,J.A.R.,The Eastern Question,P.241.
(3) Temperley,Harold,Op.Cit,P.97.
(4) Ancel,Jacoues,Op.Cit,P.116.
(5) Rodkey,F.S.,Op.Cit,P.102.
(6) جوزيف حجار ، المصدر السابق ، ص144.
(7) Bell,Herbert,Op.Cit,Vol.1,P.293.
(8) Stratford,Esme Wingfield,Op.Cit,P.1013.

البريطانيــة فــي الصــميم [1] . وأعتقـد بالمرسـتون ان الحفـاظ علــى وحـدة وسـلامة الإمبراطورية العثمانية له من الأهمية مايفوق حتى علاقته مع فرنسا [2] .

فـي تلك الأثنـاء ، حـاول السلطان محمود الثـاني ان يستغل المشـاكل التـي واجهها محمد علي فـي بلاد الشام [3] ، حيث اندلعت ثورات ضد محمد علي في سوريا بسبب سياسة المصريين في فرض الضرائب والتجنيد الإجباري ، فأعطى أوامره للجيش العثماني للزحف على سوريا وإخراج محمد علي منها [4] .وحذر فون مولتكه السلطان محمود بأن الجيش العثماني غير مستعد للقيام بذلك ، ولكن السلطان لم يستمع لرأيه [5] .

وفـي الرابـع والعشرين من حزيران 1839 منيت القوات العثمانية بقيادة حافظ باشا بهزيمـة مذلـة أمـام القـوات المصـرية بقيـادة ابـراهيم باشـا فـي معركـة نصـيبين شـمال سـوريا [6] ، تاركـة اسلحتها وكـل تجهيزاتهـا غنيمـة لقـوات ابـراهيم باشـا. كمـا استسـلم الأسطول العثمـاني لمحمد علـي ، بعد أن أبحر قائده أحمد فوزي باشا نحو الإسكندرية فوضعه تحت تصرف محمد علي [7] .

خشــي بالمرســتون ان تتصــرف روســيا بشــكل منفــرد بموجــب معاهــدة خنكــار اسكله سي ، نتيجة للحرب المصرية-العثمانية [8] ، وفـي الخـامس والعشرين من حزيران 1839 ، امر بالمرستون قائد الأسطول البريطاني في البحر المتوسط الادميرال ستوبفورد Stopford بالاستعداد للتحرك باتجاه المضـائق فـي حـال ظهور بوادر تحرك روسـي لحماية العاصمة العثمانية ، كما أمر بالمرستون ستوبفورد بعرقلة طريق السفن المصرية في البحر المتوسط ومهاجمتها [9] .

---

(1) **Hollis,Christopher,Op.Cit,P.277.**
(2) **Holt,P.M.,Op.Cit,P.233.**
(3) **Marriott,J.A.R.,The Eastern Question,P.238.**
(4) **Wood,Anthony,Op.Cit,P.163.**
(5) **Marriott,J.A.R.,The Eastern Question,P.238.**
(6) **Anderson,M.S.,The Great Powers and the Near East 1774-1923,London,1970, P.46.**
(7) **Holland Rose,J(and others),The Cambridge History of The British Empire,Vol.2, Cambridge,1961,P.574.**
(8) **Rodkey,F.S.,Lord Palmerston's Policy for the Rejuvenation of Turkey 1839-1841,The Royal Historical Society,Vol.12,Fourth Series,P.163.**
(9) **Rayner,Robert M.,Op.Cit,P.207.**

حاول المستشار النمساوي مترنيخ التوصل الى تفاهم مع الدول الأوربية الخمس لحماية الدولة العثمانية ، ولاسيما وانها أصبحت بلاجيش يدافع عنها [1] ، وان اوربا لن تسمح لروسيا بالتدخل بشكل منفرد لحماية السلطان ، واجتمع في فينا بممثلي الدول الأوربية الخمس ، وفي تلك الأثناء أرسل بالمرستون تعليماته في الثامن والعشرين من حزيران 1839 [2] ، الى سفيره في فينا بيوفال Beauval مشيرا إلى خطورة الأزمة المصرية من خلال محورين الأول : هو أطماع روسيا في اسطنبول والمضائق العثمانية، أما المحور الثاني : فتمثل بدعم فرنسا لمحمد علي باشا ، واستجابته لهذا التحدي المزدوج ، سعى بالمرستون إلى تبني سياسة تدويل الأزمة وتحميل الدول الأوربية مسؤولية الحفاظ على وحدة أراضي هذه الدولة ، لان هذا الصراع سيهدد مصالح الدول العظمى وكذلك يهدد السلام في عموم أوربا ، وان هذه المصالح وهذا السلام انما يتطلب الحفاظ على استقلال الدولة العثمانية ووحدة أراضيها [3] . وأضاف بالمرستون أن الخطر على السلام في أوربا لاينتهي مالم يسلم محمد علي سوريا ، ويعيدها الى السلطان العثماني [4] .

توفى السلطان محمود الثاني في الأول من تموز 1839 ، قبل وصول أنباء معركة نصيبين إلى العاصمة العثمانية [5] ، وتولى الحكم من بعده ابنه السلطان عبد المجيد الاول[6] (1823-1839/1861-1861) ، وكان السلطان الجديد مستعدا للتفاوض مع محمد علي ، ونتيجة لموقف الدول الكبرى ، تراجع محمد علي عن إعلان استقلاله وطالب بالحكم الوراثي على مصر وسوريا [7] .

---

(1) Rodkey,F.S.,Op.Cit,P.164.
(2) Hurewitz,J.C.,Op.Cit,Vol.1,P.267.
(3) Ibid,,P.262.
(4) Middelton,Charles R.,Op.Cit,P.1089.
(5) Temperley,Harold,Op.Cit,P.105.
(6) هو ابن محمود الثاني ، تولى السلطنة وعمره ... عاماً ... ت تم ... ر به ... ا الدول ... ة العثمانية ... ة تتمثل في تفاقم ازمة ... محمد علي ... ر الى الاعتماد على القوى الاوربية ... ة منذ بداية ... ة عهد ... على العلم فكان اول سلطان يتكلم الفرنسية، ونشأ نشأة لبيرالية وتأثر ببعض افكار الثورة الفرنسية فتابع برنامج والده محمود الثاني في مجال الاصلاحات، وفي ... ي عه ... ده ... دثت تش ... ريعات اص ... لاحية متمثلة ... ة في ... ي خط شريف كولخانة ... ة 1839 ... ط شريف همايون في عام 1856، واهتم بالنواحي الاعمارية والفنية. اوجد اول مسرح فرنسي في اسطنبول للمزيد من التفاصيل ينظر: آلن بالمر ، المصدر السابق، ج1،ص20.
(7) هاشم التكريتي ،المصدر السابق ، ص144.

أدركت الدول الأوربية الكبرى ان السلطان عبد المجيد سيستسلم لمطالب محمد علي اذا لم تتدخل [1] ، وبناءً على ذلك قدم سفراء الدول الأوربية الخمس الكبرى في اسطنبول في السابع والعشرين من تموز 1839 [2] ، مذكرة جماعية الى السلطان العثماني ومما جاء فيها : " **استلم الموقعون أدناه هذا الصباح تعليمات من حكوماتهم ، ويشرفهم أن يعلموا الباب العالي [3]، بأن القوى الخمس العظمى قد توصلت لاتفاق فيما بينها بشأن مسألة الشرق ، وتدعوا الى تأجيل اصدار أي قرار بدون موافقتها ، وان ينتظر النتائج التي تعتقد القوى بأنها مهمة**"[4] .

وهكذا فأن مسالة تسوية النزاع بين الوالي والسلطان ، قد أصبحت بيد القوى الأوربية الخمس [5] ، وفي تلك الأثناء كان بالمرستون قد طلب من الحكومة الفرنسية إرسال أساطيلها للمرابطة قرب مضيق الدردنيل ، للدخول الى المضائق في حال ان تصرفت روسيا بشكل منفرد [6] . وبعد أن قدمت الدول الكبرى المذكرة الجماعية ، اقترح بالمرستون في الأول من آب 1839 على سولت Soult[7] (1769-1851 / 1839-1840) رئيس الحكومة الفرنسية من خلال السفير البريطاني في باريس غرانفيل ، إرسال الأسطولين الفرنسي والبريطاني الى الإسكندرية لجلب وإعادة الأسطول العثماني وبالقوة اذا اقتضت الحاجة ، لكن سولت رفض مقترح بالمرستون وقال : " **ان سحب الأساطيل من مدخل مضيق الدردنيل سيكون خطيرا جدا** "[8] . وعلم بالمرستون من خلال غرانفيل ، انه من الصعب اقناع الحكومة الفرنسية بالعمل معا ضد محمد علي [9] ، لاسيما وان الرأي العام الفرنسي كان الى جانب محمد علي بعد الانتصارات

---

(1) **Anderson,M.S.,Op.Cit,P.46.**
(2) **Temperley,Harold,Op.Cit,P.108.**
(3) **Ziegler,Paul R.,Op.Cit,P.49.**
(4) **Quoted in :Ancel,Jacoues,Op.Cit,P.116.**
(5) **Marriott,J.A.R.,The Evolution of Modern Europe,P.317.**
(6) **Ziegler,Paul R.,Op.Cit,P.49.**
(7) **سياسي وعسكري فرنسي ،معروف بانتهازيته في السياسة، خدم في الجيش وترقى حتى اصبح مارشالا، شارك في معظم الحروب النابليونية ولاسيما الحرب في اسبانيا 1808-1814، ترأس الحكومة الفرنسية ثلاث مرات من تشرين الاول 1832 الى تموز 1834، ومن آيار 1839 الى آذار 1840، ومن تشرين الاول 1840 الى ايلول 1847، وكان مسؤولا عن احتلال فرنسا للجزائر ، للمزيد من المعلومات ينظر:**
The New Encyclopeadia Britannica,Vol.11,P.26.
(8) **Quoted in :Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,P.294.**
(9) **Marriott,J.A.R.,The Eastern Question,P.239.**

التي حققها ، وان هناك حملة اعلامية معادية شنت في الصحف الفرنسية ضد السياسة البريطانية[1].

وهكذا بدأت علامات التصدع في العلاقات البريطانية-الفرنسية ، وفي العشرين من آب 1839 أرسل بالمرستون تعليمات جديدة الى الادميرال ستوبفورد ، ومما جاء فيها : " **ان لم يكن وجود اسطولك مطلوبا عند مضيق الدردنيل ، فأنه من المهم أن تقوم بمراقبة الأسطولين المصري والعثماني لمنع أي هجمات يمكن ان تشن على اراضي او قوات السلطان ... ومما له الأهمية العظمى هو انه اذا سنحت لك الفرصة للاستيلاء على الأسطول العثماني وفصله عن الأسطول المصري فهو مايجب عليك فعله** " [2] .

كان خلاف بالمرستون مع الحكومة الفرنسية قد ترسخ واصبح مستحيلا تجاوزه ، وحاول بالمرستون الاتفاق مع القوى الأوربية الاخرى ولاسيما روسيا [3] ، ومن حسن حظ بالمرستون ان القيصر الروسي نيقولا الأول كان سعيدا لتردي العلاقات البريطانية-الفرنسية [4] ، فأرسل القيصر في الخامس عشر من أيلول 1839 بروناو Brunnow إلى لندن [5] ، وفي السادس عشر من أيلول ، اجتمع بالمرستون مع بروناو ، لطرح اعتماد اسلوب العمل المشترك ضد محمد علي ، أذ تقوم بريطانيا بأرسال اسطولها الى الاسكندرية لإجبار محمد علي على الانسحاب من سوريا ، فيما تقوم روسيا بحماية العاصمة العثمانية [6] ، ولعل ماشجع بالمرستون هو تأكيد بروناو أن هذا الأمر لن يتم تحت شروط معاهدة خنكار اسكله سي [7] ، ومن جهة اخرى تلقى بالمرستون تأكيدات من السفير النمساوي في لندن نيومان Neumann أن حكومته توافق على وجهات نظره المتعلقة باستخدام القوة ضد محمد علي [8] .

أعلن رئيس الوزراء الفرنسي سولت ان حكومته لن توافق مطلقا على هكذا شرط وأضاف أيضا انه في حال اتفقت بريطانيا مع روسيا بدلا عن فرنسا فأن كل العداء القديم

(1) Middelton,Charles R.,Op.Cit,P.1089.
(2) مقتبس في : أحمد ناطق ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق ، ص172.
(3) Schultz,Harold J.,Op.Cit,P.239.
(4) Wood,Anthony,Op.Cit,P.165.
(5) Temperley,Harold,Op.Cit,P.111.
(6) Rifaat Bey,M.,Op.Cit,P.75.
(7) أحمد ناطق ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق ، ص180.
(8) Temperley,Harold,Op.Cit,P.111.

الموجهة لبريطانيا سيطفوا على السطح مرة أخرى [1] . كما اعترضت الحكومة الفرنسية ، ومن خلال سفيرها في لندن سباستياني على مقترح برونـاو والذي نص على تواجد الأسطول الروسي في مضيق البسفور لحماية اسطنبول ، فضلا عن اعتراضها على أسلوب استخدام القوة ضد محمد علي [2] .

أصبح موقف بالمرستون صعبا للغاية أثناء جهوده للتوصل إلى حل للازمة المصرية ، فقد واجه أيضا معارضة جديدة من بعض زملائه في مجلس الوزراء و أبرزهم اللورد هولاند ، الذين كانوا متخوفين من فكرة القطيعة التامة مع فرنسا [3] . لاسيما وان فرنسا قد هددت باقتحام المضائق اذا ما دخلت القوات والسفن الحربية الروسية الى البسفور ، لذلك أضطر بالمرستون الى ان يساند مقترح سباستياني ، الذي طالب بعدم السماح للأسطول الروسي بالدخول الى المضائق من دون مشاركة القوى البحرية الأوربية الأخرى [4] .

رفض القيصر الروسي الاقتراحات البريطانية-الفرنسية بخصوص دخول الأسطولين البريطاني والفرنسي الى مضيق البسفور للدفاع عن اسطنبول [5] ، وأصبح النقاش حول الوضع المستقبلي للمضائق بلا جدوى ، بسبب الخلافات الأوربية حول هذه المسألة . وعندما حاول بالمرستون الوصول إلى تسوية ترضي كل الأطراف [6] ، اقترح بأن محمد علي يمكنه الحصول على باشوية عكا فضلا عن حكمه لمصر [7] ، ومن ثم يتم الاتفاق بين القوى الكبرى حول صيغة جديدة بشأن المضائق [8] ، رفض الفرنسيون هذا المقترح أيضا ، وتدريجيا أصبح الشرخ بين بريطانيا وفرنسا أكثر وضوحا من قبل [9].

اتضح خلاف بالمرستون مع فرنسا من خلال الرسالة التي أرسلها الى برونـاو في ايلول 1839 قائلا : " **انه من الواضح جدا ان الحكومة الفرنسية لم تكن راغبة في اتخاذ أي خطوة لمهاجمة محمد علي ... ونحن نشك من جدوى التباحث معهم ، لذا**

---

[1] أحمد ناطق ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق ، ص181.

[2] Mgilchrist,John,Op.Cit,P.161.

[3] Ziegler,Paul R.,Op.Cit,P.50.

[4] Marriott,J.A.R.,The Eastern Question,P.240.

[5] Temperley,Harold,Op.Cit,PP.111-112.

[6] Ziegler,Paul R.,Op.Cit,P.49.

[7] Hearder,H.,Op.Cit,P.177.

[8] Temperley,Harold,Op.Cit,PP.112.

[9] Rifaat Bey,M.,Op.Cit,P.76.

فعليهم أن يتبعوا احدى الخيارات الثلاثة : أما أن يتفقوا معنا ، او ينظموا الى محمد علي ، أو يقفوا جانبا " [1] .

دفعت ظروف الأزمة المصرية الثانية بالمرستون الى إقامة علاقات غير متوقعة مع روسيا [2] ، وحث بالمرستون سفيره في اسطنبول بونسونبي بالعمل بشكل ودود مع السفير الروسي بوتنييف ، إذ قال : " **ليس من الضروري التساؤل عن الاسباب التي دعت روسيا لاتخاذ المسار الحالي ، وليس من الضروري أيضا التفكير فيما لو ان احد هذه الأسباب هو أملها بأن تستعيد جزءا من تأثيرها في اسطنبول ... ان من واجبنا هو أن نستغل مزاجها الحالي ، ونشجعها للتعاون معنا لتحقيق أهدافنا نحن مادامت هي راغبة بفعل بذلك** " [3]. ولعل مايثير التساؤل هنا هو موقف روسيا ، وهو موقف بلا شك استند الى اعتبارات عديدة منها روسيا قد اعادت حساباتها العسكرية بعد انتصار الجيش المصري في معركة نصيبين . اذ ان اية مواجهة عسكرية مع هذا الجيش ربما تكون ليست في صالح روسيا ، لذا رأى الروس في حالة كهذه العمل بصورة جماعية مع بقية الدول وتشكيل تحالف اوربي ، فضلاً عن العزلة السياسية التي عاشتها روسيا بعدما وقعت معاهدة خنكار اسكله سي ، اذ لم يبلغ التمثيل الدبلوماسي لروسيا في لندن وباريس مستوى السفراء آنذاك ، وانما اقتصر على القائمين بالاعمال ، كما ان دخول الاسطول الروسي الى منطقة المضائق سوف يثير غضب بريطانيا وفرنسا، الموقف الذي ربما يؤدي الى اندلاع حرب لم تكن روسيا على استعداد لخوضها وقتذاك ، في وقت كان على الروس انتهاج سياسة جديدة تقوم على اساس التقارب مع بريطانيا بهدف ابعاد فرنسا عن مسرح الاحداث ، وذلك باستغلال الخلاف البريطاني-الفرنسي بخصوص الدعم الفرنسي لوالي مصر [4].

وفي الأول من كانون الأول 1839، وافق القيصر الروسي على دخول الأساطيل البريطانية والفرنسية إلى منطقة المضائق اذا مادعت الحاجة لذلك [5] ، واقترنت موافقة القيصر باستخدام القوة لإجبار محمد علي على الانسحاب من سوريا [6] ، ووضع

---

(1) Quoted in :Marriott,J.A.R.,The Eastern Question,P.240.

(2) Schultz,Harold J.,Op.Cit,P.239.

(3) مقتبس في : أحمد ناطق ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق ، ص183.

(4) احمد محسن عبد البديري ، المصدر السابق ، ص 54.

(5) Mgilchrist,John,Op.Cit,P.161;Rifaat Bey,M.,Op.Cit,P.75.

(6) Marriott,J.A.R.,The Eastern Question,P.240.

القيصر في حساباته موافقة بريطانيا على مقترحاته ورفض فرنسا الحتمي لها ، وبذلك يتم توجيه ضربة للعلاقات البريطانية–الفرنسية ، كما زود القيصر سفيره في لندن برونـاو بتعليمات مهمة تهدف الى تعميق الخلاف بين القوتين الغربيتين [1] .

وفي الثاني من كانون الاول 1839 أرسل بالمرستون رسالة الى سفيره في اسطنبول بونسونبي قال فيها : " **أنا أنصحك ان تحث الحكومة العثمانية لتبقى صامدة وقوية ، وأن لاتقدم أي تنازل لمحمد علي ، ويمكنها ان تثق بدعم حلفائها** " [2] .

بدأ بالمرستون في كانون الثاني 1840 ، مباحثات جدية بخصوص الأزمة المصرية مع ممثلي كل من روسيا وفرنسا والنمسا وبروسيا فضلا عن الدولة العثمانية [3] ، للاتفاق على صيغة محددة لإنهاء الأزمة بين السلطان العثماني و محمد علي [4] ، وأصبحت تلك المفاوضات تدار من لدن بالمرستون [5] ، وباتت مسايرة الحكومة الروسية لمقترحاته امرأ مؤكدا ، وصرح بالمرستون باطمئنان وثقة للسفير الفرنسي سباستياني قائلا : " **سنكون دائما معا في الحال والترحال ، ان روسيا مقيدة الان ، هذا امر لاشك فيه ، أعلم جيدا ان ذلك يرجع الى عدم تأهبها ، ولكن هذا واقع وعلينا الاستفادة منه ، انها لن تتصرف بمعزل عنا ، وان تحركت فلن يكون ذلك إلا إلى جانبنا وعلى غرارنا** " [6] .

ومن جانب آخر ، كانت الحكومة الفرنسية في موقف لاتحسد عليه ، فالرأي العام الفرنسي كان مناهضا للمفاوضات الجارية في لندن [7] ، واستطاع محمد علي استمالة الرأي العام الفرنسي لصالحه ، من خلال شراء أقلام الكتاب الفرنسيين [8] ، إذ كان يقدم إعانات مالية أكثر بكثير من إعانات الحكومة الفرنسية فقد كان ينفق سنويا مايزيد عن 350000 فرنك على الصحافة الفرنسية . لذلك أخبر غرانفيل بالمرستون أن إجبار محمد علي قد يكلف لويس فيليب عرشه [9] .

---

(1) **Wood,Anthony,Op.Cit,P.165.**
(2) **Quoted in :Anderson,M.S.,Op.Cit,P.48.**
(3) **Bartle,G.F,,Op.Cit,P.771.**
(4) **Chatterji,Nikshoy C. ,Op.Cit,Vol.1,P.80.**
(5) **Trollope,Anthony,Op.Cit,67.**
(6) **مقتبس في : جوزيف حجار ، المصدر السابق ، ص174.**
(7) **أحمد ناطق ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق ، ص188.**
(8) **Wood,Anthony,Op.Cit,P.164.**
(9) **أحمد ناطق ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق ، ص188.**

لاحظ السفير الفرنسي في لندن سباستياني ان بالمرستون مصر على استخدام القوة ضد محمد علي [1] ، كجزء من خطته لحل الأزمة المصرية ، وان استمرار معارضة فرنسا لمقترحات بالمرستون يعني القطيعة التامة مع بريطانيا ، ولاسيما وان روسيا والنمسا وبروسيا أيدت بالمرستون [2] ، ونتيجة لنصح سباستياني حكومته باتخاذ مواقف معتدلة من المفاوضات الجارية في لندن حرصا على بلاده من العزلة ، أقاله لويس فيليب في الخامس من شباط 1840 [3] ، وعين بدلا عنه فرانسوا بييريه جيزوت Francois Pierre Guizot [4] (1787-1874) الذي وصل الى لندن في الخامس والعشرين من شباط [5] .

كان بالمرستون يأمل في انضمام فرنسا الى جانب القوى الأوربية الاخرى لاتخاذ إجراء حاسم ضد محمد علي ، لا لان مساعدتها ضرورية لضمان النجاح ، بل لأنه أراد ان يحافظ على علاقات ودية مع الحكومة الفرنسية ، كما اعتقد ان مصالح فرنسا في أوربا تحتم عليها التعاون لحل مشكلة الدولة العثمانية [6] .

نفذ صبر بالمرستون في شباط 1840 ، من موقف فرنسا السلبي أزاء مباحثات لندن ، وكان مستعدا لان يتخلى عن فرنسا دون ان يتخلى عن موقفه المناهض لمحمد علي [7] . وكتب الى سفيره في باريس قائلا : " **لايمكن السماح لفرنسا أن تتحكم بأوربا** " [8] . وقرر بالمرستون العمل من دون الاعتماد على الدعم الفرنسي ، وتركز الخلاف بين بريطانيا وفرنسا حول مصير إمبراطورية محمد علي ، فقد أصر بالمرستون على ضرورة اقتصار سلطة محمد علي على مصر [9] ، وعلى فرض هذا الحل عليه

---

(1) Marquis of Lorne,Op.Cit,P.74.

(2) Hollis,Christopher,Op.Cit,P.277.

(3) جوزيف حجار ، المصدر السابق ، ص183.

(4) رجل دولة فرنسي بروتستانتي ،ولد في نيمس Nimes عام ... نابليون بونابرت، اصبح وزيرا للداخلية عام 1830 ... وزير التعليم 1832-1839 ... سفير في لندن شباط 1840 ... ثم وزير الخارجية ، وفي عام 1847 اصبح رئيسا للوزراء ... لويس فيليب ... ادى دورا بارزا في السياسة الخارجية الفرنسية ، استقال على اثر ثورة 1848 ... الى لندن ، وفي عام 1849 عاد إلى فرنسا رافضا العمل في السياسة ، توفي في الثاني عشر من تشرين الاول 1874 ، للمزيد ينظر :

The New Encyclopedia Britannica,Vol.5,p.561.

(5) Trollope,Anthony,Op.Cit,68.

(6) Middelton,Charles R.,Op.Cit,P.1092.

(7) Hearder,H.,Op.Cit,P.177.

(8) Quoted in : Middelton,Charles R.,Op.Cit,PP.1092-1093.

(9) Holland,Rose J.,Op.Cit,P.574.

بمختلف وسائل الضغط والقوة ، بينما دعمت فرنسا حق محمد علي بامتلاك مصر وسوريا [1] .

وفي آذار 1840 استقال سولت من رئاسة الحكومة الفرنسية وكلف الملك الفرنسي لويس فيليب تيير Thiers (1798–1877/1840–1841) [2]، وبذلك أصبح الموقف الفرنسي أكثر تزمتا [3] ، وأرسل تيير تعليمات الى جيزوت في لندن ، تحثه على تسوية مسالة المضائق أولا وبشكل منفصل عن مسألة محمد علي ، ومع الأخذ بنظر الاعتبار الطموح المشروع للباشا [4] .

صعد الموقف الفرنسي من صعوبة مفاوضات لندن [5] ، وفي الوقت نفسه قدم ممثل الدولة العثمانية في مباحثات لندن نوري افندي في السابع من نيسان 1840 مذكرة تطالب القوى الأوربية بتقديم الحماية للدولة العثمانية والالتزام بنص المذكرة الجماعية المقدمة في السابع والعشرين من تموز 1839الى السلطان العثماني [6] ، وبذلك أحرج نوري افندي القوى الأوربية ، وهكذا أخبر بالمرستون نيومان ممثل النمسا في مباحثات لندن بأنه ليس أمامه حل سوى الاستمرار دون فرنسا [7] ، ومن أجل إقناع زملائه في الحكومة والبرلمان والتغلب على ترددهم ، كان لابد من وجود تعاون نمساوي لردع محمد علي [8] .

استفاد بالمرستون من مذكرة نوري افندي التي طلب فيها مساعدة أوربا ضد باشا مصر ، وأفاد هذا النداء العاجل إفادة كبيرة سياسة بالمرستون لاسيما وانه عبر عن جوهر سياسته إزاء الأزمة العثمانية–المصرية [9] ، وقد أدرك ذلك نيومان عندما أعلم المستشار النمساوي مترنيخ بالدور الذي أسنده بالمرستون الى نوري افندي في

---

[1] Schultz,Harold J.,Op.Cit,P.239.;Bartle,G.F.,Op.Cit,P.772.

[2] سياسي وصحفي ومؤرخ فرنسي ، ولد في مرسيليا Marseille في الخامس عشر من نيسان عام 1797 تلقى تعليمه في نفس المدينة ، وفي عام 1830 أصبح المسؤول عن المعارضة الليبرالية ، أصبح وزير الداخلية في عام 1832 و1834و1836، ووزير التجارة 1833-1834، وفي عام 1840 أصبح رئيس وزراء فرنسا ، ايد محمد علي باشا الأمر الذي أدى إلى توتر علاقات بلاده مع بريطانيا ، اجبر على الاستقالة عام 1841 بسبب إصرار لويس فيليب على تجنب الحرب ، أصبح رئيسا للجمهورية الفرنسية في المدة 1871-1873، كانت جرمانية في أيلول 1877، للمزيد من التفاصيل ينظر : The New Encyclopedia Britannica,Vol.11,p.708.

[3] Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,P.71; Marriott,J.A.R.,The Eastern Question,P.240.

[4] أحمد ناطق ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق ، ص188.

[5] Wood,Anthony,Op.Cit,P.165.

[6] جوزيف حجار ، المصدر السابق ، ص189.

[7] Hearder,H.,Op.Cit,P.177.

[8] أحمد ناطق ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق ، ص188.

[9] جوزيف حجار ، المصدر السابق ، ص189.

المفاوضات ، فكتب إليه في الرابع والعشرين من نيسان 1840 قائلا : " **يبني اللورد بالمرستون الآن جميع مخططاته على دور المندوب العثماني لابوصفه رجل فكر ، بل باعتباره عاملا معنويا في القضية ، وينوي أن يستخدمه كدمية إذا وجهها كما يجب أريحته الشوط ضد فرنسا ، وضد أغلبية أعضاء الحكومة البريطانية المناوئة له** " (1) .

وفي سوريا ، حيث حث العملاء البريطانيون أهالي سوريا على إعلان الثورة والتمرد ضد المصريين منذ ربيع عام 1840 (2) ، وتشكلت بؤر الثورة في لبنان وسوريا ، واستطاع بالمرستون من خلال قناصله في البلاد وعملائهم من تهيأة سوريا للثورة على محمد علي (3) ، واشترك في هذا العمل أيضا عدد كبير من أعضاء الإرساليات المسيحية الأجنبية ، وفي أواخر نيسان كتب موديم القنصل الروسي في الإسكندرية إلى وزير خارجيته نيسلرود بأن أهالي سوريا يرغبون بتدخل أجنبي ويبدون استعدادهم لتقبل سيطرة أجنبية (4) .

تميز شهر آيار 1840 بحدوث ركود في مباحثات لندن ، وذلك لانشغال بالمرستون بأمرين مهمين الأول هو انه كان ينتظر تقارير مفصلة عن الوضع الداخلي في سوريا ومعارضة الأهالي لتواجد القوات المصرية (5) ، أما الأمر الثاني فهو انشغال بالمرستون بمحاولة إقناع مجلس الوزراء ومجلس العموم البريطاني بالمضي قدما في حل الأزمة المصرية دون فرنسا (6) .

أرسلت الحكومة العثمانية شكيب باشا ليحل محل نوري افندي كممثل لها في مباحثات لندن ، ووصل المبعوث العثماني لندن في الثلاثين من آيار 1840 (7) ، وكان راغبا منذ لحظة وصوله لعقد تسوية سريعة للازمة المعلقة منذ عشرة أشهر ، ومن أجل هذه الغاية قدم في الحادي والثلاثين من آيار 1840 الى المندوبين المجتمعين في لندن مذكرة قال فيها : " **إن الموقع أدناه يكرر وبإلحاح شديد طلب سلفه بأن ينفذ بأسرع ما**

---

(1) مقتبس في : جوزيف حجار ، المصدر السابق ، ص189.

(2) Middelton,Charles R.,Op.Cit,P.1096.

(3) Temperley,Harold,Op.Cit,P.170.

(4) جوزيف حجار ، المصدر السابق ،ص ص194-195.

(5) Temperley,Harold,Op.Cit,P.186.

(6) Wilks,Washington,The Half Century,London,1852,P.283.

(7) Temperley,Harold,Op.Cit,P.115.

يمكن ما أبدته مذكرة السابع والعشرين من تموز 1839 المشتركة للسلطان من اهتمام ..." [1] .

بدأ بالمرستون جولته الأخيرة في مباحثات لندن في حزيران 1840 [2] ، وكان مصمما على حسم المسألة بأسرع وقت ، وأكد لنيومان انه يريد أن ينهي هذه القضية على وجه حسن لا أن يرقعها [3] ، وناقش بالمرستون مع ممثلي روسيا وبروسيا والنمسا وفرنسا صيغة جديدة نصت على إعطاء القسم الجنوبي من سوريا لمحمد علي طيلة حياته فقط ، فضلا عن حكمه مصر وراثيا [4] ، لكن هذا المقترح اصطدم مرة أخرى بمعارضة المندوب الفرنسي [5] .

وفي الخامس من حزيران 1840 لخص بالمرستون نتائج مباحثاته مع ممثلي الدول الأوربية الكبرى في رسالة بعثها الى ملبورن قال فيها : " **حاولت في الأشهر الماضية مع ممثلي النمسا وروسيا وبروسيا في إقناع فرنسا لإيجاد مشروع للتسوية او التفاهم بين السلطان ومحمد علي ... إن الحكومة البريطانية عليها الآن أن تقرر ، بعد فشل القوى الاوربية في إقناع فرنسا للانضمام إليها ، أما إن نؤيدها لتحقيق أهدافها بدون مساعدة فرنسا او العكس ، وإذا رفضنا الاستمرار مع القوى الاخرى لان فرنسا لم تنضم إلينا ، فأن روسيا سوف تسحب عرضها بخصوص اتحادها مع القوى الأخرى لحل الأزمة المصرية ، وإنها مجددا سوف تستأنف دورها المنفصل بهذا الشأن ، بما في ذلك تجديد معاهدة خنكار اسكله سي ... [6] وسوف تكون نتيجة هذا القرار تقسيم الإمبراطورية العثمانية إلى دولتين منفصلتين [7] ، إحداهما معتمدة على فرنسا ، والأخرى دولة تابعة لروسيا " [8] .**

حدثت تطورات مهمة في بداية تموز 1840 ، كان لها الأثر الكبير على اتفاق القوى الأربعة ومن دون فرنسا [9] ، فقد أرسل سفراء الدول الأوربية في اسطنبول تقارير مقلقة

---

[1] **مقتبس في : جوزيف حجار ، المصدر السابق ،ص 192.**

[2] Joy,James Richard,Op.Cit,P.51.
[3] Marriott,J.A.R.,The Eastern Question,P.240.
[4] Middelton,Charles R.,Op.Cit,P.1096.
[5] Holland,Rose J.,Op.Cit,P.574.
[6] Quoted in :Lane,Peter,Op.Cit,P.177.
[7] Quoted in :Middelton,Charles R.,Op.Cit,P.1098.
[8] Quoted in :Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,P.71.
[9] Holland,Rose J.,Op.Cit,P.574.

إلى حكوماتهم ، أفادت ان محمد علي أرسل وفدا برئاسة سامي بيك ليعرض على السلطان العثماني إعادة الأسطول العثماني مقابل أن يعترف السلطان بحكمه الوراثي على مصر وسوريا [1] ، كما حصل بونسونبي على معلومات مهمة تفيد بأن هناك وساطة فرنسية بين محمد علي والسلطان يقوم بها المسيو كوست Coste وهو صحفي فرنسي شهير ، كان من المقربين لتيير رئيس الوزراء الفرنسي [2] .

كان لتلك الأخبار أثر كبير على موقف روسيا والنمسا ، نتيجة لتوافق مصالحهما مع مصالح بريطانيا في حل الأزمة المصرية فأرسل نيسلرود أوامره إلى بروناو لإنهاء المفاوضات والحصول على حل بأسرع وقت [3] . اما مترنيخ فقد أرسل تعليماته إلى نيومان التي كان لها الأثر الكبير في دعم موقف بالمرستون ، حيث ابدى استعداده لإرسال قوات نمساوية ضد محمد علي حتى وان لم توافق فرنسا على التعاون مع القوى الأخرى [4] .

وصلت مباحثات لندن الى مرحلة حاسمة ، حيث لم يعد أمام بالمرستون متسعا من الوقت ، وأخذ بالمرستون يضغط على زملائه في الحكومة البريطانية لاستحصال موافقتهم على المضي قدما دون فرنسا [5] ، وعقدت الحكومة البريطانية اجتماعا في الخامس من تموز 1840 لمناقشة مسودة معاهدة توصل اليها بالمرستون بالاتفاق مع ممثلي روسيا وبروسيا والنمسا [6] ، وأكد بالمرستون لزملائه خطورة رفض بريطانيا الاستمرار مع القوى الثلاث الأخرى على مصير الدولة العثمانية [7] . لكن جهوده لم تكلل بالنجاح ، لان بعض أعضاء الحكومة البريطانية اعترضوا على مسودة المعاهدة وأبرزهم اللورد هولاند واللورد كلارندون ، إذ كانوا متعاطفين مع فرنسا [8] .

قدم بالمرستون استقالته في اليوم نفسه إلى رئيس الوزراء ملبورن ، الذي طلب منه التريث [9] ، وتم عقد اجتماع آخر للحكومة في الثامن من تموز 1840 ، وفي هذا

---

(1) أحمد ناطق ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق ،ص ص189-190.

(2) Hollis,Christopher,Op.Cit,P.277; Sanders,Lloyd,Op.Cit,P.72.

(3) Marriott,J.A.R.,The Eastern Question,P.241.

(4) Temperley,Harold,Op.Cit,P.130.

(5) Bidwell,W.H.,The Eclectic Magazine of foreign literature,Science and Art,New York,1852,P.127.

(6) Ziegler,Paul R.,Op.Cit,P.50.

(7) Mglichrist,John,Op.Cit,P.161.

(8) Middelton,Charles R.,Op.Cit,P.1097.

(9) Trollope,Anthony,Op.Cit,69.

الاجتماع ذكّر بالمرستون زملاءه ان الحكومة البريطانية فرضت عليه حكمها عام 1833 أثناء الأزمة المصرية الأولى [1] ، وانه لن يسمح بالتهاون بشأن مصير الدولة العثمانية مرة أخرى ، ولن يتنازل عن سوريا لمحمد علي ، وان كان الثمن العلاقة مع فرنسا [2] ، وبعد نقاش طويل وتهديد بالاستقالة وافقت الحكومة البريطانية أخيرا في الحادي عشر من تموز على مسودة الاتفاقية [3] .

وفي الخامس عشر من تموز 1840 وقع في لندن كل من اللورد بالمرستون وزير خارجية بريطانيا والسفير الروسي في لندن برونـاو والسفير النمساوي نيومان والسفير البروسي بيولو والسفير العثماني شكيب أفندي على اتفاقية لندن لتهدئة الأوضاع في الشرق [4] ، والتي تقرر بموجبها منح محمد علي حكما وراثيا له ولأولاده من بعده على مصر [5] ، ومنحه إدارة عكا مدى حياته ، على أن يسلم باقي ممتلكاته إلى الدولة العثمانية ، ويعلن قبول هذه الشروط خلال عشرة أيام ، وإلا سحبت منه ولاية عكا [6] ، وان لم يستجب خلال عشرين يوما يقوم السلطان بمساعدة القوى الأوربية بإقالته [7] ، وكان العرض اعلاه ضمن الملحق المستقل بالاتفاقية ، أما بنودها الأساسية فتضمنت :

1-لما كان صاحب الجلالة السلطان قد اتفق مع أصحاب الجلالة المذكورين على شروط التسوية التي ينوي جلالته ان يتكرم بها على محمد علي وهي الشروط المبينة تفصيلا في الوثيقة المستقلة الملحقة بهذا الاتفاق [8] ، فأن أصحاب الجلالة يتعهدون بتوحيد جهودهم والعمل متفقين لجعل محمد علي يتقيد بنصوص التسوية وروحها على أن يحتفظ كل منهم بحرية العمل وفقا للوسائل المتوافرة له [9] .

---

(1) Middelton,Charles R.,Op.Cit,P.1098; Temperley,Harold,Op.Cit,P.113.
(2) Trollope,Anthony,Op.Cit,PP.70-71.
(3) Middelton,Charles R.,Op.Cit,PP.1098-1099.
(4) Rodkey,F.S.,Op.Cit,P.102.
(5) Bartle,G.F,,Op.Cit,P.772; Hearder,H.,Op.Cit,P.177.
(6) Ziegler,Paul R.,Op.Cit,P.50.
(7) Mglichrist,John,Op.Cit,P.162.
(8) Hurewitz,J.C.,Op.Cit,P.272.
(9) kertes,G.A.,Document in the Political History of the European Continent 1815-1839,Oxford,1968,P.37.

2–إذا رفض باشا مصر قبول هذه التسوية التي ستبلغ إليه من لدن السلطان بالتعاون مع أصحاب الجلالة ، فأن أصحاب الجلالة يتعهدون حالما يطلب منهم السلطان ذلك ، باتجاه التدابير المتفق عليها فيما بينهم لتنفيذ التسوية [1] .

3–لما كان السلطان قد دعا أصحاب الجلالة حلفاءه أن ينضموا اليه لقطع المواصلات بين مصر وسوريا ومنع إرسال الجند والخيل والسلاح والذخائر والمؤن الحربية بمختلف أنواعها من أحد هذين الإقليمين الى الآخر [2] ، فإن أصحاب الجلالة يتعهدون بأن يعطوا فورا الأوامر اللازمة لقادة أساطيلهم في البحر المتوسط لتنفيذ طلب جلالته ، ويتعهدون أيضا بأن يقدم قادة أساطيلهم كل في مدى الوسائل التي بيده الدعم اللازم [3] .

4–إذا قام محمد علي ، بعد رفضه الانصياع لشروط التسوية المذكورة بتوجيه جيوشه وقواه البحرية نحو اسطنبول ، فإن أصحاب الجلالة عند أول طلب يقدم من لدن السلطان إلى ممثليهم في العاصمة العثمانية ، يلبون هذا الطلب ويبادرون للدفاع عن عرشه متعاونين لصون البسفور والدردنيل وعاصمة السلطان ضد أي اعتداء [4] .

5–اتفق أصحاب الجلالة على أن القوى التي سيستعملونها لهذا الغرض ستبقى في مراكزها الدفاعية طوال المدة التي يريدها السلطان [5] ، وعندما يرى جلالته أن وجودها غير ضروري فأنها ستنسحب معا ويعود كل منها الى قواعده في البحر الأسود أو البحر المتوسط [6] .

6–اتفق أصحاب الجلالة اتفاقا صريحا على ان التعاون المنصوص عليه في المادة الرابعة والذي يضع المضائق والعاصمة العثمانية بصورة مؤقتة تحت حمايتهم لصد كل إعتداء من جانب محمد علي لايعد عند حصوله إلا تدبيرا استثنائيا وضع ونفذ بناءً على طلب من السلطان لهذا الغرض فقط . وأن هذا التدبير لايغير ولاينقض القاعدة القديمة للمضائق التي وضعها الباب العالي وحرم فيها

---

(1) سليمان بن محمد الغنام ، قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية 1811-1840،جدة ،1980، ص158.
(2) Temperley,Harold,Op.Cit,P.115.
(3) Hurewitz,J.C.,Op.Cit,P.272.
(4) Temperley,Harold,Op.Cit,PP.114-115.
(5) kertes,G.A., Op.Cit,P.37.
(6) سليمان بن محمد الغنام ، المصدر السابق، ص158.

على الدوام دخول السفن الحربية الى مضائق البسفور والدردنيل [1] ، والسلطان يعلن في هذا الاتفاق انه ، باستثناء الحالة السابقة فأنه عازم على الحفاظ في المستقبل على هذه القاعدة القديمة من سياسته ، وعلى عدم السماح لاية سفينة حربية أجنبية بالدخول الى مضيقي البسفور والدردنيل [2] ، كما يتعهد أصحاب الجلالة من جهتهم باحترام الإرادة السلطانية وبعدم الشذوذ عن هذا المبدأ الذي أقرته [3] .

7- يتم التصديق على هذا الاتفاق وتبادل وثائقه في لندن خلال شهرين أو قبل ذلك إذا أمكن [4] .

حققت معاهدة لندن لبالمرستون ما كان يسعى اليه ، فقد وقعت دون مشاركة فرنسا [5] ، وكانت موجهة ضد رغباتها ، فضلا عن انها نصت على اشتراك الدول الأوربية الأربع في مجابهة محمد علي ، الأمر الذي استبعد انفراد روسيا بالعمل ، كما ان الشرط الذي تضمنته بشأن المضائق ألغى معاهدة خنكار اسكله سي [6] ، والغريب ان القيصر الروسي نيقولا الأول كان هو الآخر سعيدا بهذه المعاهدة ، فقد كتب إلى نائبه في بولندا قائلا : " **لقد وقعت المعاهدة بيني وبين بريطانيا وبروسيا والنمسا والدولة العثمانية دون فرنسا ... انه عصر جديد في السياسة** " [7] .

وجه بالمرستون مذكرة الى جيزوت السفير الفرنسي في لندن في السابع عشر من تموز 1840 ، شرح له فيها بكل لباقة أسباب المعاهدة الرباعية ، وأعرب عن أمله في أن لايدوم هذا الانفصال عن الحكومة الفرنسية طويلا [8] ، ورجاه ان تتعاون حكومته مع أوربا لإعادة السلام إلى الشرق ، وذلك عن طريق تقديم الدعم المعنوي إذا ماتعذر تقديم الدعم المادي ، الأمر الذي يجعل فرنسا جديرة بالامتنان والاحترام من لدن جميع محبي السلام [9] .

رد تيير بأرسال مذكرة عن طريق جيزوت إلى بالمرستون في الحادي والعشرين من تموز 1840 ، مبديا استغرابه لادعاء بريطانيا بأنها تريد إحلال السلام في الشرق بينما

---

(1) **Hurewitz,J.C.,Op.Cit,PP.272-273.**
(2) **kertes,G.A., Op.Cit,PP.37-38.**
(3) **Temperley,Harold,Op.Cit,P.116.**
(4) **Hurewitz,J.C.,Op.Cit,P.273.**
(5) **Holland Rose,J.,Op.Cit,P574.**
(6) **Marriott,J.A.R.,The Eastern Question,PP.241-242;Ancel,Jacoues,Op.Cit,P.119.**
(7) **مقتبس في : هاشم التكريتي ، المصدر السابق ، ص146.**
(8) **جوزيف حجار ، المصدر السابق ، ص 198.**
(9) **Ziegler,Paul R.,Op.Cit,P.50.**

تعمل على إثارة القلاقل في المنطقة عن طريق إمداد أهالي لبنان بالمال والسلاح للتمرد على السيطرة المصرية [1] ، وتساءل تيير: هل يمكن إخضاع هؤلاء الأهالي للباب العالي بعد إثارتهم ضد الوالي [2] ، واذا ماتمكن ابراهيم باشا من إخماد الثورة والاحتفاظ بسوريا ، فمن سيضمن ان يثور الوالي ويهاجم العاصمة العثمانية من جديد [3] ، الا ان تلك الحجج لم تؤثر على بالمرستون الذي صمم على المضي بفرض معاهدة لندن على محمد علي [4] .

وما أن نشرت الصحافة الفرنسية تلك الاتفاقية حتى عمت باريس والمدن الفرنسية الأخرى موجة من الاحتجاجات القوية ، اشتركت فيها معظم فئات الشعب الفرنسي [5] ، ورفعت شعارات معادية لبريطانيا ولوح تيير بالحرب ضد الدول الأوربية الأربع اذا ماحاولت استخدام القوة ضد باشا مصر [6] ، وقال انه إذا ما أرادت أوربا مواجهتنا فان ليس عليها سوى القيام بالمحاولة ، كما هدد تيير بنقل الحرب إلى ضفاف الراين [7] .

أجاب بالمرستون على ذلك بتهديد فرنسا بحرب شاملة [8] ، وكتب الى ملبورن قائلا: " **ان علينا افهامهم ، أي الفرنسيين ، باننا لانخاف تهديداتهم لاننا نحن الاقوى ، ولان لديهم من نقاط الضعف ما يفوق تلك التي لدينا بكثير** " [9] ، وكان بالمرستون مدركا أن تيير يقوم بمناورة دبلوماسية من خلال المواقف المتشددة ، وان الامور لن تصل بأي حال الى حد إعلان الحرب [10] .

أيد لويس فيليب زيادة حجم التسليح ، وزيادة عدد سفن الأسطول الفرنسي ، وأمر بتنفيذ مشروع لإحاطة باريس بالحصون تحسبا لاي هجوم أوربي ، وفي الواقع ان لويس فيليب كان يواجه ضغوطاً داخلية كبيرة من لدن الرأي العام الفرنسي دفعته الى اظهار

---

(1) **Temperley,Harold,Op.Cit,P.186.**
(2) **Marriott,J.A.R.,The Eastern Question,PP.241.**
(3) **Johnson,Douglas,Guizot Aspects of French History 1787-1874,London,1963, P.182.**
(4) **جوزيف حجار ، المصدر السابق ، ص 199.**
(5) **Bartle,G.F.,Op.Cit,P.772.**
(6) **Hearder,H.,Op.Cit,P.177.**
(7) **Marriott,J.A.R.,The Eastern Question,PP.242; Bourgeois,Emile,Op.Cit,Vol.1, P.215.**
(8) **Ancel,Jacoues,Op.Cit,P.118.**
(9) **مقتبس في : خضر خضر ، المصدر السابق ، 144.**
(10) **Rifaat Bey,M.,Op.Cit,P.79.**

موقف التشدد مع أوربا [1] . وصرح لويس فيليب لبولوير Bulwer احد الدبلوماسيين البريطانيين العاملين في السفارة البريطانية في باريس ، انه أمر بزيادة التسلح ارضاءً للأمة الفرنسية ، وانه لايستطيع التخلص من تيير لأنه سيكون أخطر لو وقف في صفوف المعارضة بدلا من منصبه الحالي ، وفي رسالة خاصة لبالمرستون قال بولوير : " **بأنه حتى وان كان الملك مسالما فيجب ان نستعد لكل شيء** " [2] .

أثارت الاستعدادات الفرنسية قلق بالمرستون ، مما دعاه إلى تعزيز دفاعات القاعدة البحرية البريطانية في جزيرة مالطة ، والى زيادة حجم الأسطول البريطاني في البحر المتوسط ليبلغ ست عشرة سفينة كبيرة وست سفن بخارية حديثة [3] ، وعلى اثر ذلك بدأ بالمرستون يتحدث بثقة اكبر ولاسيما انه كان يعلم أن بروسيا ستكون مستعدة لمهاجمة الحدود الشرقية لفرنسا اذا ما أضرمت نار الحرب [4] ، وفي آب كتب بالمرستون الى غرانفيل قائلا : " **اذا فرنسا بدأت الحرب فهي بالتأكيد ستخسر سفنها ومستعمراتها وتجارتها قبل ان تشهد نهاية لتلك الحرب** " [5] ، وخول بالمرستون غرانفيل بنقل تلك البرقية الى تيير [6] .

أبلغ قناصل الدول الأوربية الأربعة الموقعة على معاهدة لندن محمد علي رسميا في السابع عشر من آب 1840 بنود المعاهدة [7] ، وحددوا له مهلة عشرة أيام لإعلان قبوله بها [8] ، ولم ينتظر محمد علي انقضاء المهلة المحددة له للإعلان عن قراره ، فأكد في الخامس والعشرين من آب للقناصل الأوربيين رفضه القاطع [9] ، استقبل بالمرستون بسرور بالغ أنباء رفض محمد علي ، فقد كان مقتنعا بأن الفرنسيين لن يقدموا على الحرب ، وبذلك يصبح بالإمكان انتزاع سوريا منه وحرمانه حتى من حق الوراثة على مصر [10] .

---

(1) **Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,P.72.**
(2) **Quoted in :Bidwell,W.H.,The Eclectic Magazine,P.127.**
(3) **Temperley,Harold,Op.Cit,P.115.**
(4) **Wood,Anthony,Op.Cit,P.165.**
(5) **Quoted in :Ancel,Jacoues,Op.Cit,P.118.**
(6) **Wood,Anthony,Op.Cit,P.164.**
(7) **جوزيف حجار ، المصدر السابق ، ص 202.**
(8) **Hearder,H.,Op.Cit,P.177.**
(9) **Wood,Anthony,Op.Cit,P.165; Chatterji,Nikshoy,Op.Cit,P.80.**
(10) **Marquis of Lorne,Op.Cit,PP.77-79.**

وفي أواخر آب 1840 ظهر الأسطولان البريطاني والنمساوي بالقرب من سواحل بيروت [1]، وأعلن ستوبفورد قائد الأسطول البريطاني ، بأنه جاء لينقذ الأهالي من الاحتلال المصري [2] . وتزامن ذلك مع اندلاع ثورة داخلية قادها العملاء البريطانيين ضد القوات المصرية ، وبدأ القصف الفعلي لمدينة بيروت في الحادي عشر من أيلول 1840 ، كما ظهر أسطول بريطاني آخر أمام قوات الإسكندرية بقيادة شارلز نابير Charles Napier وهدد بقصف المدينة ، واستطاع الأسطول البريطاني بمساعدة الأسطول النمساوي من قطع المواصلات بين مصر وسوريا [3] ، وأصدر السلطان العثماني في الثالث والعشرين من أيلول فرمانا نص على خلع محمد علي واعتباره واليا متمردا [4] .

كان رد فعل تيير على هذا الفعل عنيفا ، فلم يرض ان يرى الباشا مجردا من كل شيء ، وعدّ وجوده ضرورياً للحفاظ على التوازن الأوربي ، مثل ضرورة وجود الدولة العثمانية نفسها [5] ، وكتب إلى جيزوت في الثامن من تشرين الأول 1840 قائلا : " **إن وجود كليهما ضروري بالنسبة لاوربا** " ، ولذلك رفض تيير أن يعترف بتنفيذ قرار العزل المتخذ في اسطنبول بدون موافقة كل أوربا [6] .

تسارعت الأحداث في سوريا ، ونزلت قوات الحلفاء إلى البر قرب بيروت [7] ، ومنيت القوات المصرية بهزيمة في العاشر من تشرين الأول 1840 في قلعة ميدان ، فتراجعوا الى لبنان ثم إلى دمشق [8] ، وفي التاسع والعشرين من تشرين الأول تمكن لويس فيليب من إقناع تيير وحكومته بالاستقالة [9] ، ورأى أن رئيس وزرائه قد ذهب بعيدا في مواقفه المتطرفة دون أن يحسب حسابا لما يمكن ان تؤدي إليه الحرب في حال اندلاعها من أخطار على النظام السياسي والأسرة الحاكمة ، وعين بدلا منه سولت [10] ،

---

[1] Bartle,G.F.,Op.Cit,P.773.
[2] Nutting,Anthony,The Arab Anarrative History from Mohammed to Present, London , 1994 , P.234.
[3] Marriott , J.A.R.,The Eastern Question,PP.243.
[4] جوزيف حجار ، المصدر السابق ، ص 207.
[5] Johnson,Douglas,Op.Cit,P.182.
[6] Quoted in :Rayner,Robert M.,Op.Cit,P.207.
[7] Wood,Anthony,Op.Cit,P.165.
[8] Wilks,Washington,Op.Cit,P.283.
[9] Rayner,Robert M.,Op.Cit,P.207.
[10] Wood,Anthony,Op.Cit,P.165; Marriott,J.A.R.,The Eastern Question,PP.243.

وقد مثل ذلك الحدث انفراجا في العلاقات الفرنسية-الاوربية ، مما ساعد فرنسا على إنهاء عزلتها وعودتها الى الإجماع الأوربي [1] .

سقطت عكا تحت ضربات الأسطول البريطاني في الرابع من تشرين الثاني 1840، وبذلك لم يبق أمام محمد علي سوى الإذعان [2] ، فوقع في السابع والعشرين من تشرين الثاني مع الأميرال شارلز نابير على اتفاقية نصت على إمكانية احتفاظه بمصر والتخلي عن سوريا والسماح للأسطول العثماني بالعودة الى اسطنبول [3] ، وحلت الهزيمة بمحمد علي ولم تستطع فرنسا أن تفعل شيئا كما توقع بالمرستون ، وسمحت المعاهدة التي وقعها محمد علي مع الحلفاء لإبراهيم باشا أن ينسحب من سوريا دون عراقيل ، وجلا عن دمشق في التاسع والعشرين من كانون الأول 1840 [4] ، وأعاد الى مصر ماتبقى من جيوشه النظامية وغير النظامية التي بقيت مخلصة له وعددها اثنان وستون ألف رجل [5] .

وهكذا انتصرت المصالح البريطانية ، ونجح بالمرستون في منع نمو الإمبراطورية المصرية ، وامتداد النفوذ الفرنسي صوب البحر المتوسط ، وانهيار الدولة العثمانية [6] ، في الوقت نفسه الذي حصل فيه بالمرستون من قيصر روسيا على إلغاء معاهدة خنكار اسكله سي [7] ، فقد حقق بالمرستون على حد رأي أحد المعاصرين أعظم النجاحات الدبلوماسية [8] ، اذ كان بالمرستون العنصر الرئيس في معاهدة لندن [9] ، فبمعارضته لفرنسا وبدون مساعدتها قد عمل على تحطيم آمال محمد علي التي كانت تمثل خطرا على بريطانيا في الشرق ، وبدون أدنى خوف من الحرب جعل الفرنسيين يشعرون بعظمة وتفوق القوة البريطانية ، وفي الأول من حزيران 1841 أصدر السلطان العثماني فرمانا بمنح محمد علي ولاية مصر بصورة وراثية [10] .

---

(1) خضر خضر ، المصدر السابق ، 145؛ أحمد ناطق ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق ، ص ص195-196.
(2) Holland,Rose J.,Op.Cit,P.575.
(3) Chatterji,Nikshoy C.,Op.Cit,P.80.
(4) Middelton,Charles R.,Op.Cit,PP.1106.
(5) جوزيف حجار ، المصدر السابق ، ص 210؛ Schultz,Harold J. ,OP.Cit,P.239.
(6) Rayner,Robert M.,Op.Cit,P.207.
(7) بيير رونوفان ، المصدر السابق ، ص 139.
(8) Lunt,W.E.,Op,Cit,P.661.
(9) Broургeois,Emile,Op.Cit,P.235.
(10) Hurewitz,J.C.,Op.Cit,PP.276.

ثالثا : جهوده لعقد اتفاقية المضائق في 13 تموز 1841

تطلب الأمر بعد حل الأزمة المصرية-العثمانية الثانية أن يتم وضع حل لمسألة مضائق البسفور والدردنيل [1] ، وفي تلك الأثناء كانت فرنسا راغبة في العودة إلى الصف الأوربي ، بعد فشل سياستها تجاه الأزمة المصرية الثانية [2] . وفي كانون الثاني 1841 بدأ بالمرستون مباحثاته مع الدول الأوربية الكبرى في لندن تحت عنوان " **مؤتمر لندن الثاني لقضايا الشرق** " الذي ركز على مناقشة قضية المضائق العثمانية وحمايتها من هيمنة أي دولة أوربية [3] ، لان سلامة وحماية المضائق العثمانية هو حماية لاسطنبول عاصمة السلطان العثماني [4] ، كما أن ذلك يمثل ضمانا آخر من جميع الدول الأوربية لسلامة الإمبراطورية العثمانية [5] .

وفي الثالث عشر من شباط 1841 أكد جيزوت في تعليماته الى دوربوكيني ، السفير الفرنسي في لندن [6] ، على انه يجب أن تتم عودة فرنسا الى الصف الأوربي وإنهاء عزلتها السياسية ، ولاسيما بعد أن لاحظ الفرنسيون أن بالمرستون قد حقق عليهم نصرا كبيرا في مسألة محمد علي [7] ، وهو في طريقه إلى تحقيق انتصار آخر فيما يخص المضائق في حالة استمرار عزلة فرنسا [8] .

وجه بالمرستون خلال المؤتمر الذي عقد في لندن بخصوص قضية المضائق انتقاداته إلى جيزوت وزير الخارجية الفرنسي واستغل بروناو ، ممثل روسيا ، ذلك الموقف لتعميق الخلاف بين فرنسا وبريطانيا [9] ، وتلقى بروناو تعليمات بهذا الصدد من نيسلرود تقضي بعمل كل ما هو ممكن لتشديد العزلة على فرنسا [10] . إلا أن بالمرستون استثمر هذا التوجه الروسي لمصلحته لتمرير أهدافه لاستبدال معاهدة خنكار اسكله سي،

---

(1) أحمد ناطق ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق ، ص196.
(2) Peretz,Don,The Middle East today,New York,1963,P.91.
(3) Ziegler,Paul R.,Op.Cit,P.50.
(4) Thomson,David,Europe Since Napoleon,London,P.220.
(5) Kertes,G.A.,Op.Cit,PP.39-40.
(6) جوزيف حجار ، المصدر السابق ، ص 213.
(7) Barlen,M.E.,Op.Cit,P.248.
(8) Thomson,David,Op.Cit,P.220.
(9) هاشم التكريتي ، المصدر السابق ، ص150.
(10) Kertes,G.A.,Op.Cit,PP.39.

التي تنتهي مدتها عام 1841 ، بمعاهدة جديدة تضم كل الدول الأوربية وتخص قضية المضائق [1] .

وبعد مباحثات طويلة في لندن استمرت حتى تموز 1841 وقع ممثلوا الدول الأوربية الخمس بالإضافة الى الدولة العثمانية في الثالث عشر من تموز 1841 على معاهدة لندن الخاصة بالمضائق [2] ، والتي سوت قضية المضائق ، وقد نصت بنود هذه الاتفاقية :

1–يعلن جلالة السلطان ، من جانبه ، بأنه مصمم بصورة مطلقة على المحافظة في المستقبل على المبدأ الذي ترسخ بثبات كقاعدة قديمة للدولة العثمانية ، والذي بمقتضاه تم منع السفن الحربية العائدة للدول الأجنبية من دخول مضائق البسفور والدردنيل ، إن جلالته سوف لن يسمح بدخول أي سفينة حربية في المضائق المذكورة طالما يتمتع السلطان العثماني بالسلام [3] . وأن جلالة ملكة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وايرلندا ، وإمبراطور النمسا وملك المجر وبوهيميا ، وملك الفرنسيين ، وملك بروسيا ، وإمبراطور جميع الروس ، ومن جانبهم يتعهدون باحترام قرار السلطان هذا ويكيفون أنفسهم مع المبدأ المعلن أعلاه [4] .

2–يفهم انه في حالة تسجيل أي انتهاك للقاعدة القديمة للدولة العثمانية المذكورة في المادة السابقة [5] ، فأن السلطان يحتفظ لنفسه ، كما في الأوقات السابقة ، إصدار فرمانات لمرور السفن الحربية الخفيفة ، التي تستخدم عادة في خدمة بعثات الدول الأجنبية [6] .

3–يحتفظ جلالة السلطان لنفسه إبلاغ الاتفاقية الحالية إلى جميع الدول التي للسلطان علاقات ودية معها ويدعوهم الى الانضمام إليها [7] .

اكتمل نصر بالمرستون الدبلوماسي فيما يخص الدولة العثمانية بتوقيع معاهدة المضائق ، التي خدمت المصالح البريطانية بالدرجة الأساس [8] ، لان هذه الاتفاقية

---

(1) **Temperley,Harold,Op.Cit,P.144.**
(2) **Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,P.79; Rodkey,F.C.,Op.Cit,P.187.**
(3) **أحمد ناطق ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق ، ص197.**
(4) **Wiener,Joel H.,op.Cit,Vol.3,P.2289.**
(5) **Temperley,Harold,Op.Cit,P.147.**
(6) **Hurewitz,J.C.,Op.Cit,Vol.1.P.279.**
(7) **Wiener,Joel H.,op.Cit,Vol.3,p.2289.**
(8) **أحمد ناطق ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق ، ص198.**

أوجدت ضمانا جماعيا أوربيا حول المضائق [1] ، إذا ما حاولت روسيا في المستقبل تهديد المصالح البريطانية او الدولة العثمانية ، فإنها ستصطدم بالدول الأوربية الأخرى الموقعة على المعاهدة [2] ، وتمكن بالمرستون أخيرا من تحويل معاهدة خنكار اسكله سي الى معاهدة ضد روسيا ليس في ذلك الوقت فحسب بل ضد أي طموحات روسية مستقبلية في الدولة العثمانية [3] .

وهكذا استطاع بالمرستون من خلال معاهدة المضائق نقل الوصاية على الدولة العثمانية والمضائق من روسيا منفردة الى الدول الأوربية مجتمعة ، فقد كانت لروسيا ، بموجب معاهدة خنكار اسكله سي ، حق غلق المضائق امام السفن الحربية الأجنبية ، ومنها البريطانية ، اذا ما اندلع نزاع روسي بريطاني ، مما يجعل السواحل الروسية في البحر الأسود في مأمن ، اما بموجب معاهدة لندن للمضائق فلم يعد لروسيا هذا الحق ، وهذا يعني انه اذا ما اندلع نزاع روسي–بريطاني ، فأن الدولة العثمانية المتحالفة مع بريطانيا على الأرجح ستسمح بمرور السفن الحربية لحليفتها في المضائق وتمنع مرور السفن الروسية فيه ، كما أن البحر الأسود بموجب معاهدة المضائق أصبح بحرا مغلقا ، بينما في السابق كانت روسيا والدولة العثمانية تتفقان حول كيفية مرور السفن في المضائق ، فخلق بالمرستون في معاهدة المضائق سابقة بتدخل الدول التي لاتطل على البحر الأسود في شؤونه ، وذلك بأساس قانوني بحجة المحافظة على السلام .

---

(1) Bourgeois,Emile,Op.Cit,p.235.
(2) Howat,G.M.D.,OP.Cit,p.1443.
(3) Rodkay,F.S.,Op.Cit,p.187.

رابعا : موقف بالمرستون من مخططات الاستيطان الصهيوني في فلسطين

كثفت الدول الأوربية أنشطتها في بلاد الشام بعد انسحاب قوات ابراهيم باشا منها لتحقيق نواياها ومخططاتها الاستعمارية في المنطقة ، كما نشطت أيضا في تلك المرحلة البعثات التبشيرية في بلاد الشام ، وأصبحت هذه البعثات أدوات لنشر نفوذ الدول الكبرى في المنطقة ، وتنبه الساسة البريطانيين لأهمية بلاد الشام خلال الأزمة المصرية الثانية ، وبدأوا خلال تلك المرحلة بانتهاج سياسة تشجيع الاستيطان الصهيوني في فلسطين ، فقد عمد عدد من الساسة والدبلوماسيين البريطانيين الى اقتراح إنشاء مستوطنات يهودية هناك تحت الحماية البريطانية ، وقد لاقت هذه الدعوات هوى في نفس بالمرستون ، لأنه رأى فيها تأمينا لسلامة مواصلات الإمبراطورية البريطانية وضمان مصالحها[1]، ومع إن هذه المخططات لم تفضِ إلى نتيجة آنذاك ، إلا إنها تشير إلى أن دور بريطانيا ومسؤوليتها في اقتطاع فلسطين قديم جدا يرجع إلى ما قبل قيام الحركة الصهيونية بوقت طويل .

اظهر بالمرستون تعاطفا كبيرا مع اليهود وأنصار الحركة الصهيونية النامية في بريطانيا آنذاك ، واعتقد أن وجود كيان سياسي يهودي في فلسطين تابع لبريطانيا سيخدم مصالح بلاده في المنطقة ، لاسيما ان التنافس الروسي-الفرنسي على الدولة العثمانية وفلسطين تحديدا له جذور عميقة تعود الى ماقبل القرن التاسع عشر [2] . واتضح خلال تلك المرحلة ان هنالك حركة داعية الى استيطان فلسطين واستعمارها من قبل اليهود قد نشأت في بريطانيا [3]، وكان السير موسى مونتفيور Sir Moses Montefiore (1784-1885) ، وهو من اليهود البريطانيين ، قد سافر الى القدس فوصل اليها بنهاية ربيع عام 1839 ، وغادرها بنهاية حزيران الى مصر ، حيث كان ينوي اجراء محادثات مع محمد علي لتحقيق مشروعه ، فقد كان ينوي أن يستأجر من محمد علي كل المنطقة المشتملة على عدد من القرى يتراوح بين المائة والمائتين لمدة خمسين سنة ، وكان يعتزم بعد موافقة محمد علي باشا إنشاء شركة في بريطانيا تتولى استثمار هذه المنطقة وتشجيع اليهود الأوربيين للعودة إلى فلسطين عوضا من ان يبحثوا عن ملجأ لهم في كندا او

---

(1) هاشم التكريتي ، المصدر السابق ، ص149.

(2) حيدر صبري شاكر الخيقاني ، المصدر السابق ، ص 263.

(3) Ficouelmont,Le Comte De,OP.Cit,p.200.

نيوزلنده ، لكن محمد علي لم يرفض المشروع معتقدا انه سيعود بالنفع على البلاد ، الا ان تجدد الصراع العثماني-المصري ادى الى فشل المشروع [1].

اخذ اليهود في بريطانيا يضغطون على بالمرستون ويلتمسون منه التوسط لدى الحكومة البريطانية لوضع اليهود في الشرق تحت الحماية البريطانية ، كما طالب اليهود من اللورد بالمرستون باستخدام نفوذه لدى محمد علي باشا والدولة العثمانية لإيقاف الأعمال الوحشية ضدهم في بلاد الشام ، ويذكر المؤلف ناحوم سكولو في كتابه تاريخ الصهيونية ، إن معاهدة لندن لعام 1840 تضمنت فقرة سرية تم إرسالها إلى ملوك أوربا تحثهم على تشجيع عودة اليهود الى فلسطين [2] .

ويبدو أن هذا المؤلف قد بالغ في هذا الموضوع ، فبالنسبة للقاءات بالمرستون مع اليهود في بريطانيا كانت من الأمور العادية لأنه معروف بتعاطفه معهم ، إلا انه من الواضح ان مسألة الأعمال الوحشية ضد اليهود في فلسطين في عهد محمد علي تبدو امرا مبالغا فيه الى حد بعيد ، لان المصادر التي تناولت تلك المرحلة لم تتحدث عن مثل ذلك ، اما فيما يخص الفقرة السرية في معاهدة لندن التي تتعلق بحث ملوك أوربا على تشجيع الاستيطان الصهيوني في فلسطين فلم نعثر على معلومات أكيدة عنها .

وفي عام 1838 عين بالمرستون يونغ Young بمنصب نائب قنصل لبريطانيا في مدينة القدس ، وابلغه ان من بين الواجبات المناطه به تقديم الحماية البريطانية لليهود عموما وطلب منه إبلاغه بتقرير سريع حول الوضع الحالي لليهود في فلسطين ، كان على نائب القنصل البريطاني في القدس ان يعد حماية اليهود بشكل عام واجبا من واجبات الدولة ، وكان عليه بالإضافة الى ذلك ان يزود بالمرستون بأسرع وقت ممكن بالمعلومات الدقيقة عن حالة اليهود في فلسطين [3]، وفور وصول نائب القنصل الى يافا في الرابع من شباط 1839 ، كتب تقريرا الى بالمرستون وارسل اليه في نفس الوقت نسخة من التعليمات التي تلقاها من القنصل العام في الاسكندرية كامبل ، وأكد يونغ في تقريره على حرصه في تنفيذ مهمته وهي مساعدة ورعاية اليهود " **الذين أعطاهم الله في**

---

(1) احمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1972 ، ص ص 353-35 ؛ جوزيف حجار ، المصدر السابق ، ص 232.
(2)Sokolow,Nahum,history of Zionism 1600-1918,Vol.1,New York,pp.116-125.
(3)Ficouelmont,Le Comte De,OP.Cit,p.140.

الأصل هذا البلد ملكا لهم " ، وبعد عشرة أيام أرسل نائب القنصل إلى بالمرستون تقريرا جديدا عن وضع وعدد يهود القدس والمراكز السكنية الأخرى في ولاية عكا [1].

كان تعيين يونغ كنائب قنصل بريطاني في القدس يعد أول اتصال رسمي بريطاني باليهود في فلسطين ، وطلب بالمرستون من جميع القنصليات البريطانية في بلاد الشام تقديم الحماية لليهود ، لكن بريطانيا لم تتخذ أي موقف رسمي بخصوص القضية اليهودية ، وكان بالمرستون يؤيد الاستيطان الصهيوني في فلسطين لدعم مصالح بريطانيا في الشرق [2] . لم يكن اهتمام بالمرستون باليهود بمعزل عن الدول الأوربية الأخرى ففي الوقت الذي ابلغ فيه بالمرستون قنصله في القدس بتقديم الحماية لليهود كانت الدول الأوربية الكبرى التي لها مصالح في الشرق تمنح حمايتها لمجموعات دينية في الأراضي المقدسة ، وكانت تلك الدول الأوربية دائما تطالب السلطان العثماني برعاية حقوق الأقليات الدينية هناك ، فقد كان الفرنسيون يعدون أنفسهم حماة للكاثوليك أما الروس فعدوا أنفسهم حماة للارثوذكس ، وهذا الأمر بالتالي انسحب على اهتمام بريطانيا بحماية اليهود في فلسطين . كما قامت بريطانيا كذلك بدعم البعثات التبشيرية المسيحية أسوة بغيرها من الدول الأوربية ، ولم يقتصر دعمها على اليهود ، وأصبحت لها مدارس وجاليات مسيحية بروتستانتية تحظى بدعم ورعاية مستمرة من قبل الحكومة البريطانية [3] .

كان اللورد شافتزبري Lord Shaftesbury[4] (1801-1885) من ابرز دعاة تحقيق الحلم اليهودي في إقامة وطن لهم في فلسطين ، وكان شافتزبري مقربا جدا من بالمرستون ، ولديه علاقات وطيدة مع معظم أعضاء الحكومة البريطانية ، وحث بالمرستون على تقديم الحماية لليهود ، وكان شافتزبري مقتنعا بأن إعادة اليهود إلى

---

(1) جوزيف حجار ، المصدر السابق ، ص ص231-223.

(2) Jansen,G.H.,Zionism,Israel and Asian Nationalism,Beirut,1971,p.108.

(3) Lengyel,Emil,World without end The middle east,New York,1953,p.1010.

(4) انط ـ وني آشـ ـ لي كـ ـ وبر شـ ـ افتزبري Anthony Ashly Cooper Shaftesbury ولد في لنـ ـ دن فـ ـ ي الثـ ـ امن والعشرين من نيسان 1801 وتزوج ابنة السيدة بالمرستون من زوجها السابق اللورد كـ ـ اوبير ، درس فـ ـ ي هـ ـ ارو ومـ ـ ن ثـ ـ م كليـ ـ ة المسـ ـ يح فـ ـ ي أوكسفورد ، دخل مجلـ ـ س العمـ ـ وم البريطـ ـ اني عـ ـ ام 1826 واحـ ـ د المصـ ـ لحين الاجتماعيين والصناعيين في بريطانيا خلال القرن التاسع عشر ، وأظهر اهتماما بالغا بالمشروع الصهيوني لتـ ـ وطين اليهود في فلسطين ، مستفيدا من كون صـ ـ هره بالمرسـ ـ تون وزيـ ـ را للخارجيـ ـ ة ، فضـ ـ لا عـ ـ ن رغبتـ ـ ه بكسـ ـ ب الـ ـ رأي العـ ـ ام البريطاني الذي كان متعاطفا مع المشروع الصهيوني ، للمزيد من التفاصيل ينظر :
The New Encyclopedea Britannica,Vol.11,pp.84-85.

فلسطين ستكون له فوائده العظيمة لا لليهود فحسب بل للسلطان العثماني نفسه الذي يمكن ان يعتمد على ولاء وإخلاص هؤلاء الذين سينظمون الى سلطانه [1] .

وفي الأول من آب 1839 أتيحت الفرصة لشافتزبري ليبحث الأمر مع بالمرستون بشكل واضح ، ووعد بالمرستون ضيفه بالنظر جديا في هذا الموضوع ، واعتقد شافتزبري بان هذا الوعد دليلا على نجاح مساعيه ، وشكر العناية الإلهية لأنها اختارت قريبه المسؤول عن وزارة الخارجية البريطانية ليكون الأداة التي ستحقق الحلم اليهودي [2] .

أكد شافتزبري لبالمرستون انه في ذلك الوقت كانت هناك فكرة قوية بين اليهود المبعثرين في أوربا تقول أن الوقت قد حان لرجوعهم الى فلسطين ، وكانت تلك الرغبة تلقى صدى متجاوب ، كما إن يهود أوربا يملكون ثروات كبيرة وان أي بلد يستقبل عددا كبيرا منهم يستفيد كثيرا من الثروات التي يجلبونها معهم ، ولكن إقامتهم في فلسطين كانت مرهونة بحل الأزمة المصرية ، ومع ذلك فقد كان من المفيد للسلطان ان يشجع على استيطان اليهود في فلسطين ، فهو بذلك لن يحصل على مغنم مادي وحسب ولكنه قد ينجح عن طريق ذلك في التصدي للمشاريع التوسعية المحتملة التي يقوم بها محمد علي او خلفاؤه في المستقبل ، وهكذا اقتنع بالمرستون بآراء شافتزبري وأوصى سفيره في اسطنبول بونسونبي بأن يقدم هذه الملاحظات شخصيا الى الدولة العثمانية ناصحا إياها بقوة لتشجيع رجوع اليهود الى فلسطين [3] .

ويبدو أن شافتزبري وبالمرستون حاولا استغلال الفرصة المؤاتية نتيجة حاجة السلطان العثماني لدعم الدول الاوربية للوقوف بوجه محمد علي ، فأكد شافتزبري لبالمرستون ان الوقت مناسب جدا لاثارة موضوع استيطان اليهود في فلسطين ، وتوقع شافتزبري موافقة السلطان على هذا الموضوع ، ولذلك بدأ بالمرستون بالاتصال رسميا مع السلطان العثماني عن طريق سفيره في اسطنبول .

بعث بالمرستون رسالة في الحادي عشر من آب 1840 الى بونسونبي ، يطلب منه السعي لدى السلطان عبد المجيد للسماح لليهود بالاستيطان في فلسطين ، وحاول

---

[1] **Ibrahim Abu Lughod,The transformation of Palestine,Evanston,1971,p.30.**

[2] **جوزيف حجار ، المصدر السابق ، ص ص235-236.**

[3] **المصدر نفسه ، ص236.**

بالمرستون أغراء السلطان العثماني بالقبول مبينا الفوائد الكبيرة التي ستحصل عليها الدولة العثمانية من هذا المشروع [1] . وأضاف بالمرستون في رسالته : " **انه اذا ما عاد اليهود إلى فلسطين بقرار من السلطان وبحمايته وبدعوة منه فأن ذلك سيكون بمثابة ضمان وتأكيد لموضوع عودتهم بحيث تمنع بذلك أي أعمال شريرة قد يقوم بها محمد علي او خلفه في المستقبل** " [2] .

كان صهر بالمرستون شافتزبري متحمسا جدا للمشروع الصهيوني ، وفي الرابع عشر من آب 1840 ذكر في مذكراته بأنه صدم لدى قراءته لصحيفة التايمز ، اذ نشرت الصحيفة في عددها الصادر في السابع عشر من آب أخبار العقوبات التي لحقت بيهود دمشق على اثر اغتيال احد رجال الدين المسيحيين ، الا انه مع ذلك اعتقد بأن هذه القضية المحلية ستدفع المشروع الصهيوني إلى الأمام ، كما ان بالمرستون قد اكد له في اليوم نفسه بأنه أرسل تعليمات الى بونسونبي ليطلب من الوزير العثماني رشيد باشا حماية اليهود [3] .

وفي الرابع والعشرين من تشرين الثاني 1840 أرسل بالمرستون رسالة إلى بونسونبي ، طلب منه فيها بإلحاح بأن يأخذ التدابير اللازمة والفعالة لتقديم الحماية لليهود في الشرق وخاصة في سوريا ، وأكد بالمرستون في رسالته ان هذه المسائل تثير اهتماما عميقا جدا في أوساط قسم واسع من الرأي العام البريطاني ، وكان على بونسونبي ان ينصح الباب العالي بقوة لكي يسير في هذا الاتجاه [4] .

ادخل بالمرستون في هذه البرقية الرسمية الجديدة عنصرا ذا أهمية في معطيات المشروع اليهودي ، فبدل الضمانات القانونية التي كان يطلبها سابقا من الباب العالي ، طالب بالمرستون بمنح الحماية السياسية البريطانية وكان ذلك منعطفا رئيسيا في مجمل قضية الدولة العثمانية يمهد بشكل واضح لطرح مسألة منح الحماية البريطانية رسميا لليهود بحجة الحقوق التقليدية التي كانت تتمتع بها فرنسا في دفاعها عن كاثوليك الإمبراطورية . وفي الحادي والعشرين من كانون الثاني 1841 ابلغ بونسونبي وزير

---

[1] Ficouelmont,Le Comte De,OP.Cit,p.143.

[2] Quoted in:Stewart,Desmond,Theodor Hertzl Artist and Politician,London(n.d.), p.209;E.Kirk,George,A short history of the Middle East ,London,1959,p.147.

[3] جوزيف حجار ، المصدر السابق ، ص237.

[4] المصدر نفسه ، ص240.

خارجيته بالمرستون بفشل مساعيه لدى السلطان العثماني ، اذ رفض الأخير الموافقة على أن يرفع يهود الدولة العثمانية تظلماتهم عن طريق السفارة البريطانية ، وأكد السلطان عبد المجيد رفضه مجددا في الثلاثين من كانون الثاني ، وأعلن بان حكومته ستصغي دائما بايجابية إلى النصائح التي تقدمها السفارة البريطانية بصدد شكاوى الرعايا العثمانيين عامة ، وان السلطان يرفض رفضا تاما إعطاء اليهود حقا بأن يلجأوا الى وساطة القناصل والمعتمدين البريطانيين لكي يقدموا شكواهم [1] .

ظل بالمرستون متمسكا بأمكانية تحقيق تفاهم مع الدولة العثمانية حول توطين اليهود ، فقد بعث الى سفيره بونسونبي في شباط 1841 رسالة أخرى بين فيها مدى اهتمام بريطانيا بقضية توطين اليهود في فلسطين ، ومما جاء فيها : " **من المفيد جدا للسلطان اذا ما أغرى اليهود المبعثرين في أوربا وأفريقيا بالذهاب والتوطن في فلسطين ، لكن اليهود يطالبون بنوع من الأمان الحقيقي الملموس ، ولذا فأنني اقترح ان في استطاعتهم الاعتماد على حماية بريطانيا وان يسمح لهم بأن ينقلوا الى الحكومة العثمانية مطاليبهم عن طريق السفارة البريطانية** " [2] .

وبالرغم من رفض السلطان العثماني لمشاريع بريطانيا بخصوص اليهود ، إلا إنهم استمروا في إثارة المسألة باستمرار ففي عام 1852 علق احد المسؤولين البريطانيين بقوله : " **ان إنشاء وطن لليهود في فلسطين ليس عملا إنسانيا عادلا فحسب ، بل انه ضرورة سياسية ملحة حيث يمثل ذلك ضمانا وحماية للطريق الخارجي الذي يربط بريطانيا بالهند عبر آسيا الصغرى** " [3] .

ويتضح مما سبق مدى دعم المسؤولين البريطانيين وعطفهم على اليهود ، اذ جعلوا أنفسهم في طليعة من يطالبون بتحقيق المشروع اليهودي وهذا يعكس مدى نفوذ اليهود في بريطانيا بحيث تسعى الحكومة البريطانية لتنفيذ رغباتهم بهذا الشكل ، وكذلك فأن هذه المسألة تعكس اهتمام بالمرستون وحكومته باليهود منذ ذلك الوقت ، وذلك قبل المؤتمر الصهيوني الأول بما يقرب من خمسين عاما وقبل ولادة تيودور هرتزل Theodor Hertzl مؤسس الحركة الصهيونية وزعيمها الاول .

---

[1] جوزيف حجار ، المصدر السابق ، ص241.

[2] وثائق الصراع العربي الصهيوني في اكثر من 200 عام (1798 - 2002) بحث على الموقع الالكتروني : www.mohamoon.net ، ص3.

[3] Jansen,G.H.,Op.Cit,p.108.

خامسا : تبنيه استخدام القوة ضد الصين في حرب الافيون الأولى

كان التجار البريطانيون يعملون في تجارة الأفيون ، ويقومون بتهريب هذه البضاعة بطريقة غير شرعية إلى داخل الصين [1] ، ويجنون من وراء ذلك أرباحا طائلة ، وارتفعت نسبة الأفيون في الثلاثينات من القرن التاسع عشر من 17% الى 50% من مجموع الصادرات البريطانية الى الصين [2] . ومع أن هذه التجارة محرمة تحريما تاما بموجب القانون الصيني ، إلا ان التجار البريطانيين استمروا في مزاولتهم متحدين بذلك أسرة المانشو الحاكمة في الصين (1644-1911) [3].

بدأت إجراءات الحكومة الصينية بمنع هذه التجارة في الموانيء التابعة لها منذ عام 1838 [4]، واستولى الصينيون على عشرين ألف صندوق تحتوي على مادة الأفيون وبلغت قيمتها ستة ملايين دولار وتم إحراقها في احتفال عام [5]، واعتقد المسؤولون الصينيون أن الحكومة البريطانية لاعلم لها بمهربي الأفيون ، واستنتجوا بانها لن تتدخل لحمايتهم فقاموا بأبعاد جميع التجار الأجانب من البلاد [6].

انحصر نشاط التجار البريطانيين في مرفأ كانتون Canton وكانت بريطانيا البلد الأوربي الوحيد الذي استطاع إرسال عدد كبير من التجار حوالي الثلاثمائة وخمسين تاجراً [7] ، أقاموا في كانتون ومارسوا فيها الأعمال التجارية فضلا عن ممارستهم تهريب الأفيون من بلاد فارس والهند وبيعه داخل الصين لقاء رشاوٍ تقدم لكبار الموظفين [8]. كان بالمرستون يرغب بفتح أسواق الصين أمام التجارة البريطانية بشكل أوسع مما هي عليه ولكن الحكومة الصينية لم تسمح بذلك ، لاسيما بعد تفشي تجارة الأفيون داخل أراضيها [9].

---

(1) Schultz,Harold J. ,OP.Cit,P.239.

(2) م.بانيكـ ـار، آسـ ـيا والسـ ـيطرة الغربيـ ـة ، ترجمـ ـة: عبـ ـد العزيـ ـز توفيـ ـق جاويـ ـد ، دار المعـ ـارف ، القـ ـاهرة، 1962، ص128.

(3) Halevy,Elie,Victorian Years1841-1895,London,1962,P.48.

(4) Wilks,Washington,Op.Cit,P.

(5) Schultz,Harold J. ,OP.Cit,P.239.

(6) Lant,W.E.,Op.Cit,P.661.

(7) خضر خضر ، المصدر السابق، ص 155.

(8) Contributors,Various,European Civilization its Origin and development ,Vol.11,London,1939,P.721.

(9) Wilks,Washington,Op.Cit,PP.283-284.

تميزت سياسة بالمرستون تجاه الصين باستخدامه القوة ، وأراد بالمرستون خوض الحرب في بادئ الأمر لإجبار الصين على الاعتراف بالممثلين الدبلوماسيين لبريطانيا [1]، وكذلك إجبارها على احترام المصالح التجارية لبريطانيا العظمى ، وبدأ بالمرستون يحشد الرأي العام البريطاني لشن الحرب ضد الصين ولحماية حقوق التجار البريطانيين [2] .

وفي التاسع عشر من آذار 1839 ، اعلن بالمرستون في مجلس العموم البريطاني أن الإجراءات التي اتخذتها الحكومة الصينية ضد التجار البريطانيين لايمكن تحملها ، ويجب التدخل بقوة السلاح من اجل ضمان الأمن والحماية للتجارة البريطانية [3] ، وفي الحقيقة كانت حرب الأفيون حربا لافتتاح الصين أمام التجارة البريطانية ، فلم يكن الأمر يتعلق فقط بإجبار الحكومة الصينية على قبول استيراد الأفيون وإنما بفتح أسواق الصين على مصراعيها أمام البضائع البريطانية التي تكدست بسبب فرط الانتاج [4] .

نجح بالمرستون في نيسان 1840، وبعد جدال ومناقشات كثيفة في مجلس العموم البريطاني ، بالحصول على موافقة المجلس لتمويل الحرب في الصين [5] . وأقنع بالمرستون رئيس الوزراء البريطاني ملبورن وبقية الوزراء ان الحكومة الصينية غيرصادقة في منع الأفيون لكون هذا العقار مؤذٍ لشعبها [6] ، وزعم بالمرستون ان الصين تزرع الأفيون وتحاول حماية منتوجاتها من المنافسة الأجنبية [7] ، وبذلك اقتنع بالمرستون بانه من حق بريطانيا العظمى إعلان الحرب على الصين لكونها منعت استيراد الأفيون ، ومنعت التجار البريطانيين من المتاجرة به [8].

ومن الواضح أن بالمرستون انحاز بشكل غير مشروع لمصالح التجار البريطانيين ، وأعار كرامة حكومته وشرفها لخدمة نظام تجاري قائم على تجارة غير مشروعة في المخدرات تمارس على شكل قرصنة منظمة ، بل وصمم على استخدام القوة لإجبار الصينيين على عدم عرقلة بيع الأفيون من لدن التجار البريطانيين ، دون مراعاة لسيادة

---

(1) Lant,W.E.,Op.Cit,P.661.
(2) Ridley,Jasper,history of England,London,1981,P.256.
(3) بيير رونوفان ، المصدر السابق ، ص253 .
(4) Muir,Ramsey,Op.Cit,P.584.
(5) Lichien Nung, The political History of China 1840-1928,London,1968,P.34.
(6) ك.م.بانيكار، المصدر السابق، ص ص 133-134.
(7) Contributors,Various, ,Op.Cit,P.721.
(8) Lichien Nung,Op.Cit,P.34.

الحكومة الصينية على أراضيها ، الأمر الذي كان يتناقض مع الشعارات التي طالما نادى بها بالمرستون حول حقوق الدول وسيادتها .

وبعد موافقة مجلس العموم على تمويل الحرب في الصين [1] ، أرسل بالمرستون الكابتن جورج اليوت Captian George Elliot كقائد عام للقوات البريطانية البحرية والبرية المتوجهة إلى الصين [2] وأمر بالمرستون قائده بضرورة إجبار الحكومة الصينية على أن تدفع نفقات الحملة العسكرية وتعويضات الأفيون المصادر [3] ، وان تتخلى الصين عن سياستها بوضع القيود أمام التجار البريطانيين والتمثيل الدبلوماسي البريطاني [4] ، وفي تموز 1840 وصل اليوت إلى سواحل الصين ومعه ست عشرة سفينة حربية وأربع سفن بخارية حربية وثمان وعشرون سفينة تموين ونقل وأربعة ألاف جندي مجهزين بعتاد على أكمل وجه لتنفيذ أمر الحكومة البريطانية بأحكام الحصار على ميناء كانتون والموانئ التي تقع بالقرب منه [5] .

وقعت المواجة بين السفن الشراعية الصينية والسفن الحربية البريطانية منتصف عام 1840، وحقق البريطانيون انتصارات متلاحقة [6] ، حيث استطاع البريطانيون احتلال جزيرة شوسان Chusan ، وفي السابع من كانون الثاني 1841 احتل البريطانيون مدينة كانتون وجزيرة هونغ كونغ Hong Kong ، وفي اب 1841 استقالت حكومة ملبورن وتشكلت حكومة من المحافظين برئاسة روبرت بيل [7] .

وفي الثالث عشر من حزيران 1842 احتلت القوات البريطانية شنغهاي Shingha واستعدت للهجوم على مدينة نانكنج Nanking [8] ، فاضطرت الحكومة الصينية للرضوخ ، ووقعت معاهدة نانكنج في التاسع والعشرين من آب 1842 [9] ، وعلى ظهر إحدى السفن البريطانية الراسية بالقرب من نانكنج [10] . كان الانتصار في حرب الافيون

---

(1) Hearder,H.,Op.Cit,P.225.
(2)Schurmann,Franz&Schell,Orville,Imperial Chine The eighteenth and nineteenth Centuries,London,1977,P.131.
(3) Ridley,Jasper,Op.Cit,P.256.
(4) Halevy,Elie,Victorian Years 1841-1895,London,1962,P.48.
(5)Lunt,W.E.,Op.Cit,P.661.
(6) Ziegler,Paul R.,Op.Cit,P.51.
(7) Trollope,Anthony,Op.Cit,P.80.
(8) ك.م.بانيكار، المصدر السابق، ص ص 135.
(9) Lane,Peter,Op.Cit,P.164.
(10) Muir,Ramsey,Op.Cit,P.584.

مكسبا سياسيا مهما لبالمرستون [1]. ونصت معاهدة نانكينج على ان تدفع الصين غرامة مالية مقدارها 21000000 دولار كتعويض عن الأفيون الذي صادره الصينيون [2] ، وتنازلت الصين عن ميناء هونغ كونغ لبريطانيا [3] ، كما افتتحت خمسة موانئ صينية كبرى للتجارة البريطانية الحرة وهي كانتون وفوشاو Foushao وأموي Amoy ونانجبو Nangpo وشنغهاي ، وكذلك نصت المعاهدة أيضا على خضوع الرعايا البريطانيين للقانون البريطاني وتخفيض الرسوم الكمركية على الواردات البريطانية بما لايزيد عن 5% [4] .

وبذلك نجح بالمرستون في حماية مصالح التجار البريطانيين على حساب الصين ، وأجبر الصين على تبني سياسة تجارية تخدم مصالح بريطانيا أكثر مما تخدم الصين نفسها [5] . وبذلك سعى بالمرستون لتحقيق مصلحة بلاده دون أي اعتبارات أخرى ، وذلك هو المبدأ الأساس لمعظم السياسيين والدبلوماسيين البريطانيين ، وعلى الرغم من خروج بالمرستون من وزارة الخارجية في آب 1841 ، فقد استمر خليفته أبردين في الحرب حتى حقق الانتصار الذي توج بتوقيع معاهدة الصلح .

---

(1) حيدر صبري شاكر الخيقاني ، المصدر السابق ، ص 289.

(2) Ziegler,Paul R.,Op.Cit,P.52.

(3) Schultz,Harold J.,Op.Cit,P.239.

(4) حيدر صبري شاكر الخيقاني ، المصدر السابق ، ص 289

(5) Lane,Peter,Op.Cit,P.164.

أولا: تولي بالمرستون لوزارة الخارجية في حكومة جون رسل (1846-1851)

وصل المحافظون إلى سدة الحكم بعد استقالة وزارة ملبورن نتيجة لعدم تحقيق الأحرار الفوز في الانتخابات العامة التي جرت في آب 1841 اذ حصلوا على 291 مقعد بينما حصل المحافظون على 367 مقعد ، ونتيجة لذلك شكل روبرت بيل وزارته في آب من نفس العام واستمر حتى حزيران 1846 [1] وتولى اللورد ابردين وزارة الخارجية ، وانتقد بالمرستون السياسة الخارجية التي كانت تدار من لدن ابردين ، ولاسيما في مجال توثيق العلاقات مع روسيا [2] ، وذلك عندما زار القيصر الروسي نيقولا الأول بريطانيا في الحادي والثلاثين من ايار 1844 ، وخلال هذه الزيارة عقدت محادثات سرية حضرها عن الجانب الروسي القيصر واورلوف وبروناو ، أما من الجانب البريطاني فقد اقتصر الحضور على روبرت بيل وابردين [3] .

استغل القيصر تدهور العلاقات البريطانية–الفرنسية لإقناع المسؤولين البريطانيين بعقد اتفاق سري بين الدولتين للتعاون الثنائي في حالة حدوث انهيار مفاجيء للدولة العثمانية ، واتفق الطرفان أثناء المحادثات على إتباع سياسة مشتركة حول تلك المسألة ، ولم يعلم بالمرستون بفحوى تلك الاتفاقية السرية إلا بعد وصوله إلى وزارة الخارجية [4] ، وفي التاسع والعشرين من حزيران 1846 سقطت حكومة روبرت بيل ، وفي السادس من تموز شكل اللورد جون رسل الحكومة الجديدة ، وأصبح بالمرستون وزيرا للخارجية مرة ثالثة ، وعند اطلاعه على الاتفاقية السرية ، تجاهل محتواها وأكد رفضه لأي مشروع لتقسيم الدولة العثمانية [5].

ولم يكن القيصر الروسي نيقولا الأول ووزير خارجيته نيسلرود ميالين لتناول مسألة تقسيم الدولة العثمانية، في الوقت الذي كان فيه بالمرستون على رأس وزارة الخارجية ، بل كانا يفضلان أن تبقى الأمور كما هي، ولذلك لم تحصل مفاوضات روسية–بريطانية

(1) Trollope,Anthony,Op.Cit,p.82.

(2) حيدر صبري شاكر الخيقاني ، المصدر السابق ، ص 267.

(3) احمد ناطق ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق ، ص ص 201 -202.

(4) The Letters of Queen Victoria (A Selection form Her Majesty's Correspondence Between the years 1837and1861) inThreeVolumes,by Arther Christopher Benson and Viscount Esher,Vol.II,London,1908,p.217.

(5) Temperley,Harold,Op.Cit,p.73.

بشأن إكمال الخطط التي اتفق عليها في الاتفاقية السرية بسبب سياسة بالمرستون المعادية لروسيا [1].

1- موقف بالمرستون من قضية الزواج الاسباني 1846

كانت أولى القضايا التي نظر فيها بالمرستون بعد توليه وزارة الخارجية هي قضية زواج ملكة اسبانيا الشابة ايزابيلا الثانية وشقيقتها لويزا فرناندا Luisa Fernanda (1832-1897) ، وكان ملك فرنسا لويس فيليب يسعى لهيمنة فرنسا على اسبانيا [2] ، ورغب بتحقيق هذه الهيمنة من خلال زواج احد أبنائه من الملكة الاسبانية إيزابيلا الثانية [3] ، لاسيما ان مبدأ الزيجات الملكية كان جزءا من سياسة التوازن الدولي في أوربا خلال تلك المرحلة [4] .

اعترضت الحكومة البريطانية بشدة على زواج ملكة اسبانيا من أمير فرنسي ، لان ذلك ربما يؤدي إلى توحيد عرشي اسبانيا وفرنسا [5] ، وكانت الملكة فكتوريا قد زارت فرنسا [6] بصحبة زوجها الأمير البرت ووزير خارجيتها آنذاك ابردين ، وبعد وصولهم إلى باريس اجتمعوا بلويس فيليب ووزير الخارجية الفرنسي جيزوت وتم الاتفاق على ان تتزوج أولا ملكة اسبانيا من احد أبناء عمومتها الإسبان ، وبعد أن تنجب أطفالا يتزوج ابن لويس فيليب من أختها [7] .

وبعد عودة بالمرستون إلى وزارة الخارجية [8] ، رفض أن يسمح للويس فيليب بتنفيذ مخططاته للاستيلاء على اسبانيا ، وأصر على اختيار ملكة اسبانيا زوجها من غير الأسر الحاكمة في أوربا ، بل يجب أن يكون زوجها من أبناء عمومتها الأسبان [9] ، وأرسل رسالة إلى السفير البريطاني في مدريد بالوير في الثامن عشر من تموز 1846 ، كان لها أثر كبير في نقض لويس فيليب لاتفاقه مع الملكة فكتوريا ، ونصت الرسالة

(1) احمد محسن عبد البديري ، المصدر السابق ، ص 86 .

(2) Johnson,Douglas,Op.Cit,P.303.

(3) Strachey,Lytton,Queen Victoria,London,1951,p.135.

(4) آمال السبكي ، أوربا في القرن التاسع عشر – فرنسا في مئة عام ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، جدة ، 1985 ، 291.

(5) Stratford,Esme Wingfield,Op.Cit,p.1014.

(6) تمت الزيارة في الثاني من أيلول 1843، ينظر: حيدر صبري شاكر الخيقاني،الملكة فكتوريا وأثرها في السياسة البريطانية (1837-1901) ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 2009، ، ص96.

(7) Lane,Peter,Op.Cit,p.167.

(8) Traill,H.D.&Mann,J.S.,Our Country,Vol.VI,London,(n.d.),p.344.

(9) Halevy,Elie,Op.Cit,p.213.

على : " **ان مسالة اختيار زوج لملكة بلد مستقل هو بالتأكيد مسألة لاتؤهل حكومات الدول الأخرى التدخل فيها ، وينبغي ان لايقع الاختيار على أمير ينتمي مباشرة إلى إحدى الأسر الحاكمة لدولة أجنبية ، وقد عبر أعضاء حكومة جلالة الملكة عن رغبتهم المخلصة في أن يقع الاختيار على الشخص الذي ربما يضمن سعادة الملكة ويدفع أوضاع البلاد إلى الأمام** " (1) .

كما انتقد بالمرستون في رسالته أيضا الحكومة الاسبانية ، وأرسل نسخة من الرسالة إلى الحكومة الفرنسية مما أثار استياء شديد في فرنسا واسبانيا (2) ، الأمر الذي جعل الملك الفرنسي يعد هذا دليلا على نقض ملكة بريطانيا وحكومتها للاتفاق المبرم سابقا بين الطرفين مما يبرر له نقض الاتفاق من جانبه أيضا (3) ، وعلى اثر ذلك انتهز لويس فيليب الفرصة فأتم خطوبة الملكة الاسبانية ايزابيلا للأمير الاسباني فرانسسكو دي اسيسي Francisco D'Assisi (1822-1902) (4) ، وخطوبة شقيقتها لويزا فرناندا من الأمير الفرنسي انتوين Antoine (1824-1890) ابن الملك لويس فيليب وتم الزواج في اليوم نفسه في العاشر من تشرين الأول 1846 (5) .

وصلت أخبار هذا الزواج إلى بريطانيا ، فأثارت موجة من الاستياء والغضب في بريطانيا (6) ، واعتقد بالمرستون بان لويس فيليب رتب زواج الملكة الاسبانية من أمير اسباني عقيم ، بحيث لا تستطيع الملكة إنجاب وريث للعرش ، وذلك يعني ان عرش اسبانيا سيؤول إلى حفيد لويس فيليب وبذلك يتحد العرشان الاسباني والفرنسي ، ومما عزز قناعة بالمرستون بهذا الأمر ، أن لويس فيليب رتب زواج الملكة وأختها الأصغر في اليوم نفسه (7) .

أثار ماقام به لويس فيليب ثائرة بالمرستون ، ولم يستطع أن يغفر للويس فيليب محاولته المتعمدة لخرق العهود التي قطعها الفرنسيون لسلفه ابردين ، كما عد هذا الزواج

---

(1) Quoted in : Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,pp.100-101.
(2) Johnson,Douglas,Op.Cit,P.303.
(3) Strachey,Lytton,Op.Cit,p.138.
(4) Lane,Peter,Op.Cit,p.167.
(5) Halevy,Elie,Op.Cit,p.214.
(6) Strachey,Lytton,Op.Cit,p.138.
(7) Mowat,R.B.,A history of Europe and the Modern World 1492-1928,London,1931, p.633.

خرقا لمعاهدات اوترخت ، التي تمنع دمج عرشي فرنسا واسبانيا [1] ، وان استيلاء فرنسا بهذه الطريقة على اسبانيا يمثل خرقا كبيرا لتوازن القوى في أوربا . أما وزير الخارجية الفرنسي جيزوت فقد عد موقف بالمرستون تقييدا لحرية الحكومة الاسبانية بالتصرف واتهمه بإثارة الرأي العام في أوربا ضد السياسة الفرنسية . تحدث بالمرستون بلهجة شديدة مع جارناك Jarnac السفير الفرنسي في لندن ، مبديا أسفه حول تعدي فرنسا على استقلال اسبانيا ، وأكد له على ضرورة أن تتبنى اسبانيا سياستها المستقبلية لمصلحتها وليس لمصلحة فرنسا [2] ، وقال بالمرستون لجارناك أيضا مانصه : " **انه إذا اضطررنا ودخلنا حربا مع فرنسا ، فنأمل أن لا يكون حول هذا الموضوع ، فيجب أن تبنى صداقات الدول والحكومات على أساس المصالح الطبيعية لا على أساس الرغبات الشخصية** " [3] .

حاول بالمرستون تدويل القضية ، فطلب دعم مترنيخ للوقوف بوجه لويس فيليب ، مشيرا إلى أن ذلك يشكل انتهاكا لحرمة معاهدة اوتراخت [4] ، فرد مترنيخ ساخرا بان النمسا لم تعترف أصلا بالتسوية التي قامت بها بريطانيا وفرنسا وبموجبها آل العرش الاسباني إلى ايزابيلا الثانية بدلا من أن يعود إلى الوريث الذكر دون كارلوس ، ولم يتدخل مترنيخ في القضية لإزالة الخلاف بين الدولتين بل وقف موقف المتفرج ، غير أن بالمرستون لم يكن ذلك الرجل الذي يمكن تحديه دون إثارة غضبه ، فرد على مترنيخ بان دعم الايطاليين الأحرار الذين كانوا يسعون لإخراج النمسا من شمال ايطاليا بعد اندلاع ثورات 1848 [5] .

2- **سياسته ازاء اندلاع ثورات** 1848 **في أوربا**

شهد عام 1848 اندلاع عدد من الثورات في عموم أوربا ، بدأت في فرنسا ثم ايطاليا وألمانيا وهنكاريا [6] ، نتيجة لتطورات اقتصادية واجتماعية وسياسية حدثت في اوربا وانتشار الوعي القومي بالاضافة الى الازمة الاقتصادية التي اجتاحت اوربا خلال

---

(1) Cecil,Woodham Smith,Queen Victoria from her birth to the death of the Prince Consort,New York,1973,p.254.
(2) Johnson,Douglas,Op.Cit,P.303; Traill,H.D.&Mann,J.S.,Op.Cit,p.344.
(3) Quoted in : Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,p.104.
(4) Halevy,Elie,Op.Cit,p.215.
(5) جيفـ ـري بـ ـراون، الحضـ ـارة الغربيـ ـة فـ ـي القـ ـرن التاسـ ـع عشـ ـر 1815-1914، ترجمة: عبلـ ـة حجـ ـاب ، المكتبـ ـة الاهلية ، بيروت ، 1963، ص55.
(6) Newth,A.M.,Britain and the world 1789-1901,Penguin Education,p.73.

تلك المرحلة ، وعلى الرغم من أن التحالف الثلاثي بين بروسيا وروسيا والنمسا عام 1833 قد مارس أعمال القمع ضد الحركات التحررية ، إلا أن عدد الأحرار قد زاد في أوربا الوسطى وزادت فعالياتهم السرية [1] ، وبدا عام 1848 كأنه عام الثورات الأمر الذي أدى إلى اندلاع اضطرابات وتغيرات سياسية كبيرة في أوربا ، أدت إلى الإطاحة ببعض الملوك وإجبار آخرين على قبول الحكم الدستوري [2] ، كان بالمرستون مايزال آنذاك في وزارة الخارجية في حكومة جون رسل ، وكان يحمل في نفسه إزدراء كبير للحكام الذين اندلعت ضدهم الثورات ، ووصفهم بالمستبدين وذلك انطلاقا من سياسته الخارجية الليبرالية تجاه أوربا ، واعتقد بالمرستون إنهم يستحقون ما حصل لهم ، وقد كانت بريطانيا ملجأ للكثيرين منهم مثل لويس فيليب وحاشيته ووزيره جيزوت فضلا عن مترنيخ وآخرين [3] .

وفي تلك الأثناء عرض القيصر الروسي نيقولا الأول على الملكة فكتوريا ، بعد اندلاع ثورات 1848 ، اتحاد البلدين روسيا وبريطانيا بتحالف قوي ، لان ذلك من شأنه أن يجعل هذين البلدين متحدين إزاء أي حرب يمكن أن تنشب في المستقبل ، كان رأي بالمرستون هو انه رفض إقامة أي تحالف رسمي مع روسيا ، واعتقد أن لا ضرورة لدخول البلدين في اتفاق مشترك ، وقد عبر بالمرستون عن رفضه بقوله : " **ان مشاعرنا وعواطفنا تجاه روسيا هي نفس المشاعر والعواطف التي يظهرها الروس تجاهنا ، فنحن في الوقت الحاضر القوتان الوحيدتان في أوربا اللتان بقيتا صامدتين قويتين ، لذلك فأن علينا ان ننظر بثقة الى بعضنا البعض ...**" [4] .

اعتقد بالمرستون أن النظام السياسي البريطاني هو المثل الأعلى لكل دول أوربا ، وان من واجب هذه الدول ولمصلحة شعوبها أن تتبنى نظاماً دستورياً متحرراً شبيهاً بنظام الحكم في بريطانيا [5] ، وكان بالمرستون يعلم انه بتشجيعه للحركات التحررية في أوربا ، كان يخدم المصلحة العامة لبلاده ، وذلك لان بريطانيا كانت أكبر دولة مصدرة للسلع ، ونتيجة لذلك فهي بحاجة الى الاحتفاظ بالسلم في أوربا ، وفي هذا الشأن اعتقد

---

(1) كارلتون هيز ، التاريخ الاوربي الحديث 1789-1914 ، ترجمة فاضل حسين ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، بغداد ، 1987، ص136.

(2) Traill,H.D.&Mann,J.S.,Op.Cit,p.345.

(3) Temperley,Harold,Op.Cit,p.258; Newth,A.M.,Op.Cit,p.73.

(4) Graig,Gordon A.,Op.Cit,p.163.

(5) Wood,Anthony,Op.Cit,p.168.

بالمرستون أن إقامة النظم الدستورية هي الضمان للسلم ووجود الحكومات الديمقراطية المنتخبة التي تشرف على السياسة الخارجية سيوقف محاولات المغامرة التي يمكن لأي حكومة أن تقوم بها إذا ما كانت لها سلطة مطلقة ، فضلا عن تفادي الاضطرابات الداخلية والحركات الثورية التي تؤدي إلى صعوبات دولية ، كما إن الحكومات المنتخبة ، كما اعتقد بالمرستون ، سترجح مصالح البرجوازية وبالتالي يمكن تخفيف الحماية الكمركية وبشكل أفضل مما عليه في الحكومات الدكتاتورية مما يعود بالفائدة على التجارة البريطانية [1] .

3- **موقف بالمرستون من ثورة** 1848 **في فرنسا**

اندلعت ثورة كبرى في باريس في الثاني والعشرون من شباط 1848 فسقط حكم لويس فيليب وأعلن الفرنسيون قيام الجمهورية الثانية في الخامس والعشرون منه[2]، وكانت هذه الثورة بمثابة انهيار لسد عظيم حيث تقوض جانب مهم من النظام القديم المرتبط بتسوية فينا [3]. راقب بالمرستون بدقة ما جرى في فرنسا ، ورحب بالتغيير الذي حدث هناك لانه كان يكن كرها عميقا للويس فيليب ، ويرغب بإقامة علاقات متوازنة مع فرنسا تسمح له بالاعتماد عليها في المستقبل لضمان الأمن والاستقرار في أوربا [4] .

كان بالمرستون يأمل أن تعتمد الحكومة الفرنسية الجديدة على الدعم البريطاني ، كما كانت حكومة لويس فيليب أيام الوفاق البريطاني-الفرنسي [5] ، واستنتج بالمرستون أن الحكومة الجديدة قد لاتنتهج النهج الثوري في سياستها الخارجية خوفا من القوى الشرقية الثلاث روسيا وبروسيا والنمسا ، كما إنها قد لاتنتهج النهج الرجعي خوفا من الشعب الفرنسي [6] .

خشي بالمرستون من خطر اندلاع حرب قد يشنها الثوريون الفرنسيون المتطرفون فقد انتشرت في باريس الآراء الثورية المتطرفة ، والاتجاهات التوسعية الداعية إلى الحرب، وكان هؤلاء المتطرفون يتوقون بشكل كبير لتحرير ايطاليا وطرد النمسا منها [7]،

(1) بيير رونوفان ، المصدر السابق ، ص203.
(2) Holland Rose,J.(and others),Op.Cit,P.271; Traill,H.D.&Mann,J.S.,Op.Cit,p.345.
(3) Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,p.399.
(4) Lane,Peter,Op.Cit,p.168.
(5) Ibid,p.167.
(6) Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,p.427.
(7) حيدر صبري شاكر الخيقاني ، المصدر السابق ، ص268.

ورغم تعاطف بالمرستون مع الحكومة الفرنسية إلا انه خشي أن يشعل تدخلهم في ايطاليا نار الحرب والتي ربما قد تسقط نظام الحكم في النمسا وتقلب ميزان القوى في أوربا، كما إن بالمرستون لايمكنه ان يكون مع النمسا ضد العناصر الليبرالية في كل من فرنسا وايطاليا وكان عليه أن يتبع سياسة الحلول الوسطى وان يراعي المصالح العليا لبريطانيا العظمى التي تكمن في الحفاظ على السلام وعدم الإخلال بتوازن القوى في أوربا [1] .

عبر بالمرستون عن جوهر سياسته الخارجية التي تسعى لخدمة مصالح بريطانيا العليا بقوله عشية اندلاع ثورات 1848 : " **ليس لدينا صداقات دائمة او عداوات دائمة بل لدينا مصالح دائمة** " [2] ، ونتيجة لذلك لم يتبنَ بالمرستون موقفا عدائيا تجاه فرنسا في تلك المرحلة ، بل كيف نفسه لتقبل التغيير في نظام الحكم ، واتبع دبلوماسية مرنة تأرجحت بين اللين والشدة ، فهو لايؤيد قمع الحركات القومية والثورات التحررية ، كما انه لايريد إضعاف النمسا إلى الدرجة التي تخل بميزان القوى في أوربا لأنها بمثابة قوة توازن مع روسيا [3] .

كانت الدول الشرقية الثلاث تبغض لويس فيليب ، ويعدونه ملكا ليبراليا أما بالمرستون فانه امتعض منه لكونه اقل ليبرالية ، وكانت العلاقات البريطانية والفرنسية في نهاية عهده قد توترت بسبب قضية الزواج الاسباني ، لذلك كان بالمرستون متعاطفا مع الثوار الفرنسيين ، واقترح أن تعطي أوربا ضمانا لفرنسا بعدم الإطاحة بالثورة ، وبالمقابل طالب مترنيخ بأن تقدم فرنسا الضمانات اللازمة لأوربا ، خوفا من تكرار الحروب النابليونية ، وفي الرابع من آذار 1848 ، طلب بالمرستون من الدول الشرقية الثلاث التعهد لفرنسا بأنه طالما بقيت فرنسا غير عدوانية فلن تتعرض لعدوان ، إلا أن هذه الدول لم تتعامل بايجابية مع طلب بالمرستون ، لاسيما إنها تضم قوميات مختلفة ، وكان لديها مخاوف من امتداد الثورة إلى تلك الدول الخاضعة لحكمها [4] .

انتخب الفرنسيون شارل لويس نابليون Charles Louis Napoleon[5] (1808-1873/1848-1870) رئيسا للجمهورية الفرنسية الثانية في العاشر من كانون الاول 1848،

---

[1] Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,p.427.

[2] Wood,Anthony,Op.Cit,p.168.

[3] Holbraad,carsten,The Concert of Europe A study in German and British international Theory 1815-1914,London,1970,pp.139-140.

[4] تايلور ، الصراع على السيادة في اوربا 1848-1918، ترجمة: كاظم هاشم نعمة ، يوسف عزيز ، بغداد، 1980،ص31.

[5] لويس نابليون حتى عام 1852، والامبراطور نابليون الثالث من عام 1852 حتى 1870 الابن الثالث للويس بونابرت شقيق نابليون الاول الذي كان ملكا على هولندا (1806-1810) وفاة ابن عمه دوق ريجستاد.

ونال اكبر عدد من الأصوات في الانتخابات التي جرت في العاشر من كانون الأول 1848 ، وأيد بالمرستون وصول لويس نابليون إلى الحكم [1] .

4- **دور بالمرستون في دعم الثوار الايطاليين** 1848

استمرت هيمنة النمسا على شمال ايطاليا منذ مؤتمر فينا ، وكانت القوة الوحيدة التي وقفت بوجه النمسا في ايطاليا هي مملكة سردينيا – بيدمونت [2] . وعلى اثر ثورة شباط في فرنسا اندلعت الحركات الثورية بشكل متزامن في ايطاليا ، وطالب الثوار بخروج النمسا من أراضيهم [3] ، وفي الحادي عشر من شباط 1848 كتب بالمرستون رسالة إلى سفيره في فينا بونسونبي ، حث فيها سفيره لإقناع مترنيخ بعدم التدخل لقمع الحركات الثورية في ايطاليا [4] ، وعبر بالمرستون في رسالته عن موقفه بوضوح إزاء الثورة في ايطاليا قائلا : " **إنني أرسل إليك هذه الرسالة المهمة جدا لتوصلها إلى الأمير مترنيخ ، وأتمنى أن يأخذها بنظر الاعتبار ، إن قرار مترنيخ بخصوص ايطاليا سيترتب عليه إما السلام أو الحرب في عموم أوربا ، فإذا بقي هادئا ولم يتدخل بأمور خارج نطاق الحدود النمساوية فسيتم الحفاظ على السلام ، أما إذا تدخل مترنيخ بقوة السلاح في الشؤون الداخلية للدويلات الايطالية فسوف يؤدي ذلك إلى اندلاع حرب ، وستدخل فرنسا حتما في هذه الحرب ، وسوف تنتشر هذه الحرب في أوربا كلها ، وفي تلك الحرب لن تكون بريطانيا والنمسا في صف واحد ، وإنني آمل من مترنيخ ان يدرك تأثير تلك الحرب على مركز النمسا في أوربا ، ابذل قصارى جهدك لإقناع مترنيخ بالالتزام بالتهدئة فيما يخص هذا الموضوع ، نحن ندرك قيمة الحفاظ على النمسا كمرتكز لتوازن القوى في أوربا ، لذلك سيؤدي تدخلها في ايطاليا إلى نتائج مأساوية عليها وسيضعنا رغما عنا بالجهة المضادة لها** " [5] .

Duke of Reichstadt، الابن الوحيد لنابليون الأول ، طالب لويس نابليون بالعرش الفرنسي ، قضى معظم شبابه في المنفى تولى رئاسة الجمهورية بعد ثورة 1848 في فرنسا ، وعام 1852اصبح امبرطورا على فرنسا ، هزم في معركة سيدان 1870ووقع في اسر الالمان ، توفي في بريطانيا في التاسع من حزيران 1873 . للمزيد من التفاصيل ينظر : The New Encyclopedia Britannica,Vol.8,p.509.

[1] Trollope,Anthony,Op.Cit,p.102.

[2] خضر خضر، المصدر السابق ، ص 176.

[3] بيير رونوفان ، المصدر السابق ، ص215.

[4] Weber,Frank G.,Palmerston and Prussian Liberalism1848,The Journal of Modern Historory,Vol.35,No.2,(Jun.1963),p.115.

[5] Wiener,Joel H.,Op.Cit,Vol.1,p.376.

ويبدوا أن بالمرستون أراد أن يضغط على النمسا للخروج من ايطاليا وتسليم الحكم هناك للأحرار ، واستخدم خوف النمسا من فرنسا ليحقق رغبته ، مع انه لم يكن يريد إضعاف قوة النمسا ولا الاستعاضة عنها بفرنسا في ايطاليا ، بل حاول الاستفادة من تلك الحركات الثورية لتحقيق توازن جديد في القوى في أوربا ينسجم مع المصالح البريطانية .

وقف بالمرستون بوضوح أثناء ثورة 1848 في الدويلات الايطالية ضد بقاء القوات النمساوية هناك [1] ، وأيد الأحرار الايطاليين في مطالبتهم في توحيد البلد واعتقد بالمرستون أن تلك القوات النمساوية كان هدفها أن تكون حاجزا ضد أي توسع فرنسي في أوربا [2] ، ونظرا لسوء الادارة النمساوية في تلك المناطق فقد أثار النمساويون الكره القومي لهم مما أدى إلى اندلاع ثورة قومية ضد تواجد القوات النمساوية في شمال ايطاليا [3] . ونتيجة لذلك أكد بالمرستون أن ممتلكات النمسا في ايطاليا هي موطن ضعف يجدر بالنمسا التخلص منها [4] ، لان الخطر الذي يهدد النمسا إنما يكمن في قمعها للنزعات القومية داخل أراضيها ، لاسيما إنها كانت تحكم عدة قوميات في ايطاليا وصربيا وكرواتيا وهنكاريا [5] .

حاول ملك سردينيا شارل ألبرت Charles Albertus(1798-1849) قيادة الدويلات الايطالية نحو الوحدة ، وبعد اندلاع الثورة في معظم أرجاء ايطاليا للمطالبة بالدستور ، منح ملك سردينيا شعبه دستورا في الرابع من آذار 1848 نظم الحياة السياسية في بلاده ، وعدّ بالمرستون ذلك مكسبا كبيرا لليبراليين الايطاليين ، وحث الدويلات الايطالية الأخرى على السير في الخطى نفسها نحو النظام الدستوري ، وبذلك أعلن دعمه لمملكة سردينيا في حكم شمال ايطاليا دستوريا وإخراج النمسا منه [6] .

حرص بالمرستون من جهة أخرى على عدم السماح لفرنسا الثورية أن تتدخل في ايطاليا لاسيما ان الاتجاهات الثورية كانت واضحة بعد ثورة شباط في فرنسا ، ولم يرغب باستبدال النفوذ النمساوي بالنفوذ الفرنسي هناك [1] ، لذلك فانه حاول دون جدوى أن

---

(1) Halevy,Elie,Op.Cit,pp.225-226.
(2) Cecil,Woodham Smith,Op.Cit,p.300.
(3) حيدر صبري شاكر الخيقاني ، المصدر السابق ، ص268.
(4) Trollope,Anthony,Op.Cit,p.105.
(5) غرانت وتمبرلي ، المصدر السابق ، ص ص 315-316.
(6) Thomson,David,Op.Cit,p.156.
(1) Marcham,A.J.,Foreign Policy,London,1973,p.61.

يمنع ملك سردينيا من المجازفة بالدخول في حرب ضد النمسا ، لان تلك الحرب ستفتح الطريق أمام تدخل فرنسا ، وستمنع ايطاليا من التقدم بأي خطوة نحو الحرية [1] ، وبعد اندلاع ثورة في فينا في الثالث عشر من آذار 1848 وهروب مترنيخ إلى خارج النمسا [2] ، انتهز ملك سردينيا الفرصة فشن في الثالث والعشرين من آذار الحرب على القوات النمساوية المتمركزة في شمال ايطاليا والتي كانت تحت قيادة المارشال راديتسكي Radetzyk (1810-1885) [3] .

كان بالمرستون يعد شمال ايطاليا ، بالنسبة له خلال تلك المرحلة ، بؤرة الخطر ومركز التعقيدات الدولية الخطيرة ، لأنها المكان الذي ستندلع منه حرب شاملة إذا لم يتدارك الموقف [4] ، وعند بدء الحرب بين سردينيا والنمسا عرض بالمرستون على مملكة سردينيا في حال هزيمتها ان يضمن سلامة أراضيها بشرط أن لايطلب ملكها أي معونة فرنسية ، وفي بداية الأمر حققت قوات مملكة سردينيا عددا من الانتصارات على الجيش النمساوي ، لذلك لم يطلب شارل البرت أي معونة من فرنسا [5] .

شجع بالمرستون توحيد ايطاليا على يد سردينيا ، لان ذلك يصب في مصلحة بريطانيا ، ففي حالة قيام دولة موحدة في شمال ايطاليا وبعيدة عن النفوذ الفرنسي ، فأنها ستكون بمثابة الحاجز بين النمسا وفرنسا ، كما إنها ستصبح سوقا للبضائع البريطانية فضلا عن كونها دولة موازنة لفرنسا في البحر المتوسط [6] ، ولذلك سعى بالمرستون في نيسان 1848 لإقناع النمسا بان تتخلى بهدوء وبسرعة عن ممتلكاتها الايطالية لأنها السبب في إضعافها [7] ، أما بالمرستون فلم يكن يريد تفكيك النمسا ، لان وجودها كان ضروريا حسب رأيه ، ولذلك اتبع بالمرستون تجاه هذه القضية سياسة الحلول الوسطى التي ترضي الطرفين ، لان الحفاظ على السلام في أوربا من أولى أولويات المصالح البريطانية [8] .

---

(1) Trevelyan,G.M.,History of England,London,1952,p.654.
(2) Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,p.426.
(3) وفاء رحيم طه العنبكي ، المصدر السابق ، ص66.
(4) Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,p.430.
(5) وفاء رحيم طه العنبكي ، المصدر السابق ، ص66.
(6) بيير رونوفان ،المصدر السابق ، ص 226.
(7) Trollope,Anthony,Op.Cit,p.105
(8) Wiener,Joel H.,Op.Cit,Vol.1,p.376.

اعتقد بالمرستون أن سقوط مترنيخ على اثر الثورة في النمسا سيؤدي إلى نتائج سلبية على ميزان القوى في أوربا ، لان بالمرستون بالرغم من انتقاده لسياسة النمسا ، لكنه لاحظ أن ثورات 1848 جعلت فرنسا أكثر قوة من ذي قبل ، وأضعفت بروسيا وهددت النمسا [1] ، فقد شعرت الأخيرة بالخطر بعد اندلاع الاضطرابات الثورية في أقاليمها ، وتوقع النمساويون بأن فرنسا ستهجم عليهم في أيه لحظة إلى جانب مملكة سردينيا ، وكانت الحكومة النمساوية الحرة التي تشكلت بعد سقوط مترنيخ ، مستعدة للتخلي عن جزء من ممتلكاتها الايطالية في حالة حصولها على ضمان بريطاني لبقية ممتلكاتها الايطالية [2] .

وفي الثالث والعشرين من آيار 1848 قابل هيملور Hummelauer ، الخبير في الشؤون البريطانية في وزارة الخارجية النمساوية بالمرستون ، واقترح عليه منح لمبارديا والبندقية حكما ذاتيا تاما ، وعندما رفض بالمرستون هذا الاقتراح لعدم كفايته زاد هيملور في العرض في الرابع والعشرين من آيار بمنح لمبارديا الاستقلال التام واقترح بقاء البندقية وحدها تحت السيادة النمساوية ، وفي الثالث من حزيران وافق بالمرستون على القيام بالوساطة بين سردينيا والنمسا على أساس تنازل النمسا عن لمبارديا فضلا عن التشاور في مسألة البندقية ، وسعى بالمرستون من خلال وساطته لإنهاء الحرب في ايطاليا ، ثم إنشاء مملكة مستقلة في شمالها ولكن بموافقة النمسا وقبل أن يجد الفرنسيون وقتا للتدخل [3] .

وفي الخامس والعشرين من تموز 1848 سحق راديتيسكي قائد الجيش النمساوي جيش مملكة سردينيا في معركة كستوزا Castozza قرب فيرونا ، وعقد الطرفان هدنة في التاسع من آب [4] ، وبعد هزيمة سردينيا على يد القوات النمساوية وانسحابها من البندقية ولمبارديا ، اعتقد بالمرستون إن استنجاد الأحرار الايطاليين في لومبارديا والبندقية بحكومة فرنسا أصبح أمرا مرجحا أكثر من اي وقت آخر ، وأدرك قسطنطين هنري فيبس نورمانبي Constantine Henry Phipps Normanby [5] (1797–1863/1846–

---

[1] Taylor,A.J.P.,Europe Grandeur and Decline,London,1950,p.77.

[2] تايلور ، المصدر السابق ، ص44.

[3] المصدر نفسه ، ص44.

[4] المصدر نفسه، ص47.

[5] سياسـ ـي بريطـ ـاني مـ ـن الأحـ ـرار ، درس فـ ـي هـ ـارو وفـ ـي كليـ ـة ترنتـ ـي Trinity College كـ ـامبرج ، ذاع ـ ت شهرته من خلال الكـ ـراريس السياسـ ـية التـ ـي نشـ ـرها منـ ـذ عـ ـام 1822، عين حاكمـ ـا لجمايكا 1832–1834 ثـ ـم=

1852) السفير البريطاني في باريس الموقف فلم ينتظر تعليمات بالمرستون واقترح في التاسع والعشرين من تموز توسطا بريطانيا فرنسيا وقبل الفرنسيون الاقتراح في الخامس من آب ، وبعد يومين من ذلك وافق بالمرستون على الاقتراح ، ولم يبق سوى حمل الطرفين المتنازعين على القبول بالتوسط [1] .

وضح بالمرستون موقفه من القضية الايطالية لرئيس الحكومة جون رسل ، فكتب إليه في الثلاثين من آب 1848 مؤكدا على ضرورة اتخاذ موقف قوي وحاسم تجاه تلك المسألة ، وجاء في رسالة بالمرستون : " **اما فيما يتعلق بايطاليا يبدو أن علينا أن نختار ما إذا كان من المفروض أن تكون هناك حربا أم سلاما بين النمسا وفرنسا ، وما إذا كان علينا أن نترك فرنسا تحسم أمورها في ايطاليا بطريقتها الخاصة** " [2].

وبذلك كان بالمرستون راغبا بالتوافق مع فرنسا لاحتواء سياستها الثورية من جهة والحفاظ على النمسا من جهة أخرى ، وفي الوقت نفسه استمر في دعمه للأحرار الايطاليين ، لتكوين دولة ايطالية مدينة في وجودها لبريطانيا ، وكان بالمرستون مدركا ان الوحدة الايطالية ستحدث عاجلا أم آجلا ، فما عليه إذن سوى تأدية دور مهم في قيامها ، في حين أن فرنسا كانت لا ترغب برؤية دولة ايطالية تنازعها النفوذ في البحر المتوسط ، بل استهدفت إنشاء دويلات متعددة في ايطاليا بعيدة عن نفوذ النمسا ، واستغل بالمرستون هذا الجانب لجذب فرنسا للوفاق معه ومنعها من التدخل بشكل منفرد.

وافقت الحكومة النمساوية تحت ضغط بالمرستون في الثالث من أيلول 1848 على القبول بمبدأ الوساطة البريطانية–الفرنسية ، في الوقت الذي احتفظت فيه لنفسها بحق مناقشة الشروط ، وكان هذا مجرد تنازل شكلي لان النمسا كانت ترفض في الواقع وباستمرار التنازل عن لمبارديا والبندقية ، وعندئذ هددت مملكة سردينيا بالعودة إلى القتال ، وأعلنت الحكومة الفرنسية إنها تفكر في إنزال قواتها قرب البندقية ، فضاعف بالمرستون من مجهوده للتوفيق بين الأطراف وحذر فرنسا وسردينيا من مخاطر اللجوء

نائب ـ ا للملك ـ ـقـف ـ ي ايرلنـ ـ دة فـ ـ ي المؤصدة 1835-1839 للحـ ـ رب والمسـ ـ تعمرات فـ ـ ي المـ ـ دة شـ ـ باط 1839- آب1839، ووزيرا للداخلية في أيلول 1839-آب1841 سفيرا لبريطانيا ـ ا فـ ـ ي بـ ـ اريس1846-1852 و ع ـ ين سفيرا في توسكانيا 1854-1858، للمزيد من التفاصيل ينظر :

Constantine Henry Phipps Normanby-Wikipedia,The Free Encyclopedia.

(1) تايلور ، المصدر السابق ، ص47.

(2) **Quoted in: Erickson,Arvel B.&Harran,Martin J.,Reading English History,New York,1967,p.355.**

إلى القوة العسكرية [1] ، وحاول بالمرستون أن يقنع النمسا بالتخلي عن لمبارديا التي تمثل ملكيتها لها منبع خطر مستمر ، وفي الحادي والعشرين من تشرين الثاني 1848 أصبح فيليكس شوارزنبيرغ Shiwarznbrge Filex (1800–1852/1848–1852) مستشارا للنمسا خلفا لمترنيخ [2] ، الذي أدرك أن مسألة ممتلكات النمسا في ايطاليا تتطلب حلا جديا ، أما أن تخسر فيه النمسا كل شيء ، أو تربح كل شيء ، وبذل شوارزنبيرغ قصارى جهده لإحباط أحلام مملكة سردينيا ومخططاتها ، ومع إصرار شوارزنبيرغ على موقفه ، تأكد بالمرستون أن النمسا لن توافق على الوساطة [3] .

كان لفشل المفاوضات بين سردينيا والنمسا من جهة وسيطرة الثوريين المتطرفين على البرلمان السرديني من جهة أخرى أن تجددت الحرب في الثاني عشر من آذار 1849 ، وشن شارل البرت الحرب على النمسا مرة أخرى [4] ، وفي الثالث والعشرين من آذار هزم ملك سردينيا في معركة نوفارا Novara وتنازل عن العرش لابنه فكتور عمانؤيل الثاني Victor Emmanuel II (1820–1878) ، وأدرك شوارزنبيرغ أن عليه احترام استقلال سردينيا لأجل إبعاد الفرنسيين عن التدخل في شمال ايطاليا لذلك ابرم صلح ميلانو في السادس من آب 1849 والذي اقتصر على دفع سردينيا مبلغ من التعويضات للنمسا [5] .

انتقد بعض المحافظين سياسة بالمرستون تجاه ايطاليا ، وابرز هؤلاء هو وزير الخارجية البريطاني السابق ابردين ، واتهم ابردين بالمرستون باتباع سياسة غير متعقلة ولاتخدم مصالح بريطانيا [6] ، رد بالمرستون على تلك الاتهامات في جلسة مجلس العموم المنعقدة في الخامس والعشرين من حزيران 1850، قائلا : " **بخصوص سياستنا المتعلقة بالشأن الايطالي ، إنا تماما أنكر التهم الموجهة إلينا ، بأننا المؤيدين والمناصرين والمشجعين على الثورة ، وعلى العكس من ذلك ، فأنا أؤكد بأننا قدمنا**

---

(1) بيير رونوفان ،المصدر االسابق ، ص 232.
(2) وفاء طه رحيم العنبكي ، المصدر السابق ، ص73.
(3) Trollope,Anthony,Op.Cit,p.105.
(4) تايلور ، المصدر السابق ص55.
(5) وفاء طه رحيم العنبكي ، المصدر السابق ، ص80.
(6) Trollope,Anthony,Op.Cit,p.109.

النصح لمنع هؤلاء الثوريين من جر أوربا لحرب عامة تهدد الأمن والاستقرار والسلم العام ، وبهذا فأن الحكومة تستحق المديح لا النقد " (1) .

5- موقف بالمرستون من الثورة الهنكارية 1848

اندلعت الثورة الهنكارية كنتيجة طبيعية لاندلاع ثورات عام 1848 في معظم العواصم الأوربية ، وعندما تفاقمت الثورة آواخر عام 1848عرضت روسيا مساعدتها للتدخل لمصلحة النمسا وشعر بالمرستون بالقلق لخشيته من توسع روسيا غربا باتجاه البلقان (2) ، وكانت النمسا حسب رأيه هي الحصن الرئيس الذي يمنع روسيا من توسيع نفوذها ورغم أن الرأي العام البريطاني كان متعاطفا ، الى حد كبير، مع ثورة هنكاريا ، كان يتوجب على بالمرستون الحفاظ على النمسا والسماح لروسيا بمساعدتها في قمع ثورة هنكاريا (3) .

أعلن لاجوس كوسوث Lajos Kossuth (4) (1802-1894) استقلال البلاد عن النمسا في الرابع عشر من نيسان 1849 ، وأصبح هو رئيسا لها ، والحق بالجيش النمساوي هزيمة كبرى (5) ، طلب شوارزنبيرغ المساعدة من القيصر الروسي الذي لم يتأخر في تقديمها ، أما بالمرستون فمع قناعته التامة بأن الحق والعدالة هما إلى جانب الهنكاريين ، إلا انه تجاهل كليا نداءات كوسوث لمساعدته ضد النمسا وروسيا ، وبالرغم من الإغراءات الكبرى التي قدمها الزعيم الهنكاري للحكومة البريطانية ، فقد بلغ منه اليأس درجة انه أبدى استعداده لمنح بريطانيا اتفاقيات تجارية خاصة جدا والتنازل لها عن مرفأ بوكاري Buccari على البحر الادرياتيكي ومرفأ سميلين على نهر الدانوب والتخلي عن الجمهورية التي أقامها والقبول بالملك الذي تختاره الحكومة البريطانية على البلاد ولكن بدون جدوى (6) .

---

(1) Quoted in:Francis,George Henry,Op.Cit,pp.493-494.

(2) Trollope,Anthony,Op.Cit,p.109.

(3) Thomson,David,Op.Cit,p.156.

(4) سياسي هنكاري ، ولد في بلدة مونوك Monok في هنكاريا ، وفي عام 1841 عمل في الصحافة وأصبح رئيس تحرير صحيفة بست هيرلاب Pesti Hirlap ... الهنكارية ، طالب بالإصلاحات العامة وبالانفصال عن النمسا ... 1848 ... دولة مستقلة ، وأصبح في الرابع عشر من نيسان 1849رئيسا لجمهورية هنكاريا ، إلا أن تحالفا روسيا نمساويا اضطره إلى الهروب خارج هنكاريا ، توفى عام 1894 في ايطاليا ، للمزيد ينظر : The New Encyclopedia Britannica,Vol.6,p.970.

(5) Thomson,David,Europe since Napoleon,London,p.200.

(6) خضر خضر ، المصدر السابق ، ص185.

ومما تجدر الإشارة إليه أن بالمرستون قد تخلى عن مبادئه في دعم الحركات الدستورية في أوربا كما تخلى عن مراعاة مصالح بريطانيا من خلال رفض حكومته للتنازلات التي قدمها لاجوس كوسوث ، والتي كانت ستزيد النفوذ البريطاني في البلقان على حساب روسيا ، ولكن يبدو أن الحكومة البريطانية ووزير خارجيتها بالمرستون تخلوا عن كل تلك المباديء والمكتسبات من اجل الحفاظ على النمسا كعنصر أساسي للحفاظ على توازن القوى في أوربا ولموازنة قوة روسيا في البلقان ، وهو مايخدم مصالح بريطانيا أيضاً ، كما أن العائلة المالكة في بريطانيا التي تعود إلى أصول ألمانية ، رفضت السماح بأي عمل يضر بمصلحة النمسا.

بدأت القوات النمساوية والروسية بإخماد الثورة في هنكاريا في آيار 1849 [1] ، الأمر الذي أثار موجة من الخلافات في مجلس العموم البريطاني حول موقف الحكومة من قمع الثورة في هنكاريا ، وفي الجلسة المنعقدة في الحادي والعشرين من تموز 1849 انتقد عضو مجلس العموم جون روبك John Roebuck ، اجتياح روسيا لهنكاريا كما انتقد موقف بالمرستون إزاء ذلك [2] ، وفي الجلسة نفسها رد بالمرستون مدافعا عن سياسة حكومته إذ قال : " **إذا انفصلت هنكاريا عن النمسا فأن هذا الانفصال سيمنع النمسا من الاستمرار في تحقيق نفوذها وموقعها العظيم الذي تتمتع به لحد الآن بين القوى الأوربية ، ومن ناحية أخرى ، إن دخول هنكاريا الحرب للنهاية فإنها سوف تسحق بشكل تام من قبل الدول الأقوى منها ، وان بريطانيا العظمى تسعى لتحقيق غايتين أساسيتين ، الأولى الحفاظ على السلام ، والثانية اتخاذ موقف ما من الأحداث ، فإنه من غير المناسب لنا أن ننغلق على أنفسنا تجاه هذه القضية ونبقى ملتزمين الصمت وغير مبالين لما يحدث حولنا ، لان نتائج وآثار تلك الثورة ستؤثر على الدول الأخرى ، وستؤدي لنتائج مفجعة لنا** " [3] .

اقتنع بالمرستون انه بحاجة إلى وجود النمسا من اجل الحفاظ على توازن القوى في أوربا ، لان زوال النمسا من الخارطة الأوربية حسب اعتقاده معناه تقوية بروسيا التي

---

(1) Marcham,A.J.,Op.Cit,p.61.

(2) Wiener,Joel H.,Op.Cit,Vol.1,p.377;Wilks,Washington,Palmerston in three Epochs, p.34.

(3) Quoted in:Bruun,Geoffrey,Revolution and Reaction1848-1852 mid century watershed,Toronto,(n.d.),pp.162-163.

ستضم كل المناطق الألمانية–النمساوية ، وكذلك سيؤدي انهيار النمسا إلى إطلاق يد روسيا في حوض الدانوب والبلقان ، لذلك فأن بالمرستون عبر عن موقف بلاده بالقول : " **ان لم تكن النمسا موجودة فأنه يجب اختراعها ، وانه سيكون من المستحيل استبدال النمسا بدولة صغيرة** " [1] ، كما إن سياسة بالمرستون المؤيدة لإخراج النمسا من ايطاليا أغضبت عليه الملكة فكتوريا ، فوقف هذه المرة الى جانب النمسا [2] .

بقي بالمرستون أصما عن سماع مطالب كوسوث ، و في الوقت نفسه أعلن انزعاجه من سياسة شوارزنبيرغ ، وتطلب الأمر أن يكون بالمرستون معتدلا في هذه القضية [3] ، وفي منتصف آب 1849 أكملت القوات الروسية مهمتها في القضاء على الثورة الهنكارية ، فهرب كوسوث وأتباعه إلى الدولة العثمانية [4] ، وفي السادس من أيلول طالب القيصر الروسي الدولة العثمانية بتسليم اللاجئين الهنكاريين ، وطلب من النمسا اتخاذ الموقف نفسه ، ومارست الدولتان ضغوطا شديدة على الدولة العثمانية بحجة حمايتها للاجئين الهنكاريين الذين شاركوا في الثورة [5] .

طلب السلطان العثماني عبد المجيد المساعدة من الحكومة البريطانية ، فأمر بالمرستون في الثاني من تشرين الأول 1849 الأسطول الحربي البريطاني بالمرابطة قرب مضيق الدردنيل وتبعه الأسطول الفرنسي [6] ، وحث بالمرستون السلطان عبد المجيد على عدم تقديم أي تنازلات ولذلك اضطر القيصر الروسي إلى سحب مطاليبه ، وأدى موقف روسيا تجاه الدولة العثمانية الى تحسن في العلاقات البريطانية–الفرنسية [7]، وكذلك بداية تحالف الدولتين ضد محاولات روسيا في التوغل داخل الدولة العثمانية [8] .

وفي تشرين الأول 1849 انتهت الأزمة بسحب القيصر شروطه التي فرضها على الدولة العثمانية ، وفي تشرين الثاني احتجت روسيا على اقتراب الأساطيل البريطانية والفرنسية من مضيق الدردنيل ، وعدت ذلك خرقا لمعاهدة المضائق ، فسارع بالمرستون

---

(1) **Thomson,David,England in The nineteenth century,(n.d.), p.156.**
(2) **Cecil,Woodham Smith,Op.Cit,p.301.**
(3) **Trevelyan,G.M.,Op.Cit,p.296; Marcham,A.J.,Op.Cit,p.61.**
(4) **خضر خضر ، المصدر السابق ، ص186.**
(5) **Harold,Temperley,Op.Cit,pp.259-260.**
(6) **Thompson,J.M.,Louis Napoleon and the second Empire,New York,1955,p.104.**
(7) **Trollope,Anthony,Op.Cit,p.109.**
(8) **Barlen,M.E.,The Foundation of modern Europe 1789-1871,London,1969,p.307.**

للاعتذار من روسيا ، لكي لا تعد الحادثة سابقة يستغلها الأسطول الروسي فيدخل مضيق البسفور [1] .

6- موقف بالمرستون من مشكلة دوقيتي شلزفيك وهولشتاين

اندلعت الثورة في بروسيا في الثامن عشر من آذار 1848، وسيطر الأحرار في بروسيا على الحكومة ، وأجبر الملك فردريك وليم الرابع في نهاية آذار على الموافقة على منح دستور للبلاد وتشكلت الجمعية الوطنية في فرانكفورت وأعلنت مشروعا لتوحيد المانيا [2] ، وفي الوقت نفسه طالب بعض الألمان بدوقيتي شلزفيك وهولشتاين[3] التابعتين للدنمارك بالانضمام إلى بروسيا [4] ، وخشي بالمرستون من أن تخرج تلك الأحداث عن نطاقها ، وأكدت تعليماته إلى ممثله في بروسيا في الخامس والعشرين من آذار 1848 على تحفظه عن مشروع الوحدة الألمانية ، حيث لم يحظ الأحرار الألمان بتأييد بالمرستون ، كما انه في الوقت نفسه لايرغب في إضعاف النمسا كثيرا بحيث تستفيد فرنسا من ذلك لتحل محلها في شمال ايطاليا ، الأمر الذي يؤدي إلى إضعاف مركز النمسا في الدانوب والبلقان بوجه روسيا [5] .

كان من بين عدم استقرار الأوضاع في الدوقيتين هو أن هولشتاين كانت قوميتها المانية وهي عضو في الدايت الالماني منذ مؤتمر فينا ، أما شلزفيك فقد كان العنصر الألماني سائدا في الجنوب أما في الشمال فقد ساد العنصر الدنماركي [6] ، وأثناء اندلاع ثورات 1848 اندلعت ثورة في الدوقيتين ، وفي الرابع والعشرين من آذار قطعت الدوقيتان علاقتهما مع الدنمارك واستنجدتا بالدايت الألماني الذي تتزعمه بروسيا ، فعبرت قوات بروسية في العاشر من نيسان حدود الدوقيتين ، وفي نهاية الشهر طردوا الدنماركيين منها [7] .

أدت تلك الأحداث الى بروز دور بالمرستون في القضية ، وهدد بروسيا بحرب من جانب فرنسا وروسيا في حالة استمرارها باحتلال الدوقيتين ، وحاول إقناع ملك بروسيا

---

(1) Harold,Temperley,Op.Cit,pp.266-267.

(2) مهدي صالح هادي الجبوري ، المصدر السابق، ص178.

(3) انظر الملحق رقم (4) .

(4) Weber,Frank G.,Op.Cit,pp.125-126.

(5) خضر خضر ، المصدر السابق ، ص186.

(6) Bidwell,W.H.,Op.Cit,p.131.

(7) تايلور،المصدر االسابق، ص 39.

فردريك وليم الرابع بأن أي مسألة أوربية داخلية ستتأثر بها مصالح الدول الأوربية الأخرى تأثرا حيويا أكثر من تأثر المصالح البريطانية [1] ، وسرعان ماندم ملك بروسيا على تسرعه ، ففي حزيران 1848 أصبح الوضع ليس لمصلحة بروسيا في أوربا ، فالنمسا والدويلات الألمانية في الوسط والجنوب كانت تخشى من تعاظم قوة بروسيا ولم تؤيد احتلالها للدوقيتين ، كما عبرت بريطانيا وروسيا عن معارضتهما لاحتلال الدوقيتين وكان بالمرستون يعد الدوقيتين بمثابة مفتاح لبحر البلطيق ، وكان مهتما بالحفاظ على الدنمارك كدولة مستقلة لتقوم بدور الحارس لمدخل بحر البلطيق [2] .

رأى بالمرستون أن من مصلحة بريطانيا أن تتجنب انهيار الدنمارك من جهة ونمو القوة البحرية لروسيا في بحر البلطيق من جهة أخرى [3] ، ومع ذلك فلم يفكر بالمرستون بالذهاب أبعد من ممارسة الضغط الدبلوماسي ، كما إن القيصر الروسي أعلن استعداده لدعم الدنمارك ، وهدد بقطع علاقاته الدبلوماسية مع بروسيا ، لذلك أضطر ملك بروسيا إلى الانسحاب من الدوقيتين في ايار 1849 [4] ، وفي السادس والعشرين من آب وقعت بروسيا والدنمارك على هدنة مالمو Malmo في السويد ووضعت الدوقيتين بموجبه تحت إدارة بروسية ودنماركية مشتركة [5] .

تولى بالمرستون دور الوساطة بين الدنمارك وبروسيا ، واقترح على الطرفين وجوب اكتساب هولشتاين للأجزاء الناطقة بالألمانية في شلزفيك مع احتفاظها بمكانتها الأصلية ضمن الكونفدرالية الألمانية ، أما البقية فتدمج مع الدنمارك ، إلا أن آراء بالمرستون لم تلق استحسان أي طرف [6] ، ومع إصرار ملك بروسيا على ضم الدوقيتين تجددت الحرب بين بروسيا والدنمارك مرة أخرى آواخر عام 1849 ، وأرسلت روسيا أسطولها الحربي إلى المياه الدنماركية ، ولم يكن بالمرستون راغبا في رؤية روسيا تقوم بدور الحماية على الدنمارك [7] ، وأصبحت وحدة الدنمارك وسيادتها أمراً حيويا للمصالح البريطانية خاصة والمصالح الأوربية عامة ، وحذر بالمرستون بروسيا بأن بلاده ستقف

---

[1] Weber,Frank G.,Op.Cit,pp.130.

[2] مهدي صالح هادي الجبوري ، المصدر السابق، ص186.

[3] Guedalla,Philip,Op.Cit,p.272.

[4] Bidwell,W.H.,Op.Cit,p.129.

[5] مهدي صالح هادي الجبوري ، المصدر السابق، ص188.

[6] حيدر صبري شاكر الخيقاني ،الملكة فكتوريا ، ص 101.

[7] Craig,Gordon A.,Op.Cit,p.164.

على الحياد إذا قامت فرنسا وروسيا بالهجوم على بروسيا ، وفي الثاني من تموز 1850 اقترحت بريطانيا وفرنسا وروسيا بروتوكولاً نص على الاعتراف بالحكم الدنماركي المتوارث في الدوقيتين [1] .

وقع البروتوكول الذي نص على الاعتراف بالحكم الدنماركي الوراثي في الدوقيتين من لدن الدول الكبرى دون بروسيا ، وفي أيلول وقعت عليه الدنمارك [2] ، ولم تتفق الملكة فكتوريا مع سياسة بالمرستون إزاء قضية الدوقيتين ، وعارضت توقيع البروتوكول من دون موافقة بروسيا [3] ، إلا أن بالمرستون وضح موقفه في رسالة بعثها إلى رئيس الوزراء جون رسل في الثالث والعشرين من أيلول 1850 ومما جاء فيها : " **لايوجد شيء يعرف بشلزفيك-هولشتاين ، وانما دوقية شلزفيك ودوقية هولشتاين منفصلتين في أصولهما التاريخية فالأولى عضو في الاتحاد الألماني والثانية لا ، والأولى ألمانية تماما فيما يتعلق بسكانها في حين ان الأخرى دنماركية بالدرجة الأساس ، والأولى ضمنتها الحقوق الملكية للتاج الدنماركي والثانية لا ... فيما يتعلق بالتمرد نحن ننصح ملك الدنمارك بالرجوع الى الاتحاد الكونفدرالي ...لاخماد ذلك التمرد وليعيد تثبيت سلطته في هولشتاين ... ان هذا التمرد ليس له ما يبرره من أسباب** " [4] .

كما بين بالمرستون أيضا أن تمرد الألمان في الدوقيتين ضد الدنمارك وتدخل بروسيا فيها يعد خرقا للمعاهدات التي عقدت سابقا بين بروسيا والدنمارك ، وأدت تلك السياسة إلى إثارة البلاط الملكي البريطاني على بالمرستون بسبب هذه القضية [5] . وفي عام 1852 تمت تسوية قضية الدوقيتين بتوقيع معاهدة لندن التي أكدت على استقلالية الدوقيتين وعدم انضمامهما إلى بروسيا والدنمارك مع حق ملك الدنمارك بالإشراف عليهما ، واستمر الحال كذلك إلى أن أثيرت الأزمة من جديد عندما أصبح بالمرستون رئيسا للوزراء للمرة الثانية [6].

---

[1] مهدي صالح هادي الجبوري ، المصدر السابق، ص208.

[2] Bidwell,W.H.,Op.Cit,p.132.

[3] The Letters of Queen Victoria(1837-1861),Vol.II,p.585.

[4] حيدر صبري شاكر الخيقاني ،الملكة فكتوريا ، ص 101.

[5] حيدر صبري شاكر الخيقاني ،اللورد بالمرستون ، ص 270.

[6] Weech,W.N.,Op.Cit,p.

7- سياسة بالمرستون تجاه اليونان حول قضية دون باسفيكو 1850

أظهر بالمرستون حرصا كبيرا على حفظ حقوق المواطن البريطاني من أي اعتداء سواء كان في داخل البلاد أو خارجها بغض النظر عن دينه ومعتقده ، وفي عام 1850 برزت قضية أحد المواطنين البريطانيين المدعو دون باسفيكو **Don Pacifico** (1774–1854) وهو يهودي من أصل برتغالي [1] ، حيث ولد في جبل طارق وعدّ مواطنا بريطانيا ، وكان باسفيكو يعمل في العاصمة اليونانية أثينا ، وحدث خلاف بينه وبين الحكومة اليونانية ، مماجعل بعض الأشخاص الذين لايحبون اليهود مهاجمة منزله ونهبه [2] ، وعندما طالب بتعويض رفضت الحكومة اليونانية طلبه ، فطلب باسفيكو مساعدة الحكومة البريطانية ، وتدخل بالمرستون في الموضوع لكون باسفيكو مواطنا بريطانيا [3].

رفضت الحكومة اليونانية تعويض باسفيكو بالرغم من تدخل الحكومة البريطانية ، فأصدر بالمرستون اوامره الى قائد الأسطول البريطاني في البحر المتوسط الادميرال وليم باركر Admeral William Parker (1781–1866) في كانون الثاني 1850 بحجز وإيقاف السفن اليونانية ، كما فرض الأسطول البريطاني حصارا بحريا على موانيء اليونان لإجبارها على الاستجابة لطلب باسفيكو [4].

أفسد بالمرستون بتصرفه الانفعالي العلاقات البريطانية–الفرنسية وكاد أن يضع محلها تحالفا روسيا– فرنسيا ، ولجأت اليونان إلى فرنسا وروسيا وهما من الدول التي ضمنت استقلال اليونان بموجب معاهدة لندن 1832 ، وقدم القيصر الروسي احتجاجه الشديد على تصرف بالمرستون [5] ، كما احتجت الحكومة الفرنسية أيضا ، وتعرض بالمرستون لانتقادات شديدة من لدن زملائه في مجلس العموم ، فضلا عن انتقاد الملكة فكتوريا لاستخدامه القوة ضد اليونان دون استشارة الدول المعنية الأخرى [6] .

وفي السادس والعشرين من نيسان 1850 قام بالمرستون بمشاورات مع الحكومة الفرنسية ، اتفق فيها الطرفان على أن تقوم الحكومة اليونانية بتعويض باسفيكو وأيد

---

(1) **حيدر صبري شاكر الخيقاني ،اللورد بالمرستون ، ص 269.**

(2) **Thompson,J.M.,Op.Cit,p.104.**

(3) **Holland,Rose J.,(and Others),Op.Cit,p.551.**

(4) **Schultz,Harold J.,Op.Cit,p.240.**

(5) **Thomson,David,England in The nineteenth century,pp.154-155.**

(6) **Halevy,Elie,Op.Cit,p.305.**

القيصر الروسي تلك الخطوة [1] . وكان على بالمرستون أن يبرر تصرفه أمام الملكة فكتوريا وزملائه في مجلس العموم ، فألقى في جلسة مجلس العموم المنعقدة في السادس والعشرين من حزيران خطابا طويلا ومنمقا ، دافع فيه عن سياسته الخارجية بقوله : " **ان الروماني في الأيام الخوالي يعد نفسه متحررا ومخلصا لنفسه من الإهانة عندما يقول أنا مواطن روماني . كذلك سيشعر الرعايا البريطانيين في أية ارض يكونون عليها بالثقة من العين الحارسة لهم والذراع القوية لبريطانيا التي ستحميهم من الظلم والباطل** " [2] .

أثار بالمرستون بخطابه الذي استمر به حوالي أربع ساعات إعجاب معظم الحضور ، وعندما جلس بالمرستون شهدت قاعة المجلس تصفيقا حارا تحية له [3] ، وحتى أن الأمير البرت Prince Albert[4] (1819-1861 /1840-1861) زوج الملكة فكتوريا قال بعد سماعه الخطاب بأنه " **قطعة نثرية رائعة** " ، كما إن خصم بالمرستون السياسي روبرت بيل كتب قائلا : " **لقد جعلنا بالمرستون نفتخر به** " ، وكان ذلك الخطاب بمثابة انتصار شخصي كبير لبالمرستون رسخ من مكانته في نفوس أنصاره وخصومه على السواء [5] .

8- موقف بالمرستون من انقلاب لويس نابليون في فرنسا 1851

نجح لويس نابليون في القيام بانقلاب على الجمهورية الفرنسية الثانية في الثاني من كانون الأول 1851 ، وأصدر بيانا أعلن فيه قيام دكتاتورية مؤقتة ، وحل الجمعية الوطنية وقام باعتقال معارضيه ونفيهم إلى الخارج وقمع المقاومة التي واجهته ، وفي الشهر نفسه أقنع لويس نابليون الفرنسيين بانتخابه رئيسا لمدة عشر سنوات [6] ، وفي تلك الأثناء انشغلت أوربا بالأحداث الجارية في فرنسا وكان لويس نابليون منهمكا

---

[1] تايلور، المصدر السابق ، ص 63.

[2] Quoted in : Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,pp.136-137.

[3] Laski,Harold J.,Parliamentary Government in England ,London,1945,p.73.

[4] هو فرنسيس البرت اوغسطس شارل عمانويل Francis Albert Augustus Charles Emmanuel - ن ساكس كوبرغ غوثا ولد في 26 اب 1819 ، هو زوج الملكة فكتوريا منها بثلاثة اشـ ـهر ولـ ـه اخ واحـ ـد يكبـ ـره في السن وهو الامير ارنست ، والامير البرت ابن اخ الملك ليوبولـ ـد ملـ ـك بلجيكـ ـا خـ ـال الملكة فكتوريـ ـة تـ ـزوج البـ ـرت الملكة في العاشر من شباط 1840 وكان لهما تسعة ابناء خمـ ـس بنـ ـات واربعـ ـة اولاد ، لـ ـم يكـ ـن البـ ـرت على علاقة طيبة مع معظم الوزراء البريطانيين ولاسيما بالمرستون ، توفى البرت عام 1861 ، للمزيد من التفاصيل ينظر : The New Encyclopedia Britannica,Vol.1,p.214.

[5] Cecil,Woodham Smith,Op.Cit,pp.302-303.

[6] Thomson,David,Europe since Napoleon,(n.d.),p.202.

بتنصيب نفسه إمبراطورا على فرنسا باسم الإمبراطور نابليون الثالث ، وأصبح موقف الرأي العام البريطاني ضد الإجراءات التي اتخذها الرئيس الفرنسي لتعزيز سيطرته على السلطة [1] .

قرر رئيس الوزراء البريطاني جون رسل بالاتفاق مع الملكة فكتوريا تعليق الاعتراف بالنظام الجديد في فرنسا ، إلا أن بالمرستون تجاهل هذا القرار [2] ، وفي اليوم التالي للانقلاب زار المبعوث الفرنسي الكونت ويلوسكي Cont Walewsky [3] (1810-1868) بالمرستون في وزارة الخارجية لإبلاغه ما حصل في باريس ، وفي سياق الحديث صرح بالمرستون بأنه لايوجد بديل عن لويس نابليون سوى الفوضى ، وان بريطانيا كما هي حال كل أوربا مهتمة مباشرة بإقامة نظام مستقر في فرنسا ، وان كل من يمتلك عقلا سليما يجب ان يتمنى النجاح للرئيس [4] .

أيد بالمرستون انقلاب لويس نابليون دون استشارة رئيس الوزراء جون رسل أو الملكة فكتوريا [5]، وعند اجتماع الحكومة البريطانية في اليوم التالي للانقلاب لتحديد موقفها من النظام الجديد ، لم يشر بالمرستون إلى ما جرى بينه وبين ويلوسكي ، كما لم يلمح إلى ذلك عندما كتب إلى سفير بلاده في باريس اللورد نورمانبي ليوصل قرار الحكومة الذي أصدرته في الخامس من كانون الأول ، والذي مفاده ، إن حكومة جلالتها ترغب في الامتناع عن أي تدخل في الشؤون الداخلية الفرنسية [6] . وعندما علمت الملكة وجون رسل أن بالمرستون قد التقى ويلوسكي وعبر له عن استحسانه ودعمه لما قام به لويس نابليون غضبوا من ذلك [7] ، وتوترت العلاقات بين بالمرستون من جهة وجون رسل والملكة من جهة أخرى بسبب انتهاج بالمرستون سياسة مستقلة عن البلاط والحكومة [8] .

---

(1) Lane,Peter,Op.Cit,p.166.

(2) Halevy,Elie,Op.Cit,p.320.

(3) سياسي فرنسي ، هو ابن نابليون بونابرت من عشيقته الكونتيسة البولندية ماري ويلوسكي ، عندما بلـ ـغ الرابع ـ ـة عشر رفض الدخول في الجيش الروسي وهرب الى لنـ ـدن وانتهى بـ ـاريس عـ ـام 1830 لـ ـويس فيليـ ـب الـ ـى بولندا ، وعمل مندوبا للبولنديين في لندن ، وبعد سقوط وارشو سافر الى فرنسا وتجنس هنـ ـاك ودخـ ـل الجـ ـيش وخـ ـدم فـي الجزائر عام 1837 مبعوثـ ـا فـ ـي خدمـ ـة الحكومـ ـة الفرنسـ ـية فـ ـي العديـ ـد مـ ـن المهمـ ـات فـ ـي الارجنتين ومصر وايطاليا ولندن ، وأصبح وزير خارجية فرنسا في المدة ايار1855-كانون الثاني 1860، للمزيد من التفاصيل ينظر : The New Encyclopedia Britannica,Vol.12,p.426.

(4) حيدر صبري شاكر الخيقاني ،الملكة فكتوريا ، ص 108.

(5) Schultz,Harold J.,Op.Cit,p.240;Thomson , David , England in The nineteenth century,(n.d.),p.155

(6) May,Thomas Erskine,Op.Cit,p.137.

(7) Halevy,Elie,Op.Cit,p.320.

(8) Laski,Harold J.,Op.Cit,p.229.

ثانيا : خلاف بالمرستون مع البلاط الملكي حول السياسة الخارجية 1846-1851

حرصت الملكة فكتوريا بعد توليها عرش بريطانيا عام 1837 على إشرافها على سياسة بريطانيا الداخلية والخارجية [1] ، وفي بداية عهدها توثقت علاقتها كثيرا مع بالمرستون ، لاسيما بعد زواج بالمرستون من الليدي كاوبير الذي توفي عام 1837، وشقيقة رئيس الوزراء البريطاني ملبورن (1835-1841) والذي كان مقربا جدا من الملكة فكتوريا [2]، وتم الزواج في السادس عشر من كانون الأول 1839 ، ومن الجدير بالذكر ان بالمرستون بلغ من العمر عند زواجه الخامسة والخمسين ، في حين ان زوجته كانت بعمر الثانية والخمسين ، وكان لها دور كبير في دعم زوجها لكونها ذات شخصية قوية ومؤثرة في المجتمع البريطاني ، وبعد زواجهما قضى بالمرستون شهر العسل في منزل العائلة في برودلاندز [3] .

كان ليوبولد ملك بلجيكا خال الملكة فكتوريا يشجعها على الاستفادة من خبرة وزيرها بالمرستون ، وقد علم بالمرستون الملكة بعض القضايا الرسمية مثل كيفية الكتابة لحكام الدول الأخرى والأعراف الواجب إتباعها في الاستقبال الرسمي وغيرها ، كما جلب لها كتاباً يحتوي على العديد من الخرائط لمساعدتها على معرفة مواقع الدول كما اطلع الملكة على تاريخ العلاقات الخارجية مبينا لها تأثيرها على المصالح البريطانية [4] .

شهدت وزارة جون رسل (1846-1852) تأزم العلاقة بين الملكة فكتوريا وبالمرستون [5] ، وكانت الملكة وزوجها الأمير ألبرت يأخذان على بالمرستون عدم حرصه على اخذ موافقة الملكة في العديد من القضايا التي تتطلب موافقتها عليها ، وكان زوج الملكة يشعر بأن على الملكة تأدية دور نشط في علاقات بلادها الخارجية ، في حين أن وزير خارجيتها بالمرستون كان يتعامل مع المراسلات مع الدول الأجنبية بشكل يتجاوز صلاحياته [6] ، وفي كثير من الأحيان لم يكن بالمرستون يأخذ رأي الملكة فكتوريا في قضايا تمس سياسة بريطانيا الخارجية ، اشتكت الملكة وبتأييد من الأمير

(1) Newth,A.M.,Op.Cit,p.72.
(2) Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,p.80.
(3) Guedalla,Philip,Op.Cit,p.188.
(4) Cecil,Woodham Smith,Op.Cit,p.154.
(5) Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,p.138.
(6) Strachey,Lytton,Op.Cit,p.143.

البرت إلى رئيس الوزراء جون رسل ، إلا أن بالمرستون لم يكن مهتما كثيرا بمطاليب الملكة لرئيس الوزراء وعندما ابلغ ذلك أعطى أعذاراً واهية واستمر بالمرستون على ذلك النهج معتقدا انه يمارس صلاحياته وواجباته [1] .

أثارت استقلالية بالمرستون في أدارة شؤون وزارته غضب كل من جون رسل والملكة فكتوريا بالرغم من وطنيته وإخلاصه ، واعتقد بالمرستون من جهته إن الشعبية الواسعة التي حصل عليها في أوساط الرأي العام البريطاني ستوفر له الحماية وتؤمن له الاستمرار على نهجه الاستقلالي في وزارة الخارجية [2] .

كان بالمرستون خلال تلك السنوات من أكثر السياسيين البريطانيين بروزا في مجال السياسة الخارجية ، وحصل على شعبية كبيرة ضمنت له مقعدا دائما في مجلس العموم طيلة حياته السياسية ، وأطلقت عليه الجماهير البريطانية لقب بام Pam اختصارا لاسم بالمرستون ، وذلك لجرأته ولمواقفه السياسية الشجاعة والحاسمة [3] ، أما بالنسبة للملكة فكتوريا فعدّت السياسة الخارجية شأنا من شؤون العائلة المالكة ، لكون هذه العائلة ارتبطت بعلاقات مصاهرة وصداقة مع كثير من الدول الأوربية [4] ، إلا أن بالمرستون تجاهل هذا الأمر وأرسل بعض خطاباته الرسمية ومراسلاته إلى الخارج دون عرضها على الملكة أولا ، وعندما أبدت الملكة شكواها من ذلك أظهر بالمرستون إسرافا في الاعتذار ، وأكد لها أن ذلك لن يحدث ثانية ، ولكنه حدث ولم تفعل الملكة شيئا بل انتظرت الفرصة المناسبة لإقالة بالمرستون دون حدوث تذمر من لدن الرأي العام البريطاني المؤيد له [5].

عبرت الملكة فكتوريا عن امتعاضها من سياسة بالمرستون الخارجية لأنها وجدت فيه وزيرا غير راغب في إتباع توجيهاتها ويتصرف طبقا لطريقته المستقلة في إدارة الشؤون الخارجية ، وكانت تخبر رئيس الوزراء وأحيانا بالمرستون شخصيا عن اعتراضها على ذلك [6] ، اما الفكرة العامة عن تلك الشكوى فقد كانت حول المسار المستقل الذي اتبعه في نقل التقارير السرية ومراسلات وزارة الخارجية دون تسليمها في مسودة للملكة

---

[1] حيدر صبري شاكر الخيقاني ،الملكة فكتوريا ، ص 94.

[2] **Schultz,Harold J.,Op.Cit,p.239.**

[3] **Cecil,Algernon,Queen Victoria and her pirme Minsters,London,1953,p.176.**

[4] **Bidwell,W.H.,Op.Cit,p.132.**

[5] **Strachey,Lytton,Op.Cit,p.143; Newth,A.M.,Op.Cit,p.72.**

[6] حيدر صبري شاكر الخيقاني ،الملكة فكتوريا ، ص 102.

لغرض الإطلاع عليها [1] ، أو تسليم مسودات عنها بعد إرسالها للخارج لكي لاتستطيع إبداء أية ملاحظات عليها ، والأسوأ من ذلك التغيرات التي كانت تجريها الملكة على بعض الرسائل لم يكن بالمرستون يأخذ بها في النسخة النهائية التي ترسل إلى الخارج [2].

أثارت معالجة بالمرستون لقضية الزواج الاسباني الخلاف بينه وبين الملكة ، لكون أن هذا الزواج تم على غير رغبة ومشيئة الملكة فكتوريا ، وعدت ما حصل نتيجة لسياسة بالمرستون ، وعبرت الملكة عن استيائها من قضية الزواج الاسباني بوضوح في رسالتها الى خالها ليوبولد في الرابع عشر من أيلول 1846 اذ قالت فيها : " **أساء بالمرستون في إدارته لسياسة بلادنا الخارجية تجاه اسبانيا ولو كان العزيز أبردين في وزارة الخارجية ماكان قد حدث كل هذا الشيء** " [3] .

تجددت الخلافات بين بالمرستون والملكة بعد اندلاع ثورات عام 1848 في أوربا ، وكرهت الملكة وجود نظام جمهوري في فرنسا بعد ثورة 1848 ، وكانت لاتعرف بدقة آراء بالمرستون الحقيقية تجاه هذا الموضوع [4] ، وخشيت الملكة أن يؤيد بالمرستون الثوار الفرنسيين الذين أطاحوا بحكم الملك الفرنسي لويس فيليب [5] . وفي حزيران 1848 شعرت زوجة بالمرستون بالحد الذي وصل إليه غضب الملكة فحذرته من عواقب الأمر ، وقالت له : " **إنني متأكدة من ان الملكة غاضبة منك ، وأخشى ان تستمر في معارضة تعليماتها بشكل جريء جدا ... إن كل ماتقوله يثبت لها انك مصمم على التعامل بشكل لاترغب به الملكة ، إنني غالبا اعتقد أن هناك الكثير من طرق المغامرة التي تعتمدها في أساليبك ... انك يجب أن لاتدخل في جدال معها ، ولكن دعها تعتقد انك وهي لديكما نفس الآراء في الواقع ونفس الرغبات ، ولكن هناك اختلاف في طرق تنفيذها ...**" . إلا أن بالمرستون لم يصغ لكلام زوجته وقلل من أهمية خلافه مع البلاط الملكي [6] .

---

(1) Newth,A.M.,Op.Cit,p.73.
(2) Strachey,Lytton,Op.Cit,pp.143-144.
(3)The Letters of Queen Victoria(1837-1861),Vol.II,p.244.
(4) حيدر صبري شاكر الخيقاني ،الملكة فكتوريا ، ص 97.
(5) Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,p.423.
(6) Quoted in : Guedalla,Philip,Op.Cit,p.249.

وجدت الملكة في سياسة بالمرستون تجاه الثورة في فرنسا مجرد خطة لتهديد النمسا بتدخل فرنسي [1] ، وقد كتبت الملكة إلى جون رسل في الخامس والعشرين من تموز 1848 قائلة : " **إن الملكة يجب أن تخبر جون رسل ما كررته مرارا على اللورد بالمرستون ، ولكن دون فائدة ، إن إقامة تفاهم ودي مع الجمهوريين الفرنسيين لغرض إخراج النمساويين من مناطق نفوذهم في ايطاليا ، سيكون عارا على هذه البلاد [بريطانيا]** " ، إلا أن بالمرستون لم يهتم كثيرا بما قالته الملكة بشأنه [2] .

وفي التاسع عشر من أيلول 1848 ، اقترحت الملكة تغيير بالمرستون واستبداله بكلارندون Clarndon [3] (1800–1870) ، واعتقدت أن وجوده ليس في مصلحة البلاد[4] ، لكن جون رسل كان له رأي آخر في هذا الموضوع ، إذ رأى انه إذا كان بالمرستون قد ارتكب أخطاء فأن له محاسنه وفضائله الكثيرة أيضا ، وان تنفيذ اقتراح الملكة سوف يدفع بالمرستون إلى صف المعارضة مما يجعله أخطر على الحكومة ، وكما أن بالمرستون كان ذا تأثير كبير على جون رسل ، لذلك لم يجرؤ جون رسل على تغيير بالمرستون ، كما انه لم يستطيع إهمال شكوى الملكة [5] .

اعترضت الملكة فكتوريا أيضا على سياسة بالمرستون المؤيدة للثوار الايطاليين المطالبين بخروج القوات النمساوية من لمبارديا والبندقية في شمال ايطاليا [6] ، ورأت ضرورة بقاء الوضع في ايطاليا على ماهو عليه ، وفي السابع من تشرين الأول 1848 أرسلت الملكة رسالة إلى جون رسل ، عبرت فيها عن عدم ارتياحها لموقف بالمرستون من القضية الايطالية ، إذ قالت : " **ان سياسة بالمرستون المتحيزة في ايطاليا تفوق حقا كل تصور ، وتجعل الملكة مضطربة لسمعة وكرامة بريطانيا العظمى ، كما إن هذه السياسة تعرض السلام في أوربا للخطر** " [7] .

---

(1) Lane,Peter,Op.Cit,p.168.

(2) The Letters of Queen Victoria(1837-1861),Vol.II,p.234.

(3) جـ ـورج ولـ ـيم فردريـ ـك كلارنـ ـدون George William Frederick Clarendon : رجـ ـل دولـ ـة بريطاني عمل في بداية حياته السياسية في السلك الدبلوماسي وفي عام 1833 أصبح سفير بلاده في اسـ ـبانيا ، وفـ ـي عام 1838 عاد ، وشغل منصب نائب الملكة في ايرلنـ ـدا فـ ـي المـ ـدة ايـ ـار 1847-اذار 1852 تـ ـولى وزارة الخارجية في المدة شباط1853-شباط1858، ومن ثم تشرين الثاني1865-تموز1866 وايضـ ـا فـ ـي المدة كانون الاول 1868-تموز1870 ، للمزيد من التفاصيل ينظر :

The New Encyclopedia Britannica,Vol.3,p.348.

(4) Strachey,Lytton,Op.Cit,p.145.

(5) Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.1,p.440.

(6) Brown,David,Op.Cit,p.68.

(7) The Letters of Queen Victoria(1837-1861),Vol.II,p.458.

ومن الجدير بالذكر أن جون رسل كان في موقف لايحسد عليه فقد ارتبط مع بالمرستون بعلاقات وطيدة ، فقد عملا معا منذ وزارة كاننغ ، لذلك فأن من الصعب على جون رسل أن يتخلى عن زميله بالمرستون رغم ان تصرفاته أزعجت جون رسل ، وفي المقابل كانت الملكة فكتوريا ذات الشخصية القوية والمدعومة من لدن زوجها الأمير البرت تطالب جون رسل باستمرار بالضغط على بالمرستون لكي لايدير وزارته باستقلالية ، ولذلك اضطر جون رسل لإتباع سياسة الحلول الوسط وإظهار تعاطف مع آراء الملكة فكتوريا ، وتردد في إقالة وزير خارجيته لما كان يتمتع به من شعبية كبيرة ، وخشي جون رسل أن تنهار الحكومة بعد إقالة بالمرستون منها .

استمر خلاف بالمرستون مع الملكة فكتوريا ، ولكن هذه المرة حول سياسة بالمرستون إزاء صراع بروسيا والدنمارك حول دوقيتي شلزفيك وهولشتاين [1] ، إذ عارضت الملكة أي مقترح ضد مصالح الألمان في بروسيا او في الدوقيتين ، كما إنها انتقدت سياسة بالمرستون المؤيدة للدنمارك في هذه القضية [2] ، وفي الثاني والعشرين من حزيران 1850 بعثت الملكة رسالة إلى بالمرستون ، أوضحت فيها موقفها من القضية ، وقالت فيها : " **بما ان هولشتاين تعود الى الاتحاد الألماني ومرتبطة شكليا مع ملك الدنمارك من خلال ملكه فأن البروتوكول الذي يضمن سيادة الدنمارك على هولشتاين يعد هجوما مباشرا على المانيا ، إذا ما نفذ من دون اعترافها وموافقتها ، وهو عمل منفر لكل مشاعر العدالة والأخلاق ، لان هذا سيؤدي إلى الاستخفاف بممتلكات الآخرين** " [3] .

أثار بالمرستون غضب الملكة فكتوريا من جديد ، نتيجة لسياسته تجاه قضية دون باسفيكو ، وعدت الملكة أن تلك السياسة قد تؤدي إلى الإضرار بعلاقات بريطانيا مع حلفائها الأوربيين [4] ، ورد بالمرستون على اعتراض الملكة ، بأن ألقى خطابا طويلا في مجلس العموم في السادس والعشرين من حزيران 1850 ، دافع فيه عن سياسته تجاه قضية دون باسفيكو ، ورسخ خطاب بالمرستون مكانته في نفوس أنصاره ، وحقق

---

(1) Cecil,Algernon,Op.Cit,p.182.
(2) Strachey,Lytton,Op.Cit,p.149.
(3) The Letters of Queen Victoria(1837-1861),Vol.II,p.585.
(4) Traill,H.D.,&Mann,J.S.,Op.Cit,p.346; Strachey,Lytton,Op.Cit,p.147.

بالمرستون انتصارا على البلاط في تلك القضية واضطرت الملكة إلى التريث باتخاذ أي إجراء بحقه على مضض [1] .

وفي الثاني عشر من آب 1850 أصدرت الملكة فكتوريا مذكرة حول بالمرستون طالبته فيها بتوضيح موقفه ، بعد أن أجرى تعديلا على قرار ملكي صادر عنها دون الرجوع إليها [2] ، وعدت الملكة ذلك الأمر تناقضا مع الولاء والإخلاص الذي ينبغي على أي وزير بريطاني الالتزام به ، وأشارت الملكة في تلك المذكرة انه كان من المفروض على الوزير بالمرستون أن يبلغ الملكة بما يجري بينه وبين وزراء الدول الأخرى وأن يقدم الرسائل القادمة في موعدها الصحيح ، وأن يطلع الملكة على جميع الرسائل التي تخرج من وزارة الخارجية للحصول على موافقتها دون تأخير [3] .

أوضحت الملكة إنها اتخذت هذا الإجراء " **من أجل أن تعرف الملكة بوضوح عن أي شيء تعطي موافقتها الملكية** " [4] ، ومنعت المذكرة بالمرستون من إجراء أي تعديل أو تغيير عشوائي على الرسائل والمذكرات بعد صدور موافقة الملكة عليها خوفا من أن تكون هذه الرسائل ذات لهجة سياسية عدائية ، ولعل الملكة حاولت بذلك منعه من اتخاذ المسار المستقل في إدارة السياسة الخارجية من دون علمها [5].

وفي الثالث عشر من آب 1850 ، رد بالمرستون على مذكرة الملكة ، إذ كتب رسالة إلى رئيس الوزراء جون رسل ، قال فيها : " **عزيزي رسل ، تلقيت نسخة من مذكرة الملكة ، ولن أفشل في الالتزام بمضمونها ، فيما يتعلق بإرسال الرسائل إلى الملكة ، فهنالك مماطلة أكثر مما يجب في إرسال الرسائل إليها ، وبالنتيجة حصل ذلك التأخير ، وسأعطي الأوامر بعمل نسخ من الرسائل المهمة جدا حالما تصل إلى الوزارة ، وسوف لن أتأخر بإرسالها إلى الملكة** "[6] . وأضاف بالمرستون في رسالته أن زخم عمل وزارة الخارجية يتطلب الرد على الرسائل بسرعة دون تأخير بحيث لايسمح الوقت بإرسالها إلى الملكة لاسيما وان هناك حوالي ثمانية وعشرين ألف رسالة تصل إلى وزارة الخارجية سنويا ، فلو أن كل رسالة كان يجب أن تقرأ وتعاين من لدن الملكة فأن

---

[1] Halevy,Elie,Op.Cit,p.305.
[2] Marriott,John A.R.,English political Institutions,Oxford,1938,p.92.
[3] Marriott,John A.R.,Op,Cit,p.93.
[4] Strachey,Lytton,Op.Cit,p.145.
[5] Halevy,Elie,Op.Cit,p.306.
[6] The Letters of Queen Victoria(1837-1861),Vol.II,p.585.

ذلك سيؤدي إلى تأخير عمل وزارة الخارجية ، وأن تدقيق الأمير البرت الطويل للرسائل سيؤخر إرسالها وسيربك عمل الوزارة [1] .

كان من المتوقع أن يستقيل بالمرستون بعد أن علم بمذكرة الملكة إلا انه لم يفعل ذلك ، وعندما سأله بعض المقربين عن عدم استقالته ، بين لهم " **ان ذلك سيؤدي إلى لفت انتباه الرأي العام حول وجود خلاف شخصي بيني وبين ملكتي ، وهذه خطوة يجب أن لايقوم بها أي من أفراد الرعية إذا كان بإمكانه تجنبها لان نتيجة مثل هذه الخطوة ستكون قاصمة له ومضره بالبلاد ، وإذا ثبت بأنه مخطيء فانه سوف يدان لامحالة وإذا ثبت خطأ الحاكم فان الملكة ستعاني** " [2] . ومن الجدير بالذكر أن بالمرستون لم يكن شخصا عدائيا تجاه الملكة ويضمر حقدا عليها ، وإنما اعتقد انه يمارس صلاحياته الطبيعية بما يخدم مصلحة البلاد ، ولذلك استمر في النهج الاستقلالي نفسه في إدارة وزارته .

أكد بالمرستون انه سيلتزم بما ورد في مذكرة الملكة ، وفي الخامس عشر من آب 1850 قابل بالمرستون الأمير البرت ، وأبدى اعتذاره الشديد وظهرت على وجهه علامات التوتر والقلق [3] . ولم تلبث أن توترت العلاقة من جديد بين بالمرستون والبلاط الملكي ، وذلك عندما زار المارشال النمساوي هيناو Haynau [4] (1786-1853) بريطانيا في الخامس من أيلول 1850 ، وكان هذا الجنرال ذا سمعة سيئة بسبب قمعه للثوار الايطاليين والهنكاريين [5] ، وأثناء سيره في لندن تعرض له عدد من العمال البريطانيين والعمال الأجانب ممن كانوا يعرفونه وهاجموه واعتدوا عليه ، واستطاعت الشرطة إنقاذه بصعوبة [6] . وبعد الحادثة كتب بالمرستون مذكرة إلى السفير النمساوي في لندن كولر Koller عبر فيها عن اعتذاره للنمسا ، إلا انه ذكر فيها انه يرى عدم

---

(1) **Strachey,Lytton,Op.Cit,p.144.**

(2) **مقتبس من : حيدر صبري شاكر الخيقاني ،الملكة فكتوريا ، ص 104.**

(3) **Halevy,Elie,Op.Cit,p.307.**

(4) **عسـ . كري نمسـ . ـاوي ، وهـ . ـو الابـ . ـغير . ـرشالـ لرعيوق هـ . ـسكاسـ . ـل Hesse-Kassel . ـع ، دخـ . ـل الجـ . ـيش النمساوي منذ عام 1801برتبة ضابط مشاة ، شارك في الكثير من المعارك في الحروب النابليونية ومن ثم ترقى إلى رتبة أعلى ، كان عصبي المزاج ومعارضاً للمبادئ التحررية ، اشتهر بقسوته ولاسيما في مواجهة الحركات الثورية 1848، ولقب بالضبع نتيجة لممارساته القاسية ضد الثوار في كل من ايطاليا وهنكاريا ، للمزيد من التفاصيل ينظر :**
The New Encyclopedia Britannica,Vol.5,p.773.

(5) **Thomson,David,Europe since Napoleon,p.201.**

(6) **Cecil,Woodham Smith,Op.Cit,p.303.**

لياقة مثل هذه الزيارة التي قام بها مثل هذا الرجل إلى بريطانيا [1] ، وأرسل بالمرستون تلك المذكرة دون علم الملكة وموافقتها وعندما علمت الملكة بمذكرة بالمرستون وهي الحريصة على مشاعر النمسا ، أصرت على تعديل المذكرة وإعادة إرسالها إلى النمسا [2] .

وفي الثامن من تشرين الأول 1850 كتب بالمرستون رسالة إلى الملكة فكتوريا موضحا فيها موقفه من زيارة هيناو إلى بريطانيا قائلا : " **يظهر طلب جلالتكم في التعديل الذي يجب أن يوضع على المذكرة التي تخص موضوع الهجوم على الجنرال هيناو ، ومدى ملاءمة زيارته إلى بريطانيا في الوقت الحاضر ، وأنا أقول بأن هناك شعورا ما في هذه البلاد تجاه هذا الرجل وإجراءاته في ايطاليا وهنكاريا ، فلا ضرورة لمجيئه إلى بريطانيا بهذه السرعة بعد تلك الأحداث لان ذلك تحديا للرأي العام ، إن بلادنا لاتمانع في استقبال الأجانب ، فقد استقبلنا نابليون بونابرت العدو الأعظم لبريطانيا وتلقى العلاج في بلايموث باحترام ، وكذلك المارشال سولت الذي قاتل ضدنا في معارك كثيرة عندما جاءنا كسفير خاص ، بالاضافة إلى لويس فيليب وجيزوت والأمير مترنيخ ، وكلهم كانوا خصوماً عظماء للسياسة البريطانية ، لكن الجنرال هيناو عدّ مجرماً عظيماً ، وأعماله السيئة ارتكبت على نطاق واسع وعلى عدد كبير من الضحايا ، لكنني يمكن أن اطمأن جلالتكم بأن هذه المشاعر والامتعاض من هيناو لم تقتصر على بريطانيا بل كان في النمسا نفسها** " [3] .

استاءت الملكة فكتوريا من موقف بالمرستون وأدى ذلك الى ازدياد غضبها عليه ، وأصرت على إعادة صياغة المذكرة التي أرسلها إلى النمسا [4] ، وهدد بالمرستون جون رسل بالاستقالة ورحبت الملكة فكتوريا والأمير البرت باستقالة بالمرستون ، إلا انه عاد وتراجع عن استقالته وأذعن لطلب الملكة [5] .

استمر الهدوء بين بالمرستون والملكة لعام واحد فقط ، اذ تكرر الخلاف بينهما ولكن هذه المرة أثناء زيارة لاجوس كوسوث الزعيم الثوري الهنكاري في الثالث والعشرين

---

(1) Strachey,Lytton,Op.Cit,p.150.
(2) Cecil,Woodham Smith,Op.Cit,p.303.
(3) The Letters of Queen Victoria(1837-1861),Vol.II,p.629.
(4) Thomson,David,Europe since Napoleon,p.201.
(5) Strachey,Lytton,Op.Cit,p.150.

من تشرين الأول 1851 الى بريطانيا ، وهاجم كوسوث في خطاباته القيصر الروسي والإمبراطور النمساوي وذلك لدورهما في قمع الثورة الهنكارية [1] ، وخشيت الملكة فكتوريا من تعاطف بعض الوزراء البريطانيين ولاسيما بالمرستون مع كوسوث ، لان ذلك سيضر بعلاقاتها مع حلفائها الأوربيين [2] .

حاولت الملكة في إحدى لقاءاتها مع بالمرستون ثنيه عن الاهتمام بزيارة كوسوث ، وطلبت منه عدم مقابلته لان ذلك سيضر بمصلحة البلاد [3] ، وكان رد بالمرستون انه لن يذهب لرؤية كوسوث ، ولكنه سيستقبله إذا ما زاره في منزله ، لأنه سيكون امراً ليس حكيما ويتناقض تماما مع الشعور العام أن يمتنع عن مقابلته [4] . لم تقتنع الملكة فكتوريا برد بالمرستون فكتبت رسالة إلى جون رسل في الثلاثين من تشرين الأول 1851 حول ذلك : " **تتمنى الملكة أن اللورد جون سيمنع اللورد بالمرستون من استقبال كوسوث** " . نقل جون رسل بدوره تعليمات الملكة إلى بالمرستون ، والتمس منه عدم استقبال كوسوث بأي شكل رسمي او غير رسمي [5] .

غضب بالمرستون من إلحاح الملكة وجون رسل وكتب في الحادي والثلاثين من تشرين الأول إلى جون رسل قائلا : " **توجد حدود لكل شيء ، وإنني لا أوافق أن يملي علي احد من أستطيع أو لا أستطيع استقباله في بيتي ، وإنني سوف استخدم حصافتي في هذا الأمر ، وبالطبع سوف تستخدم حصافتك في تشكيل حكومتك** " . وبالرغم من أن بالمرستون لم يلتق بكوسوث ، الا انه أثار غضب الملكة نتيجة لاستقباله بعض الليبراليين من بريطانيا وأوربا ، الذين طلبوا مقابلته وتقديم خطاب شكر للخدمات التي قدمها في سبيل الحرية ، ووصف هؤلاء الليبراليون في خطاباتهم التي القوها على مسامع بالمرستون الإمبراطور النمساوي والقيصر الروسي بأنهما " **مغتالان بغيضان وطغاة مجردون من الرحمة** " [6] .

تسرب الخطاب إلى الصحف البريطانية ونشر بشكل مبالغ فيه ، ولم يعبر بالمرستون عن امتعاضه من اللهجة العنيفة للخطاب ، وبعد إطلاع الملكة فكتوريا عليه

---

(1) **Halevy,Elie,Op.Cit,p.318.**
(2) **Cecil,Woodham Smith,Op.Cit,p.305.**
(3) **Strachey,Lytton,Op.Cit,p.151.**
(4) **Thomson,David,Europe since Napoleon,p.201.**
(5) **The Letters of Queen Victoria(1837-1861),Vol.II,p.753.**
(6) **Quoted in:Cecil,Woodham Smith,Op.Cit,p.305.**

طالبت جون رسل على الفور بإقالة بالمرستون من وزارة الخارجية [1] ، وكتبت إليه في العشرين من تشرين الثاني 1851 قائلة : " **أن الملكة يجب أن تكتب اليوم إلى اللورد جون رسل بخصوص موضوع يسبب لها الكثير من القلق ، ويجرح مشاعرها بعمق ، ذلك هو التصرف الرسمي لوزير الخارجية بالمرستون منذ وصول كوسوث إلى البلاد** " [2] .

ومن الواضح أن بالمرستون انزعج كثيرا من إصرار الملكة وجون رسل على منعه من مقابلة كوسوث ، لذلك استقبل أنصاره الليبراليين وسمح لهم بالتحدث بحرية وانتقاد الإمبراطور النمساوي والقيصر الروسي بأبشع الكلمات لكي يرد الاعتبار لنفسه نتيجة للضغوط التي تعرض لها من البلاط .

وبعد ان علم بالمرستون ان الملكة قد علمت بذلك الخطاب واشتد غضبها ، قدم اعتذاره واقر بارتكابه خطأ عدم الإطلاع على الخطاب مسبقا قبل نشره بعد أن حقق هدفه بإثارة غضبها [3] ، وعدّ أعضاء الحكومة البريطانية الأمر استمرارا للجهود المبذولة من لدن البلاط لاستبعاد بالمرستون ، إلا أن الملكة لم تنتظر طويلا لتنال ماتريد اثر موقف بالمرستون من الأحداث في فرنسا[4].

حدث انقلاب لويس نابليون في فرنسا في الثاني من كانون الأول 1851 [5] ، وبعد وصول أخبار الانقلاب إلى لندن في اليوم التالي أبلغت الملكة جون رسل وبالمرستون بضرورة الإسراع بإبلاغ السفير البريطاني في باريس نورمانبي بالبقاء بعيدا عن التدخل وعدم الإقدام على اي تصرف أو التعبير عن أي رأي فيما يخص الأحداث الأخيرة [6] ، وفي الثالث من كانون الأول زار السفير الفرنسي في لندن ويلوسكي بالمرستون في وزارة الخارجية ، فعبر له بالمرستون عن استحسانه وتأييده لإجراء لويس نابليون [7] .

---

(1) Strachey,Lytton,Op.Cit,p.151.
(2) The Letters of Queen Victoria(1837-1861),Vol.II,p.767.
(3) حيدر صبري شاكر الخيقاني ،الملكة فكتوريا ، ص 107.
(4) Brown,David,Op.Cit,p.68.
(5) Cecil,Algernon,Op.Cit,p.175.
(6) Medlicotm,W.N.,From Metternich to Hitler A spect of British and foreign history 1814-1939,London,1963,p.67.
(7) Halevy,Elie,Op.Cit,p.320.

وصل عمل بالمرستون في وزارة الخارجية إلى نهايته بعدما اعترف بانقلاب لويس نابليون ومن دون استشارة احد [1] ، وبعدما أبلغ ويلويسكي حكومته تلقيه تأكيدات شفهية بتأييد بالمرستون للانقلاب ، علمت الملكة بالأمر واشتد غضبها بشكل غير مسبوق على بالمرستون [2] ، وكتبت الى جون رسل في الثالث عشر من كانون الأول 1851 أبلغته قائلة : " **إن الحكومة الفرنسية تتظاهر بأنها تلقت موافقة كاملة من الحكومة البريطانية على الانقلاب الأخير ، وحسب مانقله اللورد بالمرستون إلى ويلوسكي لاتستطيع الملكة أن تصادق على هذا التأكيد ، لان مثل هذا الاستحسان الذي قدمه اللورد بالمرستون متناقض بالكامل مع خط الحياد الثابت الذي عبرت الملكة عن رغبتها في إتباعه فيما يتعلق بالتوتر الأخير في باريس ، هل يعلم اللورد جون رسل شيئا عن الاستحسان المزعوم الذي ، إن صح ، سيعرض مرة أخرى مصداقية وكرامة حكومة الملكة إلى الضرر في عيون العالم** " [3] . وبذلك فقد سنحت الفرصة المناسبة التي كانت تنتظرها الملكة والأمير البرت لإقالة بالمرستون من الوزارة .

طلب رسل من بالمرستون تفسيرا لموقفه المتعارض مع رغبة الملكة والحكومة البريطانية [4] ، وفي السادس عشر من كانون الأول رد بالمرستون على رسالة جون رسل دافع فيها عن موقفه وعن حريته في إبداء رأيه الشخصي في القضايا الخارجية [5]، ولم تقنع تلك التبريرات جون رسل الذي رد على كلام بالمرستون مشيرا إلى سوء الفهم والخروقات المتكررة من لدن بالمرستون ، وفي الخاتمة ذكر جون رسل في كلامه : " **إن إدارة الشؤون الخارجية لايمكن بعد ذلك ان نبقيها بين يديك بما يخدم مصلحة البلاد** " [6] ، ورد بالمرستون مبينا أن بعض المراسلات التي يقوم بها لم تكن على قدر كبير من الأهمية لتعد رسميا علاقة بين دولتين وأوضح قائلا : " **إذا كان كل شيء يحدث بين وزير دولة ما ووزير خارجية يعد اتصالا رسميا بين حكومتي هذين الطرفين**

---

(1) Cecil,Woodham Smith,Op.Cit,p.307.
(2) Halevy,Elie,Op.Cit,p.320.
(3) The Letters of Queen Victoria(1837-1861),Vol.II,p.795.
(4) Strachey,Lytton,Op.Cit,p.152;Lane,Peter,Op.Cit,p.168.
(5) May,Thomas Erskine,The Constitutional History of England Since the Accession of George III 1760-1860,Vol,1,Boston,1863,p.136.
(6) Halevy,Elie,Op.Cit,p.320.

عندها ستوضع نهاية للتفاعل اليسير والمألوف الذي تتضمنه إدامة العلاقات الودية مع الحكومات الأجنبية " [1] .

أدرك جون رسل أن تصرف بالمرستون غير مبرر في التعبير عن رأيه دون موافقة البلاط والحكومة [2] ، وفي الثامن عشر من كانون الأول 1851 ، أرسل جون رسل رسالة إلى الملكة أبلغها فيها انه تبادل الرسائل مع بالمرستون حول محادثاته مع ويلوسكي ، وبين جون رسل للملكة انه غير راض عما قام به بالمرستون ، وانه سيقدم لجلالتها جميع الرسائل التي تبادلها مع بالمرستون للنظر فيها [3] ، وفي التاسع عشر من كانون الأول 1851 أقيل بالمرستون من منصبه وبذلك ترك بالمرستون وزارة الخارجية إلى الأبد [4] ، وكتب جون رسل رسالة إلى الملكة في اليوم نفسه قائلا فيها : " **بإمكانكي استلام أختام وزارة الخارجية وإعطائها لشخص آخر** " [5] .

اندهش الرأي العام البريطاني لدى سماعه أنباء إقالة بالمرستون واستغربوا للنهاية التي وصل إليها وزير الخارجية البريطاني الذي حظي بتقدير واحترام كبير في نفوس الشعب البريطاني [6] ، كما ان الملكة فكتوريا ذات الشخصية القوية والمؤثرة نجحت في فرض رأيها والانتصار على بالمرستون في النهاية ، وقد استلمت الملكة ذلك الخبر بفرحة كبيرة ، وعبرت عن ذلك برسالة أرسلتها إلى خالها ليوبولد في الثالث والعشرين من كانون الأول 1851 ذكرت فيها : " **يسعدني أن أزف إليكم خبرا يسعدكم ويبعث في نفوسكم الراحة والرضا كما أسعدني ويبعث في نفسي الراحة والاطمئنان ، فلم يعد بالمرستون وزيرا للخارجية** " [7] . شعرت الملكة فكتوريا والأمير البرت بالقوة لقدرتهم على إقالة بالمرستون ، إلا أن إقالة بالمرستون قد أضعفت حكومة جون رسل وأصبحت هذه الحكومة مهددة بالسقوط [8] . امتلك بالمرستون مكانة كبيرة في نفوس الشعب البريطاني ، فخلال الصراع مع البلاط الملكي حول إدارته لوزارة الخارجية [9] ، أشارت الملكة

---

(1) حيدر صبري شاكر الخيقاني ،الملكة فكتوريا ، ص ص 109-110.

(2) May,Thomas Erskine,Op.Cit,Vol.1,p.137.

(3) The Letters of Queen Victoria(1837-1861),Vol.II,p.798.

(4) Williams,Roger L.,The World of Napoleon III 1851-1870,New York,1966,p.31.

(5) The Letters of Queen Victoria(1837-1861),Vol.II,p.802.

(6) Medlicotm,W.N.,Op.Cit,p.68.

(7) The Letters of Queen Victoria(1837-1861),Vol.II,p.808.

(8) Strachey,Lytton,Op.Cit,p.152.

(9) Young,G.M.,Early Victorian England 1830-1865,Vol.II,London,1963,p.482.

فكتوريا إلى انه ليس هناك من كان يمكن أن يمثل الأمة والشعب البريطاني مثل بالمرستون ، ولكنها في الوقت نفسه احتفظت بحقها في معرفة كل مايدور وكل مايحصل في مراسلات وزارة الخارجية مع الخارج قبل أن يتم اتخاذ أي إجراء أو قرار [1] ، ولم يكن اعتراض الملكة على بالمرستون بصفة شخصية ، بل كان اعتراضها على سياسته وأسلوبه في إدارة وزارة الخارجية [2] .

واجهت حكومة رسل بعد إقالة بالمرستون عدة مشاكل ، إذ ضعف موقفها بسبب المطالبة بالإصلاحات البرلمانية [3] ، وبعد أن أعلن لويس نابليون نفسه إمبراطورا على فرنسا باسم نابليون الثالث ، اقترح جون رسل تشكيل ميليشيا في بريطانيا لصد أي عدوان فرنسي محتمل ، واستطاع بالمرستون إقناع العديد من النواب في مجلس العموم بالتصويت ضد مقترح رسل لتشكيل ميليشيا محلية ، ونتيجة لذلك قدم جون رسل استقالته في الثالث والعشرين من شباط 1852 [4] . وبعد استقالة الحكومة كتب بالمرستون لزوجته " **ثأرت لنفسي** " [5] ، وبعد ذلك تشكلت حكومة من المحافظين برئاسة اللورد دربي والتي استمرت من الثالث والعشرين من شباط 1852 وحتى التاسع عشر من كانون الأول 1852 [6] .

وبالرغم من الأخطاء التي ارتكبها بالمرستون فقد حقق هذا الوزير نجاحات مهمة في جوهر عمله من خلال احتوائه للنظام الجمهوري في فرنسا وعدم دفعه نحو التطرف الثوري ، وكذلك دوره كوسيط بين النمسا وبين الثوار الايطاليين ، بالاضافة إلى إجباره حكومة اليونان على دفع تعويضات لدون باسفيكو . واهتم بالمرستون بفرض هيبة وقوة ومكانة بريطانيا العظمى مع التركيز على منع نشوب حرب أوربية شاملة .

---

(1) Cecil,Algernon,Op.Cit,p.190.
(2) Young,G.M.,Op.Cit,Vol.II,p.482.
(3) Halevy,Elie,Op.Cit,p.324.
(4) Lane,Peter,Op.Cit,p.166.
(5) Traill,H.D.&Mann,J.S.,Op.Cit,p.347.
(6) Schultz,Harold J.,Op.Cit,p.235.

أولا : وزارة بالمرستون الأولى 1855- 1858

1- سياسة بريطانيا تجاه حرب القرم ودور بالمرستون فيها 1853-1856

اندلعت حرب القرم [1] بين روسيا من جهة والدولة العثمانية التي ساندتها بريطانيا وفرنسا ومملكة سردينيا من جهة أخرى [2] ، بسبب النزاع بين روسيا وفرنسا حول منح الحماية للأقليات المسيحية في الدولة العثمانية ، وحصل الفرنسيون عام 1852 على موافقة السلطان عبد المجيد الأول بمنح الحماية الفرنسية على الكنائس الكاثوليكية في بيت المقدس و تسلم الرهبان الكاثوليك مفاتيح كنيسة المهد [3] ، الأمر الذي أثار الروس فطالبوا بامتيازات مماثلة للامتيازات الفرنسية ، فرفضت الدولة العثمانية مطالب الروس وشجعها في ذلك الرفض السفير البريطاني ستراتفورد كاننغ [4] .

وفي الواقع ان الصراع الروسي الفرنسي لم يقتصر على الطابع الديني وإنما هو صراع حقيقي على مصالح الدولتين المتناقضة في الدولة العثمانية الذي انسحب تأثيره على دول أوربية أخرى مثل بريطانيا التي أصبحت طرفا مهما في الحرب لإيقاف التغلغل الروسي في الأراضي العثمانية .

شغل بالمرستون منصب وزارة الداخلية في حكومة اللورد أبردين الائتلافية (1852-1855) [5] ، التي كانت مزيجا سياسيا من المحافظين والأحرار [6] ، وعلى الرغم من ان بالمرستون قد شغل هذا المنصب إلا أن آراءه كانت تحترم كثيرا لاسيما من لدن وزير الخارجية البريطاني كلارندون (1853-1858). وفي العاشر من شباط 1853ارسلت الحكومة الروسية بعثة دبلوماسية برئاسة الاميرمنشكوف Manshcove إلى الدولة العثمانية ، وفي آذار قدمت البعثة عدة مطاليب إلى الحكومة العثمانية منها سحب جميع الامتيازات الفرنسية ومنح القيصر الروسي حق حماية الرعايا الأرثوذكس ، وبعد رفض السلطان العثماني مطاليب الروس أعطى القيصر نيقولا الأول أوامره إلى الجيش الروسي في الخامس والعشرين من حزيران 1853 باحتلال إمارتي الدانوب ولاشيا ومولدافيا فتم احتلالهما في الثاني من تموز [7].

---

[1] انظر الملحق رقم (5) .

[2] Rayner,Robert M.,Op.Cit,p.253.

[3] Brace,Richard M.,The making of the modern world from the Renaissance to the present,United state of America,1955,p.524.

[4] Cecil,Woodham Smith,Op.Cit,p.343.

[5] Ritchie,J.Ewing,The Life and Times of Viscount Palmerston,London and New York,Vol.II,p.66.

[6] Schultz,Harold J.,Op.Cit,p.235.

[7] Cecil,Woodham Smith,Op.Cit,p.342;Traill,H.D.&Mann,J.S.,Op.Cit,p.348.

وفي أيلول 1853 كان النزاع الروسي–العثماني قد قطع شوطا طويلا ولكن بدون إعلان الحرب رسميا بين الجانبين ، واقترح بالمرستون على الحكومة البريطانية شن هجوم مباشر على ميناء سيفاستوبول الروسي على البحر الأسود لإجبار الروس على الانسحاب من إمارتي الدانوب [1] ، أما الإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث فاقترح في التاسع عشر من أيلول على الحكومة البريطانية إرسال الأساطيل الفرنسية والبريطانية إلى المضائق لحماية اسطنبول ، كما طلب وزير الخارجية العثماني رشيد باشا من سفيري بريطانيا وفرنسا باستدعاء أساطيلهما إلى اسطنبول ، وبتأثير من بالمرستون الذي كان متحمسا للحرب ضد الروس وافقت حكومة أبردين على الاقتراح الفرنسي ، وهكذا أمرت الحكومتان البريطانية والفرنسية في الثالث والعشرين من أيلول 1853 أساطيلهما بالتوجه الى اسطنبول [2] .

قدم السفير الروسي في لندن بروناو احتجاجا شديد اللهجة الى كلارندون حول خرق اتفاقية المضائق ، الا ان بالمرستون وجد تبريرا لهذا الأمر حيث اخبر كلارندون قائلا : " **بان الحجة المضمونة الوحيدة التي يمكن اعتمادها في دخول الأسطولين البريطاني والفرنسي الى المضائق هي الحجة الحقيقية والتي تفيد بان الغزو الروسي لإمارتي الدانوب منحنا الحق في دخول المضائق ، وهذه حقيقة وعلى هذا الأساس لايمكن لومنا** " . وهكذا تكون القوات الروسية من وجهة نظر بالمرستون هي التي انتهكت اتفاقية المضائق وليس السفن الحربية البريطانية والفرنسية [3] .

كان بالمرستون من ابرز دعاة الحرب ضد روسيا [4] ، وساعد نفوذه في البرلمان إلى جانب تأثير الصحافة البريطانية على إذكاء حمى الحرب في نفوس البريطانيين ، أما الإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث فكان حريصا على المحافظة على نفوذ فرنسا في الشرق ، لاسيما وان سبب الحرب هو التنافس الفرنسي–الروسي على النفوذ والسلطة في الدولة العثمانية ، لذلك توافقت المصالح البريطانية والفرنسية في مساندة الدولة العثمانية ضد روسيا [5] .

---

(1) Williams,Roger L.,Op.Cit,p.31.

(2) Barlen,M.E.,Op.Cit,p.311.

(3) مقتبس في : احمد ناطق ابراهيم العبيدي ، المصدر السابق ، ص266.

(4) Sanders,Lloyd,Op.Cit,p.152.

(5) Williams,Roger L.,Op.Cit,31.

حث بالمرستون ابردين في الرابع من تشرين الأول 1853 على عدم التردد في دعم الدولة العثمانية [1] ، إلا أن ابردين قرر أن يقتصر وجود الأسطول البريطاني على اسطنبول ، واستخدامه في العمليات الدفاعية عن المضائق والمدينة ، وبذل ابردين جهودا لإيقاف التطورات السائرة نحو الحرب ، وبدأ يتأرجح بين الرغبة في الحفاظ على السلام والخوف الذي تفاقم لدى الرأي العام من أن تجتاح روسيا اسطنبول والمضائق ، وقد ساهمت هذه السياسة في إحداث ضرر كبير بمكانته ، مما مكن بالمرستون وأنصاره من السيطرة على مجلس العموم [2] .

جاءت الخطوة الحاسمة نحو دخول بريطانيا وفرنسا الحرب رسميا إلى جانب الدولة العثمانية بعد أن تمكن الأسطول الروسي في الثلاثين من تشرين الثاني 1853 من تدمير الأسطول العثماني وإغراقه في خليج سينوب Seanop [3] ، وهكذا بدا الاتجاه يميل نحو الحرب في بريطانيا وكان بالمرستون من ابرز المتحمسين لهذا الاتجاه [4] ، فقد كتب رسالة الى جون رسل الذي كان رئيسا لمجلس العموم قائلا : " **إنني مع اخذي بنظر الاعتبار آفاق الحل السلمي ، أرى أن موقفنا القائم على الانتظار التكتيكي المستكن على الباب الخلفي في الوقت الذي تقتحم فيه روسيا الدار بتهديدات حانقة ووقحة ، أراه موقفا أحمق ومهينا لسمعة ووضع وكرامة الدولتين [بريطانيا وفرنسا]** " [5] .

استقال بالمرستون من منصبه في الخامس عشر من كانون الأول 1853 ، وجاءت هذه الاستقالة لتزيد من موجة الغضب ضد حكومة أبردين ، ومع إن الاستقالة كانت لسبب داخلي ، ولم يكن لها علاقة بالسياسة الخارجية ، إلا أن الرأي العام في بريطانيا اعتقد أن بالمرستون استقال احتجاجا على الموقف المتردد الذي اتخذته الحكومة البريطانية من روسيا آنذاك ، واضطر أبردين بعد مرور أسبوع واحد على استقالة بالمرستون ان يلتمس منه العودة ، وقد وضعت عودة بالمرستون الى منصبه حكومة أبردين في قبضته ، وكان ذلك يعني بحكم ماعرف عنه من عداء لروسيا وحماس في منع توسيع نفوذها ، أن الحرب ضد روسيا قائمة لا محالة [1] .

---

(1) **Ritchie,J.Ewing,Op.Cit,Vol.II,p.81.**
(2) **Schultz,Harold J.,Op.Cit,p.235.**
(3) **Rayner,Robert M.,Op.Cit,p.252.**
(4) **Newth,A.M.,Op.Cit,p.75.**

(5) **هاشم التكريتي ، المصدر السابق ، ص187.**
(1) **هاشم التكريتي ، المصدر السابق ، ص187.**

أعلنت بريطانيا وفرنسا الحرب على روسيا رسميا في السابع والعشرين من آذار 1854 ، ثم عقدتا فيما بينهما في الحادي عشر من نيسان معاهدة تتعلق باشتراكهما في الحرب ضد روسيا (2) ، كما انضمت مملكة سردينيا-بيدمونت في العاشر من كانون الثاني 1855 إلى الحرب ضد روسيا ، وأرسلت قوة مؤلفة من خمسة عشر ألف جندي بيدمونتي الى شبه جزيرة القرم . أما النمسا فكانت مترددة في موقفها وأعلنت أنها ستقف على الحياد في هذه الحرب (3) .

وجه البرلمان البريطاني انتقادا شديدا إلى وزارة أبردين بسبب سوء إدارتها للإمدادات والخدمات في حرب القرم (4) ، واستغل بالمرستون الانتقادات التي وجهها بعض أعضاء البرلمان لسياسة الحكومة تجاه الحرب ، ليتوج طموحه السياسي بالحصول على رئاسة الوزراء (5) ، فعندما اجتمع مجلس العموم في كانون الثاني 1855 تقدم جون روبك John Robuck (1802-1879) بمقترح لتشكيل لجنة تقصي في ظروف الجيش في سيفاستوبول ، وبمواجهة هذه الانتقادات قدم جون رسل استقالته من زعامة الأغلبية في مجلس العموم تاركا بالمرستون خلفا له في تولي المنصب وتحمل غضب المعارضة (6) ، استنكر بالمرستون تشكيل لجنة يكون تأثيرها في الواقع حسب وصفه إعاقة عمليات الجيش والسيطرة عليها ، وعدّ ذلك سابقة خطيرة وغير مناسبة في الإجراءات البرلمانية ، وعلى اثر ذلك انهارت الحكومة واستقال أبردين في الثلاثين من كانون الثاني نتيجة للغضب الشعبي وتخبط القيادات السياسية والعسكرية (7) .

حاولت الملكة فكتوريا تجاهل بالمرستون فطلبت من دربي تشكيل الحكومة ، إلا انه اعتذر عن تولي المهمة ، وكان جون رسل هو التالي على قائمة الملكة ، وعلى الرغم من استعداد جون رسل لتشكيل الحكومة ، إلا انه لم يجد دعما من بعض زملائه للعمل تحت إمرته ، ولهذا رأت الملكة ان من الأفضل ان تطلب من اللورد بالمرستون ان يصبح رئيسا للوزراء ، لأنها أدركت انه الشخص المناسب بفضل ما يمتلكه من خبرة سياسية

(2) Williams,Roger L.,Op.Cit,31.
(3) Thomson,David,England in the nineteenth century,p.157.
(4) Lunt,W.E.,Op.Cit,p.675.
(5) Wood,E.L.Ward,Op.Cit,p.164.
(6) Traill,H.D.&Mann,J.S.,Op.Cit,p.352; Cecil,Woodham Smith,Op.Cit,p.354.
(7) Williamson,James A.,The Evolution of England,Oxford,1944,p.408.

وشعبية كبيرة في البلاد [1] ، وكما عبر بالمرستون عن نفسه بقوله انه " **لاغنى عنه** " ، وسرعان ما اثبت انه الرجل المناسب للموقف ، ولم تكن الحكومة التي شكلها بالمرستون حكومة حزبية بل كانت رابطة من السياسيين الذين توحدهم فكرة الانتصار بالحرب قبل كل شيء [2] .

شكل بالمرستون حكومته في السادس من شباط 1855 [3] ، وضمت كلارندون وزيرا للخارجية وجون رسل وزيرا للمستعمرات ، وانضم المحافظون إلى الحكومة من أنصار السير روبرت بيل [4] ، الذين أصروا على إجراء مفاوضات مبكرة مع روسيا ، وعلى إلغاء خطة الهجوم على ميناء سيباستوبول التي وضعها بالمرستون ، فقرر بالمرستون من اجل إرضائهم إرسال جون رسل إلى فينا وزيرا مفوضا لبريطانيا للتباحث حول مبادرة نمساوية لإيقاف القتال ، وكان جون رسل أكثر الوزراء البريطانيين ميلا للحرب ، إلا أن المحافظين من أنصار السير روبرت بيل رفضوا إرسال جون رسل ، فاستقالوا من الحكومة في الثاني والعشرين من شباط 1855 وبعدها أصبحت حكومة بالمرستون حكومة حرب حقا [5] .

استمر بالمرستون في خوض حرب القرم ، وركز اهتمامه بالسيطرة على ميناء سيباستوبول ، لأنه اعتقد بان ذلك سيحطم قدرات روسيا البحرية في البحر الأسود وسيساهم في الانتصار بالحرب ، أما في مجلس العموم فقد واجه بالمرستون اعتراضا شديدا من لدن المعارضة المدعومة من أنصار السير روبرت بيل [6] ، اذ أخذ بعض قادة المعارضة مثل وليم ايوارت غلادستون [7] William Ewart Gladston(1809-1898) يطالبون بايجاد حل لإيقاف الحرب ، إلا أن بالمرستون أصر على استمرارها ووقف في مجلس العموم قائلا : " **أقول بان نية روسيا تقسيم الدولة العثمانية واضحة**

---

(1) Cecil,Woodham Smith,Op.Cit,p.355.

(2) Schultz,Harold J.,Op.Cit,p.235.

(3) انظر الملحق رقم (6) .

(4) Traill,H.D.&Mann,J.S.,Op.Cit,p.352; Ancel,Jacoues,Op.Cit,p.150.

(5) تايلور ، المصدر السابق ، ص108.

(6) Ridley,Jasper,History of England,London,1981,p.257.

(7) سياسي بريطاني بدأ حياته السياسية مع المحافظين وبعد عام 1865 انضم إلى حزب الاحرار، ولد في مدينة ليفربول ، تولى وزارة الحرب والمستعمرات في المدة 1845-1846 ووزارة الخزانة في المدة 1852-1855 ، وأصبح رئيسا للحكومة اربع مرات الاولى 1868-1874 والثانية 1880-1885 والثالثة شباط 1886 - تموز 1886 ، والرابعة 1892-1894 توفي عام 1898. للتفاصيل ينظر: سهيلة شندي عبوان البدري ، وليم غلادستون والقضية الايرلندية 1868-1894، اطروحة دكتوراه ،كلية الاداب ،جامعة بغداد ،2005.

وضوح الشمس في النهار ، واننا نخوض الحرب لمنع ذلك ، وهدف الحرب ليس فقط حماية الدولة العثمانية حماية الضعيف أمام القوي ، والحق أمام الباطل ، وإنما منع الخطر والضرر عن أنفسنا ، ويجب ان لايتصور أي احد ان روسيا اذا ماسيطرت على الدولة العثمانية ، وإذا ما وضعت تلك القوة المهولة إحدى قدميها على البلطيق والقدم الأخرى على البحر المتوسط فان المصالح العظيمة لهذه البلاد لن تتأثر ، يجب ان لايتصور أنصار السلم مهما كان الثمن ولو للحظة بان تجارتهم لن تتضرر كثيرا"[1] .

وفي تلك الأثناء توفي القيصر الروسي نيقولا الأول في الثاني من آذار 1855 وخلفه في حكم روسيا الاسكندر الثاني Alexander II [2] (1818–1881/1855–1881) وبدأت سياسة روسيا تتجه لإنهاء الحرب في عهده ، كما عانت القوات البريطانية والفرنسية من صعوبات كبيرة أثناء حرب القرم ، لاسيما بعد الإنزال الذي قامت به تلك القوات شمال سيباستوبول ، فقد أنهكت تلك القوات ولم تكن تجهيزاتها كافية لتحمل برودة الشتاء في روسيا ، فضلا عن انقطاع العديد من طرق النقل عنهم وتحصن الروس في مواقعهم [3] ، إلا أن إشراف بالمرستون المباشر على سير العمليات الحربية ساعد بشكل كبير على رجحان كفة الحلفاء وسيطرتهم على سيباستوبول في الثامن من أيلول1855 [4] ، فكان ذلك سببا في استئناف الاتصالات الدبلوماسية ، ورأى بالمرستون ان سقوط هذه المدينة ينبغي ان يكون مقدمة لحرب واسعة ضد روسيا للقضاء على أي محاولة توسعية قد تقوم بها في المستقبل [5] .

رغب بالمرستون بمواصلة الحرب والقيام بهجوم شامل بحري وبري على روسيا من جهة البحر الأسود وبحر البلطيق إلى أن تنعزل روسيا تماما عن المياه الصالحة للملاحة ، وفي الحادي والعشرين من تشرين الثاني 1855 كتب بالمرستون معبرا عن رغبته بالاستمرار بالحرب اذ قال : " **بأنه يفضل الاستمرار في الحرب مع الدولة العثمانية بدون حلفاء على**

---

(1) مقتبس في : حيدر صبري شاكر الخيقاني ،الملكة فكتوريا ، ص 122.

(2) تولى الحكم بعد والـ . ده نيقو . لا الاول بعد . لة 1855 . ه بسلسـ . لة مـ . ن الاصـ . لاحات مثـ . ل تحريـ . ر العبيـ . د . . يم والادارة والجـ . يش ، كمـ . ـا طـ . ور السـ . كك الحديـ . د فـ . ي روسـ . يا ولكنـ . ـه تعـ . رض لمحاولـ . ـة اغتيـ . ـال عـ . ـام 1866 اثرها الى الرجعية وتنخول نظام الحكـ . م المطلـ . ق ، ونجـ . ح فـ . ي الغـ . ـاء حيـ . اد البحـ . ر الاسـ . ود عـ . ام 1871 . خاض حربا مع الدولة العثمانية وفرض 1877 عليها شروط قاسية بموجب صلح سان ستيفانو ، اغتيل علـ . ى يـ . د طالـ . ب بولندي في الثالث مـ . ن آذار 1881م . للمزيـ . د مـ . ن التفاصـ . يل ينظـ . ر:
The New Encyclopedea Britannica,Vol.1,p.243.

(3) حيدر صبري شاكر الخيقاني ،الملكة فكتوريا ، ص 123.

(4) Trollope,Anthony,Op.Cit,p.168.

(5) Williamson,James A.,Op.Cit,p.408.

أن يتجه للسلام بالاعتماد على شروط غير مقنعة" [1] ، إلا أن نابليون الثالث اعترض على استمرار الحرب وأبلغ بالمرستون أن الرأي العام الفرنسي قد سأم الحرب ، ورأى نابليون الثالث عقب انتصار الحلفاء في سيفاستوبول أن يدعو إلى الصلح ولكن بالمرستون لم يقتنع بالانتصارات التي نالها الجيش البريطاني [2] ، فحث بالمرستون نابليون الثالث على شن حرب لاهوادة فيها ضد الروس ، فأثار الإمبراطور الفرنسي حينها قضية بولندا وضرورة تحريرها من الروس إذا ما استمرت الحرب ضدهم ، وإعادة الدستور الذي منحه مؤتمر فينا لبولندا ، فخشي بالمرستون من هذه القضية وأعتقد بأن إثارة المسألة البولندية ستدفع بالنمسا وبروسيا إلى المعسكر الروسي لاسيما وان بولندا كانت مقسمة بين تلك الدول الثلاث مما يؤدي إلى بعث الحلف المقدس من جديد ، وبذلك تحصل روسيا على حليفين آخرين ضد بريطانيا وفرنسا [3] .

عبر الفرنسيون عن رغبتهم في إنهاء الحرب ، وحذر بالمرستون من وجود خطر جديد هو خطر السلم لا الحرب ، وانتقد بالمرستون الإمبراطور الفرنسي لرغبته في إيقاف الحرب [4] ، وتبين ان على بالمرستون ان يخوض الحرب لوحده ، أو أن يتجه إلى السلام ، واختار بالمرستون الحل الثاني على مضض ، وحث وزير خارجيته كلارندون للحصول على أفضل المكاسب لبريطانيا في مؤتمر الصلح [5].

بدأ مؤتمر الصلح في باريس أعماله في الخامس والعشرين من شباط 1856 برئاسة وزير الخارجي الفرنسي ويلويسكي [6]، وكان هدف بالمرستون في المؤتمر هو إضعاف روسيا استراتيجيا بكل طريقة ممكنة ، ومثل بريطانيا في المؤتمر وزير خارجيتها كلارندون وسفيرها في باريس كاولي Cawly بينما مثل روسيا في المؤتمر الدبلوماسي المعروف اورلوف ويساعده في المهمة أيضا السفير الروسي في لندن بروناو ، أما النمسا فقد مثلها وزير خارجيتها بيول ، في حين مثل الدولة العثمانية الصدر الأعظم عالي باشا

---

[1] **Quoted in :Cecil,Woodham Smith,Op.Cit,p.367.**

[2] **تايلور ، المصدر السابق ، ص 111؛ فشر ، المصدر السابق ، ص224.**

[3] **An Illustrated History of Modern Europe,1789-1939,p.199.**

[4] **Barlen,M.E.,Op.Cit,p.316.**

[5] **حيدر صبري شاكر الخيقاني ،الملكة فكتوريا ، ص 123.**

[6] **Hurewitz,J.C.,Op.Cit,p.319.**

ووزيـر الخارجيـة فـؤاد باشـا ، امـا الكونـت كـافور Count Cavour [1] (1810-1861-1852/1861) رئيس وزراء مملكة سردينيا فقد مثل بلاده في المؤتمر [2] .

وجد بالمرستون فـي مؤتمر بـاريس فرصـة كبيرة لعرض أسـاليبه الدبلوماسية خـلال الأسبوعين الأولين من انعقاد المؤتمر حينما بدأ المبعوثون يناقشون قضية قارص[3] ، وحاول الروس استخدام هذا الموقع الاستراتيجي للمساومة عليه مع النمسا التي احتلت إمـارتي الـدانوب ولاشـيا ومولـدافيا بعـد انسـحاب الـروس منهمـا [4] ، ومـن هنـا أعطـى بالمرسـتون تعليماتـه الـى كلارنـدون بضـرورة تحييد البحـر الأسود وبحـر البلطيـق ، كمـا طالبه بتهديم كل التحصينات الروسية على شاطيء البحر الأسود ، كما أكد على ضرورة فرض هذا الأمر على روسيا [5] ، وكتب بالمرستون إلى كلارندون قائلا : "**علينـا أن نتمسك بالمبادىء العظيمة للتسوية التي يتطلبها أمن أوربـا فـي المستقبل** " [6] ، وبعد أن أنهـى مـؤتمر بـاريس أعمالـه تـم التوقيـع علـى معاهـدة فـي الثلاثـين مـن آذار 1856 تضمنت عدداً من البنود منها :-

1. اعتراف الدول الأوربية بسيادة الدولة العثمانية على البسفور والدردنيل .
2. حرية الملاحة في نـهر الدانوب ، علـى أن تشكل لجنـة دوليـة خاصـة من مندوبي الدول الموقعة على المعاهدة للإشراف على تنظيم الملاحة فيه .
3. تخلي روسيا عن الجزء الجنوبي من بيسارابيا لصالح إمارة مولدافيا .
4. ضـمان اسـتقلال صـربيا الـذاتي علـى أن تبقـى تحـت السـيادة العليـا للسـلطان العثمـاني.

---

(1) سياسي ايطالي ينتمي لعائلة ارستقراطية من منطقة تورين الايطالية ، دخـ ـل الاكاديميـ ـة العسـ ـكرية فـ ـي الاول مـ ـن ايـ ـار 1820 ، والتحق بجيش سردينيا وكان مهندسا عسكريا عام 1827 ... ـابط ، اسـ ـتقال مالجـن يش عـ ـام 1831 ، وبعد اندلاع ثورات عام 1848 في اوربا دخل كافور البرلمان السرديني في 26 حزيران 1848 وأ عـ ـدة مناصـ ـب وزارية منها وزير الزراعة والتجارة والبحرية في حكومة سردينيا ، وفي عـ أصام 1851 ... ـافور وزيـ ـرا للماليـ ـة ، وفي عام 1852 أصبح كافور رئيسا للوزراء واستمر في منصبه حتى وفاتـ ـه عـ شام 1861 ... ـي مـ ـؤتمر بـ ـاريس عام 1856 ، للمزيد من التفاصيل ينظر : وفاء طه رحيم العنبكي ، المصدر السابق .

(2) Taylor,A.J.,Europe Grandeur and decline,p.77.

(3) وهو حصن كبير ومهم في الجزء الاسيوي من الدولـة العثمانيـة سقط بأيدي الروس فـي تشرين الثـاني 1855 ينظر : Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.2,p.148.

(4) Ibid,p.148.

(5) Traill,H.D.&Mann,J.S.,Op.Cit,p.352.

(6) Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.2,p.145.

5. أكد المؤتمر على استقلال الدولة العثمانية ، وعدم تدخل أي دولة أجنبية بين السلطان العثماني ورعاياه على شرط أن يعمل الأخير على تحقيق المساواة بين المسلمين والمسيحيين .
6. تخلي روسيا عن حمايتها على إمارتي الدانوب ولاشيا ومولدافيا وإعادتهما إلى سلطة الدولة العثمانية مع تمتعها بالامتيازات السابقة .
7. حياد البحر الأسود بحيث لايسمح فيه بظهور سفن حربية لروسيا ، أو الدولة العثمانية او إقامة منشآت عسكرية او قلاع بحرية على سواحله [1] .

اما فيما يخص مملكة سردينيا ، فلم تنل سوى عطف رئيس الوزراء البريطاني بالمرستون ، وذلك عندما طرح كافور في مؤتمر باريس ضم بعض الإمارات الايطالية الى سردينيا كمكسب لها في الحرب لم يعترض بالمرستون على ذلك ، بل كتب إلى كلارندون قائلا : " **فيما يتعلق بنا فإنه يشرفنا بل ومن مصلحتنا وإنسجاما مع رغبتنا أن تنضم إلى سردينيا أراض أخرى تزيد من مساحتها ، ولذلك فأن ضم ولاية بارما الى سردينيا سيكون مكسبا عظيما لها** " [2] ، لكن بالمرستون أدرك فيما بعد أن هذه الخطة ليس من السهل تطبيقها ، وذلك لان النمسا ستعارض هذه الخطوة حتما لأنها تعتقد بأن لها حقا في شمال ايطاليا منذ مؤتمر فينا ويجب عدم المساس به ، كما ان بالمرستون كان بحاجة الى دعم النمسا في مؤتمر باريس ضد روسيا ، لاسيما بعد أن اتخذت فرنسا موقفا متذبذبا تجاه روسيا ، لذلك لم يستطع بالمرستون خلال المؤتمر اتخاذ أي خطوات فعلية بخصوص ايطاليا [3] .

حققت معاهدة باريس عام 1856 الأهداف التي سعى إليها بالمرستون بعد وصوله إلى رئاسة الوزراء في الحفاظ على وحدة وسلامة أراضي الدولة العثمانية وسيادتها ، فضلا عن إضعاف روسيا وإبقاء الدولة العثمانية حاجزا بينها وبين البحر المتوسط [4] ، وشهدت علاقة بالمرستون مع الملكة فكتوريا تحسنا كبيرا بعد ذلك الانتصار في حرب القرم [5] ، وبخصوص هذا الموضوع علقت الملكة قائلة : " **تجد الملكة اللورد بالمرستون مسرورا بالصلح على الرغم من انه ناضل قدر استطاعته للحصول على**

(1) Hurewitz,J.C.,Op.Cit,p.319;Lunt,W.E.,Op.Cit,p.675.
(2) Quoted in :Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.2,p.150.
(3) Brace,Richard M., Op.Cit,p.524.
(4) Taylor,A.J.P.,Op.Cit,P.76.
(5) Joy,James Richard,Op.Cit,p.53.

شروط أفضل " ، ورغم ذلك فقد كان لجهود بالمرستون أثر طيب في نفسها [1] . وفي الثاني عشر من آذار 1856 أصبح بالمرستون فارس رباط الساق Knight of the Garter(وهو وسام بريطاني رفيع) منحته إياه الملكة فكتوريا في قصر بيكنكهام Buckingham Palace وذلك اعترافا بالخدمات التي قدمها رئيس الوزراء البريطاني في حرب القرم [2] .

2- موقف بالمرستون من مشروع قناة السويس 1855- 1858

تمكن دي لسبس Ferdinand De Lesseps وهو احد الفرنسيين الذي كانت تربطه مع الوالي محمد سعيد باشا خديوي مصر علاقات صداقة وثيقة ، من الحصول على موافقة الوالي على مشروع فتح قناة السويس بين البحر الأحمر والبحر المتوسط عام 1854 ، ومع ان العالم عموما وأصحاب التجارة والبريطانيين بشكل خاص رحبوا بفكرة المشروع ، الا ان رئيس الوزراء البريطاني بالمرستون عارض المشروع وسخر منه ، وكتب في أواخر عام 1855 معلقا على هذا الموضوع : " **ان انشاء قناة على السويس سيقطع مصر عن الدولة العثمانية ، ويضع مصالح بريطانيا العظمى في الهند ومصر تحت رحمة الفرنسيين** " .[3]

كان بالمرستون وانطلاقا من رغبته في المحافظة على مصالح الإمبراطورية البريطانية ، يخشى خضوع مصر لفرنسا تحت ستار هذا المشروع ، في حين أن بريطانيا كانت بحاجة ماسة لمصر كطريق ومعبر إلى الهند والى مستعمرات بريطانيا في آسيا ، لذلك فكر بالمرستون بإحباط مشروع حفر قناة السويس ومنح تأييده لمشروع بريطاني لمد سكة حديد يربط بين الاسكندرية والقاهرة لكي يقلل من أهمية مشروع حفر قناة السويس [4] .

ايقن دي لسبس ان بالمرستون متمسكا بموقفه المعارض لمشروع القناة ، وان أفضل وسيلة هي التوجه الى لندن لعله بذلك يستطيع إقناع الحكومة البريطانية وعلى راسها بالمرستون بالتخلي عن معارضتها للمشروع ، او على الأقل محاولة كسب الرأي العام

---

(1) حيدر صبري شاكر الخيقاني ،الملكة فكتوريا ، ص 123.

(2) Trollope,Anthony,Op.Cit,p.174.

(3) Ludwig,Emil , The Nile The Life-story of river , Translated by : Mary H.Lindsay , London , 1963 , p.612.

(4) سامي صالح محمد الصياد ، الصراع الفرنسي البريطاني على مشروع قناة السويس 1854-1869 أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 2006،ص ص 53-54.

البريطـاني ورجـال المـال هنـاك كـي تضـطر الحكومـة البريطانيـة للخضـوع لقـوة الـرأي العام [1] .

غـادر دي لسـبس بـاريس قاصـدا لنـدن فـي شـهر حزيـران 1855، لغـرض إقنـاع الحكومة البريطانية بالمزايا والفوائد الكبيرة التي تعود على العالم لاسيما بريطانيا من حفر قناة السويس ، فوصل الى لندن في أواخر حزيران من السنة نفسها ، وسعى حال وصوله إلى مقابلة بالمرستون ، وأثناء المقابلة دار الحديث حول مشروع قناة السويس [2]، وطلب دي لسبس من بالمرستون ان يبدي رأيه بصراحة ، فما كان من بالمرستون إلا أن أعاد على مسامعه اعتراضه على المشروع ، وعبر بالمرستون عن خشيته من تهديد علاقات بريطانيا التجارية وخطوط مواصلاتها مع العالم نتيجة لحفر القناة وفتحها ، ففي حالة مرور سفن جميع الدول عبر تلك القناة التي يسيطر عليها الفرنسيون حسب اعتقاد بالمرستون ، ستفقد بريطانيا تفوقها البحري والحربي ، كما عبر بالمرستون عن خشيته من عدم استقرار الأمور في فرنسا مستقبلا ، فمع انه كان يثق بالإمبراطور نابليون الثالث ويطمئن الى موقفه ، الا انه كان يخشى ان لاتستمر هذه الاحوال بعد رحيله [3] .

كانـت آراء بالمرسـتون هـي المعين الـذي فاضـت منـه معارضـة بريطانيـا لمشـروع القناة ، وأراد ان يصارح زائره فقال له بوضوح مانصه : " **مسيو دي لسبس ... لن اتردد في ان اذكر لك مايساورني من المخاوف ، فأنا اخشى اولا ان تنقلب علاقات بريطانيا العظمى التجارية والملاحية اذا فتح هذا الطريق الجديد ، فبوصفه طريقا بحريا عاما تستخدمه جميع الدول سوف يحرمنا من المزايا التي نتمتع بها في الوقت الحاضر ... ثم اعترف لك أيضا انني انظر بعين الخوف الى مستقبل فرنسا غير المأمون ... فهو مستقبل ينبغي ان ينظر اليه السياسي من أكثر نواحيه ظلاما ، وعلى الرغم من اننا نثق بوفاء الإمبراطور وإخلاصه ثقة لاحد لها ... ومن يدري فقد تتغير الامور بعد ان يذهب** " [4] .

---

(1) سامي صالح محمد الصياد ،المصدر السابق ، ص127.

(2) بيير رونوفان ، المصدر السابق ، ص382؛ Gavin,R.J.,Op.Cit,p.94.

(3) سامي صالح محمد الصياد ، المصدر السابق ، ص128.

(4) ج. شونفيلدهيوقناة السويس ، ترجمة : أحمد خاكي ، لجنة التـ ـأليف والترجمـ ـة والنشـ ـر ، بـ ـور سـ ـعيد ، 1945، ص38.

وبعد انتهاء حرب القرم ، سافر دي لسبس مرة أخرى الى بريطانيا ليعيد نشر الدعاية للمشروع ومحاولا كسب التأييد مستغلا احتفالات بريطانيا بمناسبة الصلح ، قابل دي لسبس في لندن بالمرستون وتحدث معه محاولا إقناعه بشتى الوسائل ، الا انه وجده عنيدا وثابتا على موقفه المعارض الذي لايزحزحه شيء ، وكان دي لسبس يعتقد ان معارضة بالمرستون مبنية على أساس فني في الدرجة الأولى ، فكان يرجو لقرار اللجنة الدولية التي الفها دي لسبس من خبراء ومهندسين من عدة دول اوربية ومنها بريطانيا والتي اعلنت امكانية إقامة المشروع ، اثرا في نفس بالمرستون ، الا ان ذلك لم يغير من موقف الأخير المعارض مما أثار استغراب دي لسبس ، حتى قال عنه بتهكم انه جعل نفسه مهندسا بارعا وخبيرا يفوق بخبرته وتجاربه الفنية جميع مهندسي أوربا ، كما قال عنه ايضا : " **انه قدم اكثر وجهات النظر تناقضا وأكثرها تفككا ، وأجرؤ على القول اكثرها جنونا فيما يتعلق بقناة السويس ... انه يعتقد ان فرنسا تنتهج منذ وقت طويل سياسة ميكافيلية ضد بريطانيا في مصر ... وبينما كنت أصغي اليه كنت أسأل نفسي من حين لآخر هل انا في حضرة رجل سياسي او امام رجل معتوه ...**" [1] .

ويتضح من كلام دي لسبس انه قد ذاق ذرعا بمعارضة بالمرستون لمشروعه ، بالرغم من انه دبلوماسيا فرنسيا معروفا قد خدم في السلك الدبلوماسي لمدة طويلة ، لذلك فكر دي لسبس بالالتفاف على بالمرستون من خلال التوجه الى الرأي العام البريطاني لحشد التأييد لمشروعه .

قابل دي لسبس وزير الخارجية البريطاني كلارندون ، ولم تكن تلك المقابلة افضل من مقابلته مع بالمرستون ، اذ لمس رفض كلارندون القاطع لفكرة المشروع ، وفي لندن ايضا تمكن دي لسبس من مقابلة الملكة فكتوريا وزوجها الأمير البرت ، وأوضح لهما السمات الرئيسية للمشروع والفوائد التي يمكن أن تعود على بريطانيا والعالم منه ، الا انه لم يظفر بشيء بسبب تأثير بالمرستون الذي كان حاضرا في اللقاء ، الذي لم يتزحزح ولم يتخلى عن معارضته للمشروع [2] .

لم يكتف بالمرستون بمعارضة مشروع انشاء قناة السويس فحسب بل عمل على اتخاذ إجراءات وخطوات سريعة لتعزيز الدفاعات البريطانية على طول الطريق البحري

---

[1] سامي صالح محمد الصياد ، المصدر السابق ، ص162.

[2] E.Kirk,George,Op.Cit,p.83.

الذي يصل الى الهند خوفا من إنشاء القناة [1] . لذلك اصدر بالمرستون أوامره باحتلال جزيرة بريم كأول تطبيق لهذه الإجراءات وذلك لموقعها الاستراتيجي في مدخل البحر الأحمر الجنوبي قرب عدن ولكونها ملائمة لإنشاء مرفأ عليها ، لقد تم احتلال هذه الجزيرة لمنع الفرنسيين من الاستيلاء عليها في المستقبل وعدّ ذلك القرار مناورة مهمة في السياسة البريطانية إزاء موضوع قناة السويس [2] .

وعلى الرغم من حصول دي لسبس على البيانات التي تؤيد مشروع القناة في بريطانيا وجمعه تلك البيانات على شكل كتيب واهدائه الى أعضاء مجلس العموم ومجلس اللوردات ، الا ان بالمرستون ظل على موقفه المعارض للمشروع ، بل كلما ازداد نجاح دي لسبس في إقناع الرأي العام البريطاني بفائدة القناة للامبراطورية البريطانية ، اشتدت معارضة بالمرستون للمشروع ، وكانت هذه المعارضة هي السبب الرئيس في امتناع الدولة العثمانية عن التصديق على عقد الامتياز [3] .

غير ان هذا الموقف العدائي من قبل بالمرستون وحكومته لمشروع قناة السويس لم يقلل من همة دي لسبس الذي حاول أثناء وجوده في بريطانيا الاتصال بالزعماء البريطانيين الآخرين من أمثال غلادستون ، كما حاول الاتصال بالرأي العام البريطاني لاطلاعه على قيمة المشروع من النواحي العملية والحضارية والإنسانية ، بل انه أرسل خطابات إلى أعضاء البرلمان البريطاني والى إدارة شركة الهند الشرقية البريطانية وأصحاب السفن وأعضاء الغرف التجارية وكبار رجال الصناعة وأصحاب المصارف ، وحاول إقناعهم بفائدة المشروع من الناحية العملية والمالية ، ولم تذهب كل مساعي دي لسبس دون جدوى ، إذ أظهرت شركة الهند الشرقية البريطانية عطفها على مشروعه ، كما أظهرت ذلك أيضا بعض شركات الخطوط الملاحية [4] .

لم يكن الرأي العام البريطاني معارضا للمشروع كما كانت حكومة بالمرستون معارضة له ، فلقد كان جانبٌ منه محبذا للمشروع من الناحية التجارية ، وهذا ما شجع دي لسبس على ان يمضي قدما في مشروعه وفي طريقه ، وان يبين للرأي العام البريطاني ان المشروع ممكن تنفيذه من الناحية العملية ، واعتمد دي لسبس على تقارير

---

(1) E.Kirk,George,Op.Cit ,p.83.
(2) Gavin,R.J.,Op.Cit,p.95.

(3) سامي صالح محمد الصياد ، المصدر السابق ، ص162.
(4) فاروق عثمان اباظة ، المصدر السابق، ص382.

اللجنة الدولية ، التي ايدت انشاء القناة في محاولة للاجابة على اعتراضات بالمرستون في ان المشروع غير ممكن ، فمن الناحية التجارية ان قيمة المشروع لاتقدر بثمن لبريطانيا ، لان طريق القناة سيكون اقرب الطرق الى الشرق وفي هذا توفير للجهد والمال ، واما من الناحية العملية أكد دي لسبس ان تقرير اللجنة الدولية التي تجمع بين أعضائها عددا من كبار المهندسين البريطانيين ، يقول بأن المشروع عملي وممكن تنفيذه ، وقد أيدت هذه التقارير أكاديمية العلوم في باريس والمعهد الإمبراطوري الفرنسي ، واما من الناحية السياسية فبين دي لسبس ان آراء اللورد بالمرستون قائمة على أساس أخطار وهمية على الهند والدولة العثمانية ولاخطر على الاخيرة من مشروع القناة طالما يملك البريطانيون جبل طارق ومالطة وعدن وجزيرة بريم ، اما الدولة العثمانية فمركزها مضمون بالمعاهدات والمواثيق الدولية ، بل ان فتح القناة سيجعل مصر بمنأى عن أطماع الدول الأوربية اذ سيجعل لها مركزا محايدا وفي هذا كما يرى دي لسبس تأييدا للسياسة البريطانية التقليدية في المحافظة على سلامة الدولة العثمانية [1] .

وبعد ان قام دي لسبس بجولة في بريطانيا لتحشيد الرأي العام حول مشروعه دعته زوجة بالمرستون الى مأدبة حضرها زوجها ، فالتقى بدي لسبس ودار حوار بينهما نأتي الى جانب منه في أدناه ، اذ قال له بالمرستون : " **انك تغزونا في عقر دارنا ، لقد اثرت حماس بريطانيا وايرلندا واسكتلندا** " ، فرد دي لسبس : " **حقا ياسيدي إني جئت معتصما بحريتكم التي أقدسها ، لانها تبيح الكلام في المحافل العامة وفي كل مكان ، وفي كل موضوع لايروق للحكومة إطلاقا الخوض فيه او الكلام عنه**" ، فرد بالمرستون : " **انتم تعرفون انني معارض لمشروعكم معارضة صريحة جدا** " ، فقال دي لسبس : " **اعتقد ان الرأي العام الذي لمسته هنا سيتغلب على مقاومة الافراد** " [2] .

كانت من اهم النتائج التي تحققت خلال زيارة دي لسبس ، ان ظهرت حركة موالية للمشروع في داخل مجلس العموم البريطاني ، فضلا عن الرأي العام ، فقد وجه بركلي Berkely احد اعضاء مجلس العموم البريطاني عن دائرة بريستول في جلسة المجلس المنعقدة في السابع من تموز 1857 سؤالا الى بالمرستون يستفسر منه عما اذا كانت

---

(1) محم . . . د مص . . . طفى صد . . . فوت ، انكلت . . . را وقن . . . اة الس . . . ويس المالية والتجارية 1854-1956 . . . ة الكب . . . رى ، الاس . . . كندرية ، 1956، ص32.

(2) هيو ج. شونفيلد ، المصدر السابق ، ص 40-41.

حكومة صاحبة الجلالة تعتزم استعمال نفوذها لدى السلطان العثماني لاستصدار تصديقه على عقد الامتياز الذي منحه الوالي لدي لسبس ، واذا كانت لحكومة جلالة الملكة اعتراضات على هذا المشروع فعليها ان تبين اسباب هذا الاعتراض [1] . فأجاب بالمرستون قائلا : " **ان حكومة جلالة الملكة لايمكن مطلقا ان تتعهد بأن تستعمل نفوذها لدى السلطان لتحمله على ان يسمح بإنشاء هذه القناة ، لان حكومة جلالة الملكة قد استعملت خلال الخمسة عشر عاما الماضية كل نفوذها في اسطنبول لمنع تنفيذ هذا المشروع ، وأعتقد انه احد تلك المشاريع الخيالية التي إن بحثت من الوجهة التجارية فهي لاتعدو ان تكون في عداد المشروعات الوهمية الكثيرة التي قصد بها من حين لآخر التغرير بأصحاب رؤوس الاموال ، واعتقد ان لاسبيل الى تنفيذه من الوجهة المادية الا بنفقات تزيد كثيرا على مايرجى منه من النفع ، لذلك فانني اعتقد ان الذين قد يضعون اموالهم في هذا المشروع ، ان كان في دائرة صديقي العضو المحترم ناخبون قد يفعلون ذلك ، أقول انه قد يرى هؤلاء أنفسهم في آخر الأمر مخدوعين خائبي الأمل ، ومع ذلك لم تعترض الحكومة على هذا المشروع لهذه الأسباب التي ذكرت ، فأنه يجب ان يترك الأفراد وشأنهم فيما يتعلق بمصالحهم الخاصة فإذا هم بدأوا بمشروعات لاسبيل لتنفيذها فسوف يلقون جزاء ما يفعلون ، لكن المشروع مضاد لمصالح هذه البلاد[بريطانيا] ، معارض لسياستها القائمة من حيث العلاقة بين الدولة العثمانية وبين مصر ، وهي السياسة التي ايدتها الحرب [حرب القرم] ومعاهدة باريس ، والميل السياسي الظاهر لهذا المشروع هو ان يسهل انفصال مصر عن الدولة العثمانية ...**"[2] .

واستمر بالمرستون في حديثه قائلا :" **وليس لي الا ان اعبر عن عجبي لمسيو دي لسبس كيف استطاع ان يعتمد كل الاعتماد على تعجل أصحاب رؤوس الأموال من البريطانيين في تصديق كل شيء بحيث ظن انه برحلته في أنحاء المملكة المختلفة يستطيع ان يحصل على أموال بريطانية ليتقدم بمشروع هو في كل شيء ضد المصالح البريطانية ، ولكن لعله سوف يتحقق الغرض الأول الذي وضعه دي لسبس وبعض أنصار المشروع نصب أعينهم على الرغم من انه لا سبيل إلى تنفيذ كل ما تعهدوا به** " [3] .

---

[1] **Lange,Daniel Adolphus,Lord Palmerston and isthmus of Suez Canal two letters addressed to the Editor of "the Times",London,1857,p.3.**

[2] **هيو ج. شونفيلد ، المصدر السابق ص42.**

(3) **Lange,Daniel Adolphus,Op.Cit,pp.4-5.**

وبالرغم من موالاة الرأي العام البريطاني وكثير من غرف الصناعة والتجارة ورجال المال وبعض النواب في مجلس العموم للمشروع الا ان بالمرستون لم يخفف من وطأة معارضته ورفضه القاطع لتنفيذ المشروع ، وعلى الرغم من ان دي لسبس وهو في باريس قد فند اقوال بالمرستون بعد اطلاعه على حديثه الذي القاه في المجلس بمذكرة مسهبة ارسلها الى أعضاء مجلس العموم والهيأة التجارية في بريطانيا ، الا ان بالمرستون اكد ذلك الموقف مرة اخرى في مجلس العموم في جلسته المنعقدة في السابع عشر من تموز 1857 عندما اثير الموضوع مرة اخرى[1] ، وردا على دي لسبس قال بالمرستون : " **ان مايهمنا من مصر هو ان تبقى مرتبطة بالإمبراطورية العثمانية لضمان عدم تبعيتها لاية دولة أوربية ، نحن نريد ان تكون لنا نشاطاتنا التجارية مع مصر ، ولكننا لانريد تحمل مسؤولية حكم مصر** " [2] .

لم يتمكن بالمرستون من صرف الرأي العام البريطاني عن تأييد مشروع القناة ولاسيما بعد ان وقع من الأحداث ما يدعم موقفهم هذا ومنها ثورة الهند 1857 التي كانت تستدعي إرسال قوات بريطانية على جناح السرعة لإخمادها ، ومن جانب آخر فقد عارض غلادستون موقف بالمرستون ، اذ قال مخاطبا اياه : " **ليس في أوربا دولة واحدة لم تعلم ان معارضة بريطانيا لهذا المشروع لاتقوم على أساس صادق ، وانها لم تكن الا سياسة تقوم على الأنانية ، أليس من الواضح ان اوربا جميعا سوف تستنتج ان السبب الأساسي في معارضتكم انما يرجع الى انكم تحسبون ان القناة سوف تضر بالإمبراطورية البريطانية ، وان المصالح العثمانية التي تتظاهرون بالدفاع عنها ما هي الا ذريعة للنفاق أقحمتموها إقحاما لتسوغوا بها سياستكم ، ان بريطانيا ستستفيد من القناة اكثر مما تستفيد أي دولة اخرى** " [3] .

اما موقف الدولة العثمانية من مشروع دي لسبس فقد صرح عنه علنا رشيد باشا الصدر الأعظم لسفير النمسا في القسطنطينية في كانون الأول 1857 في ان الحكومة العثمانية تطالب الدول الأوربية الكبرى بأن تصل إلى اتفاق عام ، كما أرسلت وزارة الخارجية العثمانية في الرابع من كانون الثاني 1858 مذكرة إلى الحكومة البريطانية

---

[1] سامي صالح محمد الصياد ، المصدر السابق ، ص171.

[2] Quoted in: Flint , John E. , The Cambridge History of Africa , Vol.5 , London , 1976 , p.493.

[3] نقلا عن : سامي صالح محمد الصياد ، المصدر السابق ، ص172.

أكدت فيها أن الحكومة العثمانية لن توافق على مشروع القناة إلا إذا أقرته الحكومة البريطانية ، أما الحكومة البريطانية فلم يتغير موقفها الرافض لمشروع القناة بالرغم من سقوط وزارة بالمرستون [1] في شباط 1858 وتشكيل وزارة دربي التي واصلت سياسة الحكومة السابقة فيما يتعلق بمعارضة مشروع القناة [2] .

3- موقف بالمرستون من الحرب الأفغانية الثانية 1856-1857

تجددت الأطماع الفارسية في هرات أثناء تولي ناصر الدين شاه العرش الفارسي (1848–1896) ، وعندما شعرت الحكومة البريطانية بذلك هددت شاه فارس باحتلال جزيرة خرج في الخليج العربي ، وسحب القنصل البريطاني من طهران [3] ، ولذلك أذعنت الحكومة الفارسية للتهديد البريطاني وتم التوصل الى اتفاقية بين الجانبين بشأن هرات في الخامس والعشرين من كانون الثاني 1853 كان من أهم شروطها تعهد الشاه بعدم إرسال قوات عسكرية إلى هرات مستقبلا [4] . وعند اندلاع حرب القرم وتشكيل حكومة بالمرستون في السادس من شباط 1855 ، نصحت بريطانيا الحكومة الفارسية بالتزام الحياد ، وطلب وزير الخارجية البريطاني كلارندون من تشارلس موراي Charles Murray الوزير المفوض البريطاني في طهران في المدة (1854–1858) بتذكير الشاه بالتزام الحياد لضمان سلامة بلادة ، كما أوعز كلارندون إلى موراي بإبلاغ الشاه بان أي خطوة يقوم بها للتحالف مع الروس سوف تعد بمثابة إعلان للحرب ضد بريطانيا إلا إن الشاه لم يكن جادا في التحالف مع الروس [5] .

---

(1) استمر بالمرستون في اتباع سياسته التقليدية في معارضة مشروع قناة السويس بعد عودته لرئاسة الحكومة في 1859 ، ... الصحف البريطانية الموالية له مثل المورننغ بوست Morning Post والديلي نيوز Daily News والتايمز Times ... مشروع القناة ... رأي العام على معارضته ، ومع ان بالمرستون نجح في ثني السلطان من المصادقة على مشروع القناة الا ان الوضع ... بالرغم من ... طويلا ... بالمرستون ... السلطان على الامتياز ، وبعد ... بالمرستون ... ضمانات من الفرنسيين ، فجرت مفاوضات بريطانية- فرنسية في كانون الثاني عام 1864 بين السير هنري بولوير Sir Henry Bulwer ونابليون الثالث اشترط البريطانيون ان تتعهد شركة القناة بأن لاتنشيء مستعمرة اجنبية في منطقة القناة ... عسكرية فيها ، وبعد وفاة بالمرستون في تشرين الاول 1865 ... الحكومة العثمانية في التاسع عشر من آذار 1866 موافقتها على المشروع ، للمزيد ينظر : سامي صالح محمد الصياد ، المصدر السابق ، ص ص230-236 ؛ مصطفى صفوت ، المصدر السابق ، ص35 ؛ خضر ، المصدر السابق ، ص212.

(2) سامي صالح محمد الصياد ، المصدر السابق ، ص ص174-176.

(3) Volodarsky,Mikhail,Persia and the great powers 1856-1869,Middle Eastern Studies,Vol.19,No.1,(Jan.1933),p.75.

(4) جون كيلي ، المصدر السابق ، ج2،ص85.

(5) فواز مطر نصيف الدليمي ، التنافس البريطاني-الروسي في منطقة الخليج العربي 1798-1907، ص114.

بدأ ناصر الدين شاه يفكر من جديد باحتلال هرات واستغل مسألة تعيين موراي في الرابع من تشرين الثاني 1855 لهاشم خان عديل الشاه موظفا في المفوضية البريطانية في شيراز ، فاعترض الشاه بحجة انه موظف لدى الحكومة الفارسية ، ولم يفصل منها رسميا ، وبعد تأزم الموقف أغلق موراي في الخامس من كانون الأول عام 1855 المفوضية البريطانية وغادر طهران [(1)] ، انقطعت العلاقات الدبلوماسية في الخامس من كانون الأول بين بريطانيا وشاه فارس ، فاعتقد الأخير أن ذلك سيسهم في تنفيذ خططه في هرات ، وصلت أخبار هذه القطيعة إلى لندن في وقت كان بالمرستون ومجلس وزرائه مشغولين بمناقشة المراحل الأخيرة لحرب القرم ، فاستغل الشاه الوضع وأرسل حملة عسكرية إلى هرات في آذار 1856 ، وفرضت قوات الشاه حصارا على المدينة [(2)] .

وضعت حرب القرم أوزارها عندما تم توقيع معاهدة باريس في الثلاثين من آذار 1856 ، وبذلك تفرغ بالمرستون لمسألة الغزو الفارسي لإقليم هرات [(3)] ، وكتب بالمرستون إلى جون رسل : " **إن نجاح الشاه في أفغانستان سيكون خطرا جدا ومحرجا لنا في الهند** " [(4)] ، وازداد قلق بالمرستون من أن تحاول روسيا تعويض خسارتها في حرب القرم من خلال إقناع الشاه بالتمسك باحتلال هرات [(5)] ، وعلى الرغم من إنكار وزير الخارجية الروسي غورجاكوف Gortchakov (1798-1883) لهذا الأمر وعبر عن استعداده للتوسط بين الطرفين لحل النزاع إلا أن الإستراتيجية البريطانية تجاه أفغانستان بعد حرب القرم ظلت ثابتة على إنها خط الدفاع الأول عن الهند [(6)] .

وفي الخامس من تموز 1856 اجتمعت حكومة بالمرستون لبحث الوسائل التي تكفل انسحاب الفرس من هرات ، وكان بالمرستون ووزير خارجيته كلارندون من أنصار المواقف المتشددة [(7)] ، غير ان زملاءهم لم يشاطروهم هذا الرأي ، كحل وسط تم تكليف الحاكم العام للهند اللورد شارل جورج كاننغ Charles John Canning[(8)] (1812-

---

[(1)] **Alder,G.J.,Op.Cit,pp.199-200.**

[(2)] **عبد العزيز سليمان نوار ، المصدر السابق ص446.**

[(3)] **Alder,G.J.,Op.Cit,p.201.**

[(4)] **Guedalla,Philip,Op.Cit,p.178.**

[(5)] **Volodarsky,Mikhail,Op.Cit,p.75.**

[(6)] **Guedalla,Philip,Op.Cit,p.178.**

[(7)] **جون كيلي ، المصدر السابق ، ج2،ص ص105-106.**

[(8)] **هو ابن كاننغ رئيس الوزراء البريطاني عام 1827 تولى العديد من المناصب منها وكيل وزارة في وزارة السير روبرت بيل الاولى 1841-1846، ومدير عام للبريد في المدة 1853-1855 في عهد وزارة ابردين ، وفي عام 1856 اصبح الحاكم العام للهند في وزارة بالمرستون الاولى ، وعين عام 1858 ...**

1862-1856/1862) في العاشر من تموز بتأييد حاكم كابول دوست محمد بالزحف على هرات لإنقاذها وتزويده بالأسلحة اللازمة ، كما بعث كلارندون بإنذار إلى الحكومة الفارسية يحذرها فيه " **أنه اذا مالم يتم سحب الجيش الفارسي فورا من هرات فأن الحكومة البريطانية سوف تضطر الى اتخاذ الإجراءات التي تحفظ لها كرامتها ومصالحها** " [1] .

دفع القلق البريطاني المتنامي على مصير هرات بالمرستون إلى إصدار تعليمات في الحادي والعشرين من تموز 1856 إلى حكومة الهند باتخاذ التدابير الفورية لإعداد حملة عسكرية لاحتلال جزيرة خرج وميناء بوشهر الفارسي على الخليج العربي على الرغم من اختلاف وجهات النظر في مجلس الوزراء البريطاني بشأن إرسال الحملة [2] ، وفي السادس والعشرين من أيلول أصدر بالمرستون أوامره إلى كاننغ الحاكم العام للهند بإرسال حملة إلى الخليج العربي ، وبلغ عدد أفراد الحملة البريطانية حوالي (5720) من المشاة والخيالة أبحروا على متن حوالي خمسة وأربعين سفينة بريطانية ، وقد عين الجنرال ستالكر Stalker من قوات بومباي قائدا للحملة [3] .

وفي السادس والعشرين من تشرين الأول سقطت هرات بأيدي القوات الفارسية مما دفع حكومة الهند إلى إعلان الحرب رسميا على حكومة الشاه في الأول من تشرين الثاني 1856 ، وأصدر اللورد كاننغ في اليوم نفسه بيانا نص على أن الحكومة الفارسية أجبرت بريطانيا على استخدام وسيلة القوة العسكرية لإرغامها على الالتزام بتعهداتها حول هرات وإلا فإنها ستتعرض للخطر الفارسي المدعوم من روسيا مما يشكل تهديدا لأمن الهند [4] ، وفي غضون ذلك كانت هناك مفاوضات بريطانية-فارسية جارية في اسطنبول طوال عام 1856 لتسوية الخلافات بين الطرفين سلم فيه ستراتفورد كاننغ السفير البريطاني في اسطنبول في الثاني والعشرين من تشرين الثاني 1856 إنذارا إلى فاروق خان الممثل الفارسي أكد على ضرورة انسحاب قوات الشاه من هرات ، وعند سماع

في الهند بعد ان اصبحت الهند تحت ادارة الحكوم . ـة البريطاني . ـة وق . ـام بالعدي . ـد م . ـن المش . ـاريع الإص . ـلاحية ف . ـي لهنا . ـد ، للمزيد من التفاصيل ينظر:

Charles John Canning-Wikipedia,The Free Encyclopedia

(1) مقتبس في : جون كيلي ، المصدر السابق ، ج2،ص106.

(2) فواز مطر نصيف الدليمي ، التنافس البريطاني-الروسي في منطقة الخليج العربي 1798-1907، ص117.

(3) عبد العزيز سليمان نوار ، المصدر السابق،ص 448.

(4) فواز مطر نصيف الدليمي ، التنافس البريطاني-الروسي في منطقة الخليج العربي 1798-1907، ص118.

فـاروق خـان نبـأ إعـلان الحـرب علـى بـلاده قطـع المفاوضـات وغـادر اسـطنبول إلـى بلاده [1].

تمكنت الحملة البريطانية في الرابع من كانون الأول 1856 من احتلال جزيرة خرج ، وفـي تلـك الأثنـاء تعرض بالمرستون لانتقادات لاذعـة مـن لـدن خصـومه المحـافظين لاسيما اللورد دربي نتيجة لسرعة إعلانه الحرب على بلاد فارس ، واضطر بالمرستون إلـى تعديل موقفه المتشدد تجاه بلاد فارس ، بينما أدركت الحكومة الفارسية علـى أثر هزائمها المتلاحقة انه لا يمكنها الصمود أمام القوات البريطانية لاسيما بعد احتلال تلك القوات لميناء بوشهر اواخر كانون الأول 1856 [2] ، وكان بالمرستون حتى تلك اللحظة يعتقد أن احـتلال جزيـرة خـرج وميناء بوشـهر الفارسـي علـى الخلـيج العربـي سـوف يـدفع الفرس على الانسحاب من هرات ، غير أن اللورد كاننغ اختلف معه واعتقد ان الشاه لن يخضـع إلا بـالزحف إلـى عمـق الـبلاد . اسـتؤنفت المفاوضـات البريطانيـة-الفارسـية فـي الأول من شباط 1857 في باريس بين السفير البريطاني في باريس كاولي وفاروق خان وعـرض الأخيـر اسـتعداد بـلاده للانسـحاب مـن هـرات والتعهـد بعـدم مهاجمتهـا مسـتقبلا وإحالـة الخلافات مع أفغانستان للوساطة البريطانية بشرط ان تتعهد الحكومة البريطانية بمنع القبائل الأفغانية من مهاجمة الحدود الفارسية [3].

فضل بالمرستون عقد المفاوضات في باريس بسبب الانتقادات التي تعرض لها في بريطانيـا مـن لـدن مجلـس العمـوم والصـحافة ضـد الحـرب علـى بـلاد فـارس ، واقتنـع بالمرستون بضرورة إنهاء الحرب لخشيته من احتمال حدوث محاولات فرنسية او روسية للوقوف الى جانب الشاه واستغلال الظرف الذي تمر به بريطانيا [4] ، لاسيما وان بوادر الثـورة فـي الهنـد كانـت تلـوح فـي الأفـق بالإضـافة إلـى تـأزم العلاقـات البريطانيـة مـع الصين [5] . وكانت القوات البريطانية بقيادة الجنرال اوترام Outram Genral ، الذي حل محل الجنرال ستالكر في السابع والعشرين من شباط 1857 قائدا عاما للحملة ، قد احتلت المحمرة فـي السـادس والعشـرين مـن آذار وكـادت ان تسيطر علـى إقليم الاحـواز

---

[1] Alder,G.J.,Op.Cit,p.202.

[2] فواز مطر نصيف الدليمي ، التنافس البريطاني-الروسي في منطقة الخليج العربي 1798-1907، ص ص118-119.

[3] جون كيلي ، المصدر السابق ، ج2، ص112.

[4] Sanders,Lloyd,Op.Cit,p.183.

[5] Trollope,Anthony,Op.Cit,p.177.

بأكمله لولا وصول نبأ عقد معاهدة السلام في باريس في الرابع من آذار ، وتمت المصادقة عليها من الشاه في الثالث عشر من نيسان ومن موراي الوزير المفوض البريطاني في طهران في الثاني من آيار 1857 (1) .

تألفت المعاهدة من أربعة وعشرين بندا أهمها الانسحاب الفارسي من هرات ومن كل جزء من أفغانستان والامتناع عن التدخل في شؤونها الداخلية ، كما نصت على تعيين قناصل بريطانيين في بلاد فارس على قدم المساواة مع روسيا ، وأن يكون للخدم والرعايا الذين توظفهم الحكومة البريطانية المزايا والحصانات نفسها التي يتمتع بها الخدم والرعايا التابعين لروسيا ، وتضمنت المعاهدة عودة المفوضية البريطانية وبعثتها الدبلوماسية إلى طهران واستقبالها بشكل لائق (2) . ويمكن القول إن المعاهدة أوجدت نوعا من التوازن في المصالح بين بريطانيا وروسيا في بلاد فارس ، وهذا مالاحظه العديد من المهتمين ، بما فيهم جريدة التايمز التي علقت في عددها الصادر في الثاني عشر من حزيران 1857 ، بأن المعاهدة نجحت في تحقيق الهدف البريطاني في الحرب ، بإبقاء بلاد فارس في حالة سلام واحترام متبادلة مع جيرانها ، وتأكيد الوضع الراهن وترك الطموحات الوهمية وأضافت : " **إننا لم نحتل بلاد فارس ولم نخطط للسيادة عليها ، إننا فقط علمناها أن تترك الآخرين وشأنهم ، وأن تكون مستقلة عن الآخرين** " (3) .

ومن الملاحظ انه بالرغم من معارضة بعض أعضاء مجلس العموم البريطاني فأن بالمرستون استطاع أن يقنع الرأي العام البريطاني والصحافة البريطانية بضرورة إجبار شاه فارس على احترام استقلال هرات وعدم التدخل في شؤونها ، وهو الأمر الذي برره بالمرستون في حربه ضد الشاه ، وبذلك حقق بالمرستون هدفه من تلك الحرب إلى حد ما بإيقاف التسلل الروسي باتجاه أفغانستان مما يشكل تهديدا لأمن الهند البريطانية .

4- موقفه من ثورة الهند 1857

شهدت وزارة بالمرستون الأولى حدوث ثورة في الهند عام 1857 ، نتيجة للأوضاع الاقتصادية المتردية اذ تضررت الصناعة المحلية واليدوية في الهند بعد غزو البضائع البريطانية لأسواق الهند ، وأصبح العديد من الصناعيين والنساجين الهنود عاطلين عن

---

(1) **Alder,G.J.,Op.Cit,p.202.**

(2) **Hurewitz,J.C.,The Middle East and North Africa,p.341.**

(3) **مقتبس في : فواز مطر نصيف الدليمي ، التنافس البريطاني-الروسي في منطقة الخليج العربي 1798-1907، ص 121.**

العمل [1] ، بالإضافة إلى استياء الهنود من سياسة التبشير التي مارسها البريطانيون في الهند ، كما أن بعض الأمراء المحليين الهنود استاؤوا نتيجة لعزلهم من مناصبهم وحرمانهم من رواتبهم ، وبلغ استياء الهنود ذروته عندما جلب البريطانيون في كانون الثاني 1857 بنادق جديدة إلى الهند ، وكانت الذخيرة المستخدمة في تلك البنادق مزيتة وأشيع بان ذلك الزيت هو خليط من دهن البقر (الحيوان المقدس لدى الهندوس) وشحم الخنزير (الحيوان المحرم لدى المسلمين) [2] ، وفرض البريطانيون على من يستخدمها قضمها بفمه قبل وضعها في البندقية ، وأدى ذلك إلى تصاعد روح التحدي وعصيان الجنود لأوامر قادتهم البريطانيين في آذار من عام 1857 ، وفي شهر آيار توسعت أعمال العنف في مناطق مختلفة من الهند لتبدأ ما أطلق عليه اسم ثورة الهند [3].

ويبدو أن الأسباب التي ذكرناها قد تفاعلت جميعا وأدت إلى حدوث الثورة مصحوبة بازدياد النقمة الشعبية ضد الاحتلال البريطاني وضد السياسة الاحتكارية لشركة الهند الشرقية البريطانية التي تدير الهند بصورة شبه مستقلة ، وهذا ما يفسر مطالبة بالمرستون بعد إخماد الثورة بنقل إدارة شؤون الهند من شركة الهند الشرقية إلى الحكومة البريطانية .

توقع الحاكم العام للهند اللورد كاننغ نظرا للمعطيات السابقة حدوث الثورة فقد قال بهذا الخصوص : " **في سماء الهند ، مهما كانت صافية ، هناك غيمة صغيرة قد تنشأ أول الأمر على نحو لاتتجاوز كف يد الإنسان ، ولكنها ستصبح اكبر فأكبر ، وقد تهدد في النهاية بالانفجار** " [4] . أما رئيس الوزراء البريطاني بالمرستون فقد كان مدركا أن المحافظة على الهند قد يتطلب استخدام القوة العسكرية ، فقد أكد قائلا : " **ليس بوسع أي فرد أن يتظاهر بالقول إننا قد لا نضطر للدفاع عن الهند في الهند** " [5] ، وكانت خسارة الهند بالنسبة لبالمرستون كارثة حقيقية [6].

---

(1) رنا عبد الجبـ ـار حسين الزهيـ ـري ، سياسـ ـة بريطاني ـ ـا تجـ ـاه الهنـ ـد 1764-1858، أطروحـ ـة دكتـ ـوراه ، كليـ ـة الآداب ، جامعة بغداد ، 2011،ص ص163-164.

(2) **Hayes,Carlton J.H.,A political and cvltvral history of modern Europe,New York(n.d.),Vol.2,p.66.**

(3) **Schultz,Harold J.,Op.Cit,p.242.**

(4) مقتبس في : نـ ـايف محمد الاحبـ ـابي ، الإدارة البريطانيـ ـة فـ ـي الهنـ ـد 1858-1905، أطروحـ ـة دكتـ ـوراه ، كليـ ـة الآداب ،جامعة بغداد، 1997، ص ص54-55.

(5) مقتبس في : رنا عبد الجبار حسين الزهيري ، المصدر السابق ن ص17.

(6) **Cecil,Algernon.Op.Cit,p.178.**

أظهـر بالمرسـتون ثقـة بـالنفس وحكمـة بالتصـرف إزاء أحـداث الثـورة فـي الهنـد [1] ،لاسـيما وان الأخبـار التـي وصـلت بريطانيـا فـي حزيـران 1857 كانـت سـيئة وأكدت احتلال الثوار لمدينة دلهي ، وارتكابهم المجازر ضد الجنود البريطانيين وعوائلهم في الهند [2] . في حين ان الملكة فكتوريا أصيبت بالذعر عندما قرأت التقارير القادمة من الهند وبناءً على ذلك حثت بالمرستون على اتخاذ موقف حازم وعاجل لقمع الثورة وكتبت لـه بهذا الخصوص : " **يجب ان تكرر الملكة على اللورد بالمرستون بأن الإجراءات التي اتخذتها الحكومة لاتتناسب مع حجم الأزمة** " [3] .

بدأت القوات البريطانية في الهند بالزحف باتجاه دلهي منتصف حزيران ، وفي السادس والعشرين من حزيران 1857 ، أرسل بالمرستون رسالة إلى الملكة أوضح لها فيها انه من الأفضل تأجيل عملية إرسال التعزيزات البريطانية إلى الهند لحين وصول التقارير السرية من هناك لان القوات البريطانية قريبة من دلهي [4] ، واقترح بالمرستون على الملكة إرسال جزء من هذه التعزيزات وحسب الحاجة ، وتنفيذا لرغبة الملكة عزز بالمرستون القوات البريطانية في الهند ، وأرسل مابين الأول من تموز وحتى نهاية أيلول حولي ثلاثين ألف جندي وثمانين سفينة حربية بريطانية [5] .

وفي الرابع من تموز 1857 ، أرسل الحاكم العام للهند اللورد كاننغ رسالة إلى الملكة يبلغها فيها بوصول القوات البريطانية قرب مدينة دلهي ، وان القوات البريطانية تفرض سيطرتها على معظم المدن الهندية [6] ، واعترف اللورد كاننغ بخطورة الثورة عندما قال : " **كان الصراع الذي خضناه أشبه مايكون بحرب وطنية ، لامجرد عصيان محلي مسلح ، فقد اتصفت المواجة بحجمها واتساعها ونفقاتها ، وبعض من صفاتها المعنوية بصفات الحرب الوطنية** " [7] .

---

(1) Ritchie,J.Ewing,Op.Cit,Vol.II,p177.

(2) Justic for India A letter to Lord Palmerston,by plain speaker,London,1858,pp.4-6.

(3) رنا عبد الجبار حسين الزهيري ، المصدر السابق ، ص171.

(4)Trevelyan,George Macaulay,British History in the Nineteenth Century and after 1782-1919,London,(n.d.),p.321.

(5) Guedalla,Philip,Op.Cit,p.345;Cecil,Woodham Smith,Op.Cit,p.382.

(6) حيدر صبري شاكر الخيقاني ، الملكة فكتوريا ، ص126.

(7) مقتبس في : نايف محمد حسن الاحبابي، المصدر السابق ، ص71.

اقتنع بالمرستون أثناء الثورة الهندية بضرورة إجراء تعديل في النظام الإداري في الهند [1] ، وساد شعور في جميع أنحاء بريطانيا بأن إدارة الهند يجب نقلها إلى التاج البريطاني [2] ، ونشرت صحيفة التايمز في السادس والعشرين من تموز 1857 مقالا بعنوان التمرد الهندي The Indian Mutiny جاء فيه : " **إن عدد الذين يفضلون إجراء تغيير في حكومة الهند ليس بالقليل وهم يعتقدون بأن مثل هذا التغيير في اللحظة الحاضرة يشكل امتيازا للمعارضة الثائرة في الجيش ، واستعادة السلطة غير المتنازع عليها كما كانت قبل أعمال التمرد الأخير ، وان إعلان حكم الهند باسم التاج وجعل الجيش البريطاني في الهند جيشا ملكيا يدين بالولاء للمملكة ويعمل لخدمتها سوف يدل على نهاية السياسة المتأرجحة والمثيرة للاعتراض في المرحلة السابقة إلى الأبد** " [3] .

سقطت دلهي نهائيا بأيدي القوات البريطانية في أيلول 1857 ، وبدأت تلك القوات تعيد سيطرتها تدريجيا على معظم المناطق الخاصة بالثوار [4] ، وكرر بالمرستون انتقاده لمساوئ إدارة شركة الهند الشرقية ، وقال في خطاب أمام مجلس العموم " **ان المبدأ الأساس لنظامنا السياسي ربط كل الوظائف الإدارية بالمسؤولية الوزارية ، المسؤولة تجاه البرلمان ، المسؤولة تجاه الرأي العام ، المسؤولة تجاه التاج ، ولكن في هذه الحالة إن الوظائف الرئيسية في حكومة الهند مرتبطة بهيأة ليست مسؤولة أمام البرلمان ، وليست معينة من قبل التاج ، بل إنها منتخبة من أشخاص ليس لهم ارتباط بالهند إلا من خلال الامتلاك البسيط لهذا الكم من الأسهم**" [5] .

استغرب بالمرستون ان يكون بلد بهذا الاتساع وهذه الكثافة السكانية مثل الهند قد وضع تحت رعاية وإدارة شركة مرخصة [6] ، لذا اقترح إلغاء مجلس المديرين والمالكين والاستعاضة عنهما برئيس لتلك الهيئتين ، وهو وزير في الحكومة البريطانية ، على ان يساعده مجلس من ثمانية أعضاء يرشحهم التاج من بين المديرين في شركة الهند الشرقية او الضباط البريطانيين الذين خدموا في الوظائف المدنية والعسكرية مدة معينة ،

---

(1) **Schultz,Harold J.,Op.Cit,p.242.**

(2) **Cecil,Algernon.Op.Cit,p.178;Traill,H.D.&Mann,J.S.,Op.Cit,p.356.**

(3) **رنا عبد الجبار حسين الزهيري ، المصدر السابق ، ص171.**

(4) **Trevelyan,George Macaulay,Op.Cit,p.322.**

(5) **نايف محمد حسن الاحبابي، المصدر السابق ، ص71.**

(6) **Cecil,Algernon.Op.Cit,p.178.**

او أولئك الذين كانوا قد أقاموا في الهند حقبة محددة من غير أن يرتبطوا بالإدارة المحلية [1] .

وفي الرابع عشر من كانون الثاني 1858 تعرض نابليون الثالث لمحاولة اغتيال في باريس على يد شخص ايطالي اسمه أورسيني Orsini ،وهو مهاجر ايطالي في بريطانيا ، وأظهرت التحقيقات الفرنسية أن السلاح الذي استخدمه ذلك الشخص هو سلاح بريطاني [2] ، وفي العشرين من كانون الثاني أرسل وزير الخارجية الفرنسي ويلوسكي رسالة إلى سفيره في لندن للاحتجاج لدى الحكومة البريطانية وإبلاغها بأن عملية الاغتيال خطط لها في لندن [3] ، خشي بالمرستون من تدهور العلاقة مع فرنسا ، واقترح في التاسع من شباط مشروع قانون سمي بقانون التآمر على القتل Conspiracy to Murder Bill الذي عدّ التخطيط في بريطانيا لقتل شخص ما جريمة ، وفي جلسة مجلس العموم المنعقدة في التاسع عشر من شباط 1858 ، لم يحظ قانون بالمرستون بالتأييد اللازم ، وأتهمه خصومه المحافظين وأنصار السير روبرت بيل بأنه انحاز أكثر من اللازم إلى فرنسا ، وعلى أثرها قدم بالمرستون استقالته في العشرين من شباط إلى الملكة [4] .

---

(1) **Hayes,Carlton J.,Op.Cit,Vol.2,p.67.**

(2) **Hearder,H.,Napoleon III Threat to break off diplomatic relations with England during the Cricic over the Orsini attempt in 1858,The English Historical Review,Vol.22,No.284,Oxford,(July.1957),p.474.**

(3) **Cecil,Woodham Smith,Op.Cit,p.392.**

(4) **Butler,James,A history of England 1815-1939,London,1960,p.125.**

ثانيا : وزارة بالمرستون الثانية 1859- 1865

خلف بالمرستون في رئاسة الوزراء ائتلاف دربي ودزرائيلي Disraeli[1] (1804-1858/1881-1859) في العشرين من شباط 1858 [2] ، وفي عهد وزارة دربي صدر قانون الهند في الثاني من آب 1858 ، وبموجبه ألحقت الهند بالتاج البريطاني مباشرة ، وبقي اللورد كاننغ في منصبه ، وأصبح يدعى بنائب الملكة في الهند بدلا من الحاكم العام ، ويساعده مجلس يتألف من عدد من الموظفين [3] . وفي الانتخابات التي جرت في آيار عام 1859 ، أخفق المحافظون في الفوز فيها اذ لم يحصلوا سوى على 298 مقعدا بينما حصل الاحرار على 356 ، الأمر الذي دفع دربي إلى الاستقالة في حزيران 1859 ، وحاولت الملكة تجاهل بالمرستون ورسل ، فكلفت اللورد غرانفيل Lord Granville [4] (1815-1891) بذلك المنصب ، ولعل السبب في ذلك انه أسهل انقيادا من بالمرستون . ويبدو أن الملكة استهدفت من اختيار غرانفيل إهانة بالمرستون لان غرانفيل اصغر منه سنا بحوالي الثلاثين عاما ، في حين أن بالمرستون كان هو الأجدر بتشكيل الحكومة ، كما ان غرانفيل هو الشخص الذي عينته الملكة وزيرا للخارجية عام 1851 بعد إقالة بالمرستون ورغم ذلك أبدى بالمرستون استعداده للعمل بالوزارة الجديدة خدمة لمصلحة البلاد [5].

لم يستطع غرانفيل تشكيل الحكومة لرفض معظم السياسيين الكبار العمل تحت امرته ، فاضطرت الملكة لتكليف بالمرستون بتشكيل الوزارة ، فشكلها في الثاني عشر من حزيران 1859[6] ، وأصبح جون رسل وزيرا للخارجية وغلادستون وزيرا للمالية [7] .

---

(1) ن دزرائيلي ، سياسي وروائي بريطاني من المحافظين ، ولد في لندن في الحادي والعشرين من كانون الاول من والد ايطالي ذي جذور يهودية تولى وزارة الخزانة في وزارة دربي من شباط 1852 الى كانون الاول 1852 ، رئاسة الوزراء مرتين الاولى في المدة شباط 1868 - كانون الاول 1868 والثانية شباط 1874- نيسان 1880، للمزيد من التفاصيل ينظر: The New Encyclopedia Britannica,Vol.4,p127.

(2) Cecil,Woodham Smith,Op.Cit,p.393.

(3) Traill,H.D.&Mann,J.S.,Op.Cit,p.356.

(4) جورج لفسون غرانفيل George Leveson Granville سياسي ورجل دولة بريطاني ينتمي الى حزب الاحرار ، ولد في لندن وأكمل دراسته في كلية ايتون Eton College وكلية المسيح Christ Church في اكسفورد وأصبح عضوا في البرلمان عام 1836 عن حزب الويك ، وخلف بالمرستون بعد اقالته من وزارة الخارجية ، وشغل المنصب ثلاث مرات كانون الاول 1851 - شباط 1852 و 1870-1874 و 1880-1885 للمزيد ينظر : The New Encyclopedia Britannica,Vol.5,p427.

(5) Trollope,Anthony,Op.Cit,p.186.

(6) انظر الملحق رقم (7) .

(7) Ritchie,J.Ewing,Op.Cit,Vol.II,p.286.

1-موقف بالمرستون من حرب الافيون الثانية 1857-1860

اندلعت حرب الأفيون الثانية بين بريطانيا وفرنسا من جهة وبين الصين من جهة أخرى ، وكان من أسبابها اعتراض بريطانيا على محاولة الصين على عدم الالتزام بشروط معاهدة نانكنج الموقعة بين البلدين في آب 1842 [1] ، وفكر بالمرستون في إجبار الصين على الالتزام بالمعاهدة ، وجاءت الفرصة أثناء حدوث اضطرابات ونزاعات داخلية في الصين عام 1853 ، وفي شباط 1854 اقترح بالمرستون على فرنسا الاستفادة من الحرب الأهلية لإجبار الصين على الانفتاح بشكل اكبر على التجارة البريطانية والفرنسية ، وتطبيق المعاهدات السابقة ، وكان بالمرستون يرغب بتوسيع التجارة مع الصين خارج الموانئ الخمسة التي حصلت بريطانيا عليها بموجب معاهدة نانكنج ، وعمل على تحقيق ذلك بالتعاون مع فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية [2] .

وفي عام 1854 ، اجتمع ممثلوا بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية مع ممثلي الحكومة الصينية لمناقشة تطبيق معاهدة نانكنج وتعديل بعض بنودها ، وطلب الممثلون الأوربيون شروطا تعجيزية على الحكومة الصينية منها حرية الدخول الى جميع أجزاء الإمبراطورية الصينية وإباحة تجارة الأفيون والخنازير وحرية الملاحة في الأنهار الصينية ، وغير ذلك من الشروط التي رفضتها الحكومة الصينية [3] . انتهز بالمرستون توقيف الشرطة الصينية إحدى السفن الصينية التابعة لبريطانيا عام 1856 والتي كانت ترفع العلم البريطاني ليبرر شن الحرب على الصين [4]، ولإقناع الرأي العام البريطاني بضرورة تلك الحرب ، كما انتهزت فرنسا مقتل احد المبشرين الفرنسيين الكاثوليك في الصين للانضمام إلى بريطانيا ، في حين أن الولايات المتحدة اكتفت بتقديم دعمها الدبلوماسي [5] .

بدأت القوات البريطانية والفرنسية مطلع عام 1857 توغلها داخل الأراضي الصينية ، وحققت انتصارات متتالية واستولت على مدينة كانتون [6] ، وفي أثناء حرب الأفيون

---

[1] حيدر صبري شاكر الخيقاني ، اللورد بالمرستون ، ص275.
[2] بيير رونوفان ، المصدر السابق ، ص ص 350-351.
[3] ك.م.بانيكار ، المصدر السابق ، 139.
[4] Lord Palmerston's Foreign Policy in and out of Europe,by:A late Resident in China,London,1857,pp.11-12.
[5]Newth,A.M.,Op.Cit,p.82.
[6] Guedalla,Philip,Op.Cit,p.343.

الثانية واجه بالمرستون معارضة داخلية شديدة من لدن زعماء المحافظين وأنصار روبرت بيل لاسيما غلادستون ودزرائيلي وجون برايت ، ولمواجهة خصومه أعلن رئيس الوزراء بالمرستون حل البرلمان في نيسان 1857 [1] ، وطلب بالمرستون من ناخبيه في الانتخابات البرلمانية مساندة ودعم حزب الأحرار والحكومة للوقوف بوجه الصين موضحا أن أرواح البريطانيين وممتلكاتهم في الصين بخطر . وألقى بالمرستون خطابا إلى ناخبيه في تيفرتون مدافعا عن سياسته تجاه الصين قائلا : " **لقد تم الاعتداء على العلم البريطاني من قبل سلطة همجية بربرية متغطرسة في كانتون ... خرقت جميع المواثيق والمعاهدات باعتدائها على اتباع التجار البريطانيين** " [2] .

فاز بالمرستون في انتخابات نيسان 1857 ، اذ حقق حزبه نجاحا باهرا وحصل على 390 مقعدا فيما حصل المحافضون على 264 مقعدا فقط وبذلك أجبر بالمرستون خصومه على التزام الصمت ، ومن جهة أخرى واصلت القوات البريطانية والفرنسية حملتها حتى أجبرت الحكومة الصينية على التوقيع على معاهدة تيان تسين عام 1858 [3] ، تنازلت فيها الحكومة الصينية على الكثير من سيادتها على أراضيها لصالح البريطانيين وحلفائهم حيث فتحت موانئ جديدة للتجارة البريطانية والفرنسية مقابل تعريفة كمركية لاتتجاوز 2,5% من قيمة البضاعة ، كما سمح للإرساليات التبشيرية في نشر المسيحية داخل الصين ومنح الأجانب حق التنقل في البلاد والإقامة في بكين [4] .

حاول الصينيون التنصل من تطبيق بنود المعاهدة ، وفي أيلول 1859 تعرض مفاوضون بريطانيون وفرنسيون لإطلاق نار من لدن جنود صينيين ، فانتهز بالمرستون الفرصة وهو مصمم على تحطيم هيبة الصين ، وقرر بالمرستون التحرك بسرعة لإعداد حملة عسكرية وإجبار أسرة المانشو في الصين على قبول معاهدة تيان تسين [5] ، كما إن بالمرستون قد علم بوجود دعم روسي للصين ضد بريطانيا وفرنسا ولذلك أعطى أوامره إلى قائد القوات البريطانية في الصين السير هوب غرانتSir Hope Grant بأن لايتوقف إلا باحتلال العاصمة الصينية بكين [6] .

---

[1] **Lord Palmerston's Foreign Policy in and out of Europe,p.23.**
[2] **Quoted in : Guedalla,Philip,Op.Cit,p.344.**
[3] **حيدر صبري شاكر الخيقاني ، اللورد بالمرستون ، ص275.**
[4] **ك.م.بانيكار، المصدر السابق ، ص141.**
[5] **Bell,Herbert C.F,Op.Cit,Vol.2,p.240.**
[6] **Sanders,Lloyd,Op.Cit,p.221.**

راقب بالمرستون استمرار العمليات العسكرية في الصين ، وتقدمت قوات هوب غرانت تجاه العاصمة بكين ، وأظهر الأداء المتميز لقوات المشاة البريطانيين تحسنا ملحوظا منذ نهاية حرب القرم ، كما أثبتت المدفعية البريطانية إنها كفوءة وناجحة في كل الاختبارات التي مرت بها [1] ، وفي عام 1860 ، دخلت القوات البريطانية والفرنسية الى بكين وقاموا بإحراق قصر الإمبراطور الصيفي وفي ظل هذه الضغوط أجبر بالمرستون الحكومة الصينية على الاستسلام لرغبة الحلفاء [2] ، وفي الخامس والعشرين من تشرين الأول 1860 وقعت الحكومة الصينية على معاهدة بكين [3] ، وثبّت الحلفاء فيها حقوقهم الواردة في معاهدة تيان تسين ، كما أصبح من حق التجار الأجانب (البريطانيين والفرنسيين والأمريكيين) المتاجرة مع أحد عشر مرفأ بحريا ونهريا ، والخضوع لقوانين بلادهم دون القانون الصيني ، والتواجد الدائم في العاصمة بكين للممثلين الدبلوماسيين ، وفي المقابل يقدم الحلفاء الدعم والمساعدة للحكومة الصينية لتمكينها من القضاء على الثورات الداخلية التي كانت تواجهها [4] .

وبذلك استطاع بالمرستون من خلال سياسة حكومته تجاه الصين ان يحكم قبضته أكثر من ذي قبل على شؤون بلاده بنجاح ، وقد استطاع خلال ذلك العام ان يذل الصين ليضيف بذلك صفحة جديدة إلى صفحات النجاح التي حققها كرئيس للحكومة[5].

2- سياسته ازاء تحقيق الوحدة الايطالية 1858-1861

كان بالمرستون مهتما وبشكل مستمر بالقضية الايطالية منذ هزيمة الايطاليين أمام القوات النمساوية في عامي 1848-1849 ، واعترف أيضا بذكاء وحكمة رئيس وزراء سردينيا كافور ، ومضى بالمرستون أبعد من ذلك عندما أبلغ كلارندون أثناء انعقاد مؤتمر باريس 1856 بأنه لايمانع من ضم دوقية بارما الايطالية إلى سردينيا ، إلا أن مملكة سردينيا خرجت من حرب القرم ومؤتمر الصلح في باريس دون أي مكتسبات [6] ، لذلك سعت مملكة سردينيا الى تحقيق الوحدة الايطالية وإخراج النمسا من لمبارديا

---

(1) Bell,Herbert C.F,Op.Cit,Vol.2,p.271.
(2) Craig,Gordon A.,Op.Cit,p.243.
(3) Butler,James,Op.Cit,p.125.
(4) خضر خضر ، المصدر السابق ، ص208.
(5) Bell,Herbert C.F,Op.Cit,Vol.2,p.272.
(6) Sanders,Lloyd,Op.Cit,pp.190-191.

والبندقيـة شـمال ايطاليـا ، وأدرك كـافور رئـيس وزراء سـردينيا أن بـلاده تفتقـر إلـى القـوة العسكرية لدحر النمسا [1] ، ولذلك لابد من التحالف مع بريطانيا او فرنسا لتحقيق ذلك ، لاسيما وان بعض الشخصيات السياسية البارزة في بريطانيا مثل بالمرستون وجون رسل وغلادسـتون أعلنـوا تأييـدهم لإرادة الشـعب الايطـالي لتحقيـق الوحـدة [2] ، لكـن حكومـة المحـافظين برئاسـة دربـي (شباط1858–حزيران1859) والملكة فكتوريا وزوجها الألماني الأميـر البـرت لـم يكونـا علـى اسـتعداد لإجبـار النمسـا علـى الخـروج مـن شـمال ايطاليـا وتحطيم تسوية فينا ، فاتجه كافور إلى الإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث [3] .

رحب نابليون الثالث بتوجه كافور لاسيما وان الإمبراطور الفرنسي كان متعاطفا مع القضية الايطالية أيضا ، وبعد سلسلة من المراسلات بين الطرفين قرر نـابليون الثالث مسـاعدة مملكـة سـردينيا فـي حربهـا ضـد النمسـا [4] ، وفـي الحـادي والعشـرين مـن تمـوز 1858 اجتمع نابليون الثالث مع كافور في منطقة بلومبير Plombieres شرق فرنسا ، وتمخض عن الاجتماع اتفاق سري تعهد فيه الإمبراطور الفرنسي بمساعدة مملكة سردينيا فـي حربهـا ضـد النمسـا مقابـل التنـازل لفرنسـا عـن مقـاطعتي نـيس وسـافوي [5] ، واشـترط نابليون أيضـا أن تكون النمسا هـي المعتدية في الحرب ، كما اتفق الطرفان أيضـا علـى إنشـاء مملكـة ايطاليـة فـي الشـمال ومملكـة ثانيـة تضـم ولايـات وسـط ايطاليـا ودولـة بابويـة ثالثـة تضـم أمـلاك البابـا ومملكـة رابعـة فـي نـابولي علـى ان تـرتبط جميعهـا فـي اتحـاد كونفدرالي يرأسه البابا[6].

بـدأت قـوات مملكـة سـردينيا بالاسـتعداد للحـرب ، وفـي الثالـث والعشـرين مـن نيسـان وجهـت النمسـا إنذارا لسردينيا مدتـه ثلاثـة ايـام لإلغـاء الاسـتعدادات الحربيـة ، وبعـد تجاهـل كـافور الإنـذار أعلنـت النمسـا الحـرب علـى سـردينيا فـي السـادس والعشـرين مـن نيسـان 1859 [7] ، وفي الثالث من آيار أعلن نابليون الثالث عن عزمه على مساعدة سردينيا ،

---

(1) **Brace,Richard M.,Op.Cit,p.525.**
(2) **Ritchie,J.Ewing,Op.Cit,Vol.II,p.255.**
(3) **Cecil,Algernon.Op.Cit,p.180.**
(4) **وفاء طه رحيم العنبكي ، المصدر السابق ، ص ص201-202.**
(5)**Thurston,G.J.,The Italian War of 1859 and the reorientation of Russian Foreign policy,The Historical Journal,Vol.20,London,1977,p.126.**
(6)**Friedjung,Heinrich,The struggle for supremacy in Germany1859-1866,London,1935,p.9.**
(7) **Thurston,G.J.,Op.Cit,p.136.**

وفي معركة ماجنتا انهزم النمساويون في الرابع من حزيران 1859 ، وتوالت بعد ذلك الهزائم النمساوية أمام القوات السردينية–الفرنسية [1] ، وفي تلك الأثناء استقالت حكومة المحافظين ، وشكل بالمرستون حكومته في الثاني من حزيران 1859 ، وساند بالمرستون منذ توليه السلطة الوحدة الايطالية لكن زملاءه في الحكومة من أنصار روبرت بيل والمحافظين والملكة فكتوريا أجبروه على اتخاذ موقف الاعتدال ، فاقتصر دعم بالمرستون للوحدة الايطالية على التأييد المعنوي [2] .

توالت هزائم النمسا امام القوات المتحالفة ، ففي الرابع والعشرين من حزيران 1859 هزم النمساويون في معركة سولفرينو وأجبروا على إخلاء لومبارديا ، وتحرر معظم شمال ايطاليا من النمسا ماعدا البندقية [3] ، وحينذاك تأهبت بروسيا للتدخل لمصلحة النمسا وحشدت جيوشها في منطقة الراين ، وخشي نابليون الثالث من الاستمرار في الحرب ، فعقد في الحادي عشر من تموز 1859 هدنة فيلافرانكا Villafranca مع النمسا دون استشارة كافور تنازلت فيه النمسا عن لمبارديا لمملكة سردينيا ، ولما علم بالمرستون بالهدنة جدد مطالبته للنمسا وفرنسا بترك شؤون ايطاليا لمملكة سردينيا وعدم التدخل بأي شكل من الأشكال في شؤونها الداخلية ، وشعر بعدم الثقة تجاه سياسة نابليون الثالث في ايطاليا [4] ، ولم تؤدِ عودة بالمرستون إلى رئاسة الوزراء إلى إعادة العلاقات مع فرنسا كما كانت عليه في حكومة بالمرستون الأولى ، فارتاب بالمرستون ووزير خارجيته جون رسل من نوايا الإمبراطور الفرنسي ، ورغبا بتعديل هدنة فيلافرانكا بما يخدم تحقيق الوحدة الايطالية [5].

اتضح لبالمرستون انه من الصعب المحافظة على السلام في أوربا في ظل الرغبات المتصارعة لكل من النمسا وفرنسا وسردينيا ، وجدد تأكيده على ضرورة إنهاء الحرب والمحافظة على السلام في أوربا ، وترك الايطاليين يقررون مصيرهم بأنفسهم [6] ، وبذلك اختلف بالمرستون ووزير خارجيته جون رسل مع الملكة فكتوريا التي تمسكت بحق وجود قوات نمساوية هناك ، وحثت الملكة الوزراء على معارضة سياسة بالمرستون وجون رسل بخصوص القضية الايطالية ، الأمر الذي أثار جون رسل فكتب لها في كانون الثاني 1860 قائلا : "

---

(1) **Maurois,Andre,The Miracle of England ,p.431.**

(2) **Scherer,Paul H.,partner or puppet? Lord John Russell at the Foreign Office 1859-1862,A Quarterly Journal Concerned With British Studies,Vol.19,No.3,1987,p.348.**

(3) **Williamson,James A.,Op.Cit,p.,409.**

(4) **Somlmi,Arrigo,The Making Of Modern Italy,London,1925,p.93.**

(5) **Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,pp194-195.**

(6) **Barlen,M.E.,Op.Cit,P.337.**

طبقا لمباديء ثورة 1688 يمكن مصادرة كل السلطات التي يمتلكها الملوك بسبب سوء التصرف " ، الا ان الملكة ردت عليه بهدوء وأبلغته ان لاعلاقة للموضوع بمباديء ثورة 1688 [1] . وبهذا الخصوص كتب بالمرستون الى كلارندون قائلا : " **اذا ما استمرت الحرب فسنعمل على دعم تحرير ايطاليا من النمسا ، وعلينا ان نقف بعيدا عنها دون أن نتورط فيها** " [2] .

اتضح لكافور أن الإمبراطور الفرنسي غير جاد في دعم الوحدة الايطالية ، إذ كان نابليون الثالث يرغب بإنشاء أربع ممالك في ايطاليا في الشمال والوسط والجنوب ودولة بابوية في روما ، في حين أن كافور كان مصمما على إتمام الوحدة لجميع الأقاليم ، وتمت التسوية بين الطرفين بعقد معاهدة تورين في الرابع والعشرين من آذار 1860 [3] ، والتي تنازل فيها كافور رسميا عن نيس وسافوي لفرنسا مقابل ضم سردينيا لمناطق وسط ايطاليا . خشي بالمرستون من بسط النفوذ الفرنسي على ايطاليا ، ونصح كافور ان لايسلم أمره إلى فرنسا وحدها وقال بالمرستون لممثل كافور" **نحن نعرف حق المعرفة ان للامبراطور مطامع واسعة يخطط لتحقيقها وستؤدي بنا الى الحرب**"[4] ، واعتقد بالمرستون أن نابليون الثالث قد يكون أطلق يد كافور في وسط ايطاليا من أجل وضع أمير فرنسي لحكم جنوب ايطاليا بعد دمج مملكتي صقليا ونابولي ، واستاء بالمرستون ورسل بعدما تنازل كافور عن نيس وسافوي لفرنسا ، وشبه بالمرستون نابليون الثالث " **بالنمر الذي تعلم على طعم الدم** " [5] ، واحتج بالمرستون احتجاجا عنيفا جدا وتكلم عن احتمال وقوع الحرب بين بلاده و فرنسا ، لكنه وجد نفسه وحيدا في رأيه ولم تدعمه اي دولة كبرى في هذا الموضوع [6] .

وفي الثاني والعشرين من آيار 1860 ، أرسل بالمرستون مبعوثا شخصيا له إلى كافور ، وبعد لقائهما أكد المبعوث البريطاني " **أن على كافور ان يتعهد لحكومتنا بعدم تقديم أي تنازلات إقليمية أخرى لفرنسا بعد معاهدة تورين** " ، وفي المقابل وعدت

---

[1] حيدر صبري شاكر الخيقاني ،الملكة فكتوريا ، ص131.
[2] Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.2,p.209.
[3] وفاء طه رحيم العنبكي ، المصدر السابق ، ص ص261.
[4] نور الدين حاطوم ، المصدر السابق ، ج3، ص ص151-152.
[5] Bell,Herbert C.F.,Op.Cit,Vol.2,p.248.
[6] نور الدين حاطوم ، المصدر السابق ، ص153.

الحكومة البريطانية بدعم مساعي مملكة سردينيا نحو الوحدة [1] . أثار موقف بالمرستون قلقا لدى الإمبراطور الفرنسي نابليون الثالث ، لاسيما وان حكومتا باريس ولندن كانت كل منهما ترتاب من أهداف الأخرى في ايطاليا ، فخشي بالمرستون أن تطالب فرنسا بجنوه ثمنا للموافقة على ضم كافور للجنوب الايطالي ، بينما توقع نابليون الثالث في المقابل أن هناك رغبة لدى حكومة بالمرستون بالحصول على صقلية [2] ، وازداد قلق الإمبراطور الفرنسي حينما أكد له كافور في إحدى لقاءاتهما قائلا : " **لقد كان اللورد بالمرستون يبذل قصارى جهده للحصول على حرية صقلية** " ، وبناءً على ذلك اتهم نابليون الثالث كافور بكونه قد سلم صقليه الى بريطانيا كبديل للحصول على نابولي[3] . إلا انه يبدو أن كافور أراد إيجاد قوة ثقل موازنة للتأثير الفرنسي في البحر المتوسط .

أدى ضم نابليون الثالث لنيس وسافوي الى إثارة بروسيا أيضا ، فأصبح لديها أسباب كافية لمعارضة سياسة نابليون الثالث ، وأدرك بالمرستون أن منع فرنسا من ضم تلك المقاطعتين أمر مستحيل لذلك فكر بإثارة موضوع امتلاك فرنسا لمنطقتي فاسغني Faucigny وشابتيس Chabtais ، وتقع هاتان المقاطعتان أسفل بحيرة جنيف ، وقد عدت هذه من المناطق المحايدة ضمن الأراضي السويسرية ، وقد شعر السويسريون أن وجود فرنسا في هذه المقاطعات سيجعلها تطمع بالسيطرة على بلادهم ، واستغل بالمرستون بعد حصوله على دعم السويسريين هذا الموضوع لمضايقة فرنسا ، كما استخدم هذه القضية لدعوة كل من النمسا وبروسيا إلى عقد اتفاق وتنسيق للجهود ضد نابليون ، إلا أن هذا المشروع فشل بسبب رفض بقية أعضاء الحكومة بزعامة غرانفيل لهذا المقترح ، باعتبار انه سيدفع فرنسا إلى السقوط بأيدي روسيا ، وهو ماكان دائما يخشاه بالمرستون لذلك ألغي المقترح كليا [4] .

وفي السابع والعشرين من تشرين الأول 1860 أعلن جون رسل تأييده الرسمي لموقف سردينيا لاحتلال أقاليم الجنوب والولايات البابوية دعما للاتجاهات الثورية هناك التي طالبت بتحقيق الوحدة [5] ، وكتب بهذا الخصوص قائلا : " **بأن حكومة صاحبة**

---

[1] وفاء طه رحيم العنبكي ، المصدر السابق ، ص278.

[2] Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,p.197; Somlmi,Arrigo,Op.Cit,p.93.

[3] Maurois,Andre,The Miracle of England,p.431.

[4] Bell,Herbert,Op.Cit,Vol.2,p.248.

[5] Butler,James,Op.Cit,p.128.

الجلالة ملزمة بالاعتراف بأن الايطاليين أنفسهم هم أفضل حكام لمصالحهم الخاصة ، إن حكومتنا لن تسمح بتقديم أي لوم لملك سردينيا من قبل الدول الأوربية وستتطلع حكومتنا بفخر لشعب يقيم صرح حريته ، وسندعم استقلاله " [1] ، استمر بالمرستون بمراقبة التطورات الداخلية التي أدت الى حدوث الوحدة الايطالية كما دعم بالمرستون مملكة سردينيا في مسعاها لتحقيق الوحدة [2] ، وبعد قيام الايطاليين بالسيطرة على صقليا ونابولي والأراضي البابوية وضمها إلى مملكة سردينيا ، لم يعد نابليون الثالث قادرا على مقاومة التيار الكاسح للحركة القومية في ايطاليا ، لاسيما بعد أن حظي هذا المد القومي بدعم دبلوماسي من بالمرستون وتعاطف وتشجيع من الشعب البريطاني [3] .

وفي الثامن عشر من شباط 1861 ، اجتمع المجلس النيابي في تورين عاصمة مملكة سردينيا–بيدمونت ممثلا لكل ايطاليا عدا روما والبندقية [4] ، وأعلن قيام مملكة ايطاليا[5] ، وفي آذار صدر مرسوم دستوري نص على تنصيب فكتور عمانويل الثاني ملكا على ايطاليا [6] ، وبعد إعلان قيام مملكة ايطاليا توفي أحد أهم من ساهموا فيها وهو رئيس وزراء سردينيا كافور في السادس من حزيران 1861 [7] ، وبعد سماع بالمرستون بنبأ وفاته قال في خطاب ألقاه في مجلس العموم في اليوم نفسه: " **إن الكونت كافور ربما يصدق القول بشأنه انه ترك اسما جسد الجوانب الأخلاقية ويحكي قصة جميلة ، انه رجل يتمتع بمواهب فائقة وطاقة لاتقهر وروح وطنية لاتنضب ، لقد رأينا كيف وجه نداء إلى شعبه ، ذلك النداء الذي أخرجهم من سبات عصور طوال ، وحقق لهم وحدة الوجود السياسي تلك الوحدة التي كانوا محرومين منها لقرون عدة** " [8] .

---

(1) وفاء طه رحيم العنبكي ، المصدر السابق ، ص ص295.

(2) Trevelyan,George Macaulay,Garibaldi and the making of Italy,London,1962,p.28.

(3) Trevelyan,G.M.,history of England,p.655.

(4) بقيت البندقية بحوزة النمسا ورفضت التنازل عنها للمملكة سردينيا حتى عام 1866 بعد هزيمة النمسا امام بروسيا في معركة سادوا ، أما روما فرفض نابليون سحب القوات الفرنسية الموجودة هناك لتدعيم سلطة البابا ولكي يكسب الى جانبه جمهور فرنسا الكاثوليكي بصفته حامي للبابا ، ولكن بعد هزيمة نابليون الثالث امام بروسيا في معركة سيدان 1870، انسحبت القوات الفرنسية من روما وضمت الى مملكة ايطاليا الموحدة ، للمزيد ينظر : غرانت وتمبرلي ، المصدر السابق ، ص399؛ دسوقي ، تاريخ اوربا الحديث 1800-1900، مطبعة النهضة الجديدة ،ص ص 142-143.

(5) انظر الملحق رقم (8) .

(6) Dunbaugh,Edwin,The Collier Quick and easy guide to World history,New York,1963,p.138.

(7) وفاء طه رحيم العنبكي ، المصدر السابق ، ص ص308.

(8) Quoted in : Sanders,Lloyd,Op.Cit,p.199.

3- موقف بالمرستون من الحرب الأهلية الأمريكية 1861 – 1865

حدثت الحرب الأهلية الأمريكية[1] أثناء حكومة بالمرستون الثانية ، ويرجع سببها إلى الاختلاف بين ولايات الشمال الأمريكي وولايات الجنوب حول موضوع الرق بالدرجة الأولى ، إذ منعت حكومة واشنطن الرق في حين أن الولايات الجنوبية رفضت التخلي عن الرقيق لحاجتها الماسة اليهم للعمل في مزارع الذرة والقطن [1] ، الأمر الذي أدى الى أن أعلن الجنوبيون إنفصالهم عن الولايات المتحدة الأمريكية ، وفي المقابل أعلن الرئيس الأمريكي ابراهام لنكولن Abraham Lincolin [2] (1809-1865/1861-1865) الحرب في الثالث عشر من نيسان 1861 ، كان بالمرستون ووزير خارجيته جون رسل يميلون الى الجنوب الأمريكي ، واعتقد بالمرستون بأن الجنوب سيكون سوقا رائجة للمنتجات الصناعية البريطانية لاسيما وان اقتصاد الجنوب كان زراعيا بالدرجة الأساس على عكس الاقتصاد الصناعي في الشمال الأمريكي [4].

أثرت الحرب الأهلية الأمريكية على بريطانيا بشكل واضح بسبب عرقلة وصول القطن الخام من الولايات الجنوبية إلى المصانع البريطانية نتيجة لاندلاع الحرب [5] ، وعلى الرغم من أن الطبقة الثرية في بريطانيا كانت تميل إلى التعاطف مع قيادات الجنوب إلا أن الطبقة العمالية في بريطانيا ساندت الشماليين لشعورها بأن الصراع من أجل الحرية . وكان بالمرستون بدعمه للجنوب قد حاول إضعاف الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت من ابرز منافسي التجارة البريطانية [6] ، لكن الملكة فكتوريا لم تتفق معه في هذا الرأي فقد أصرت منذ بداية الحرب على التزام الحكومة البريطانية الحياد في تلك الحرب ، ولذلك لم يستطع بالمرستون الاعتراف بالجنوب كدولة مستقلة بل اعترف بهم كطرف محارب [7] .

---

(1) انظر الملحق رقم (9) .

(2) Ridley,Jasper,History of England ,p.258.

(3) ولد في كنتاكي ، درس القانون وأصبح محاميا ، وانتقل للعيش في سبرتغفيلد ونجح في مهنته ، وعمل في المدة 1847-1848 في هيئة التشريعية في الكونغرس ، وفي عام 1854 ... ألة القنانة وعارض الرق ، إنضم الى الجمهوريين، وفي عام 1856 ... لمجلس الشيوخ عام 1858 ... ، رشح للرئاسة عام 1860 وفاز وبفوزه انسحبتا احدى عشرة ولاية تعمل بنظام الرق في الجنوب ، ... مالية في الحرب ، وبعد انتهائها أطلق عليه الرصاص في الرابع عشر من نيسان 1865 ليموت في اليوم التالي للمزيد من التفاصيل ينظر : ... ، ابراهام لنكولن ودوره السياسي في الولايات المتحدة الامريكية 1809-1865 ،اطروحة دكتوراه ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، 2011.

(4) Lane,Peter,Op.Cit,p.171.

(5) Ibid,p.171.

(6) Bernstein,George L.,Special Relationship and Appeasement:Liberal Policy towards America in the age of Palmerston,The Historical Journal,Vol.41, No.3,1998,p.741.

(7) Ziegler,Paul,Op.Cit,p.115.

أعلن بالمرستون في الثالث عشر من آيار 1861 الحياد في الحرب الأهلية الأمريكية ، وذلك استجابة لرغبة الملكة والأمير البرت ، وقد أثار هذا الإعلان وزير الخارجية الأمريكي وليم هنري سيوارد Willim Henry Seward[1] (1801-1872/1861-1869) الذي اعتقد أن من واجب بريطانيا دعم الشمال ضد الجنوب ، وانتهج سياسة عدائية واضحة ضد الحكومة البريطانية [2] ، وفي الحادي والعشرين من آيار كتب سيوارد رسالة شديدة اللهجة إلى سفيره في لندن تشارلز فرنسيس آدمز Charles Francis Adams [3] (1807-1886/1861-1869)هدد فيها بريطانيا بإعلان الحرب عليها لكونها تنتهج سياسة تضر بالولايات المتحدة ، لكن اطلاع لنكولن على مسودة الرسالة قبل إرسالها وقيامه بإجراء تعديلات عليها وحذف جميع العبارات الاستفزازية ساهم في تهدئة العلاقات التي توترت بين البلدين بعد إعلان بالمرستون حياد بلاده في الحرب [4] .

أدركت حكومة بالمرستون خطورة السياسة العدائية التي أظهرها وزير الخارجية الأمريكي سيوارد تجاه بريطانيا ، وشعر بالمرستون بقلق شديد دفعه الى التفكير بإرسال قوات عسكرية بريطانية الى كندا للدفاع عن المستعمرات البريطانية في حالة اندلاع حرب مع الشمال الأمريكي [5] ، وبحلول حزيران 1861 هدأت مخاوف بالمرستون نتيجة لمعارضة لنكولن لسياسة وزير خارجيته ضد بريطانيا ، وقد أرسل ليونز Lyons السفير البريطاني في واشنطن مذكرة إلى وزير الخارجية البريطاني رسل في السادس من حزيران 1861 ، بعد أن أجرى سلسلة من المباحثات مع بعض السياسيين في الشمال ، وخلص

---

(1) سياسي ودبلوماسي امريكي ، درس القانون في كلية الاتحاد Union College وتخرج محاميا عام 1820، أصبح عضوا في مجلس شيوخ ولاية نيويورك في المدة 1831-1834، حاكم الولاية نيويورك في المدة 1839-1842، شغل منصب وزير الخارجية الامريكي في المدة1861-1869، كان سيوارد معارضا لانتشار العبودية خلال مرحلة الحرب الاهلية الامريكية ، واتبع سياسة عدائية تجاه بريطانيا خلال الحرب ، للمزيد من التفاصيل ينظر :
The New Encyclopedia Britannica,Vol.10,p.673.

(2) حيدر طالب حسين الهاشمي ، الحرب الاهلية لامريكية 1861-1865، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية – ابن رشد ، جامعة بغداد ، 2006، ص ص344-346.

(3) سياسي ودبلوماسي أمريكي ، ولد في بوسطن ، هو ابن الرئيس الأمريكي جون كونسي آدمز ، درس القانون وتخرج من جامعة هارفارد عام 1825، وخلال مدة رئاسة والده 1825-1829في البيت الأبيض وتعرف على السياسيين في تلك المرحلة ، أصبح عضوا في الكونغرس الأمريكي عام 1858عن ولاية بوسطن ، وبعد انتصار الجمهوريين في الانتخابات عام 1861أصبح سفيراً في لندن ، وكانت مهمته الأساسية منع حكومة بالمرستون من الاعتراف بالجنوب الأمريكي ، للمزيد من التفاصيل ينظر :
The New Encyclopedia Britannica,Vol.1,p.81.

(4) حيدر شاكر خميس، المصدر السابق ، ص 191 .

(5) Ziegler,Paul,Op.Cit,p.115.

من خلالها الى " **أن إعلان الحرب من قبل الولايات المتحدة ضد بريطانيا العظمى بدا لي أمرا مستحيلا ، وأن كندا ستبقى بعيدة عن الاجتياح الأمريكي** " [1] . كما أدرك بالمرستون أن موقف سيوارد هو موجة مؤقتة من الغضب ، وصرح بهذا الصدد : " **ليس علينا إلا ان نصغي لهم لكي لانترك لحكومة لنكولن أي ذريعة تستخدمها ضدنا** " [2] .

كان قلق بالمرستون الرئيس خلال المرحلة الأخيرة من حياته بسبب تعاظم قوة الولايات المتحدة الأمريكية ، وعدها الخطر الاساسي الكامن على مصالح بلاده [3] ، لذلك كان بالمرستون يأمل أن تؤدي الحرب الى انفصال الجنوب وتكوين دولة مستقلة فيه ، ولذلك منح الجنوب الأمريكي تأييدا غير معلن ، وفضل التريث حتى تتضح نتيجة القتال الدائر بين الشمال والجنوب الى استنتاجات واضحة ، حينها يتخذ الموقف المناسب الذي ينسجم مع مصلحة بلاده [4] .

وفي الثاني من تشرين الثاني 1861 ، أرسل رئيس الولايات المتحالفة في الجنوب الأمريكي جيفيرسون ديفيز Jefferson Davis [5] (1808-1889) أثنين من الدبلوماسيين الأمريكيين وهم كل من جيمس ماسون James Mason (1798-1871) وجون سليديل John Slidell (1793-1871) الى بريطانيا وفرنسا للحصول على اعتراف حكومات الدول المذكورة بحكومة الولايات الجنوبية المتحالفة [6] ، وسافر المبعوثان على ظهر الباخرة البريطانية ترنت Trent ، وعند حدود المياه الأمريكية تم إيقاف السفينة ترنت من لدن أحدى السفن الأمريكية لتفتيشها وأنزال المبعوثين وإيداعهما في سجن بوسطن [7] . أثار هذا الحادث الحكومة والرأي العام في بريطانيا ، وبدأ الحديث يتجدد عن الحرب ، وعد هذا الفعل الأمريكي إهانة للعلم البريطاني المرفوع على السفينة ترنت ولملكة بريطانيا [8].

---

(1) **Quoted In:Adams , Ephraim Douglass , Great Britain and the American civil war , New York , 1924 , p.131.**

(2) **Quoted in : Ward,E.L.Wood,Op.Cit,p.164.**

(3) **Ridley,Jasper,History of England ,p.258.**

(4) **Butler,James,Op.Cit,p.130.**

(5) **سياسي امريكي ، ولد في مدينة كنتاكي ، ثم انتقلت عائلته الى ولاية المسيسيبي في الثانية من عمره ، شارك في الحرب ضد المكسيك عام 1848 ، أصبح عضوا في مجلس النواب ثم مجلس الشيوخ عام 1852 ، تقلد منصب وزير الحربية عام 1853 ، عاد الى مجلس الشيوخ بعد انفصال الولايات الجنوبية ، اصبح رئيسا لحكومة الولايات المتحالفة عام 1861 . ينظر : The New Encyclopedia Britannica,Vol.3,p.916.**

(6) **Adams,Ephraim Douglass,Op.Cit,pp.209-210.**

(7) **Bernstein,George L.,Op.Cit,P.743.**

(8) **Cecil,Algernon,Op.Cit,p.181.**

طالب بالمرستون حكومة لنكولن بتقديم اعتذار رسمي لبريطانيا ، كما أصدر تعليماته للاستعداد لاندلاع الحرب مع الولايات المتحدة من خلال إعلان النفير العام ، وتهيئة ضباط الجيش والبحرية للقتال ، وأرسل ثمانية آلاف جندي إلى كندا استعدادا لاندلاع الحرب [1] ، كما سعى بالمرستون للحصول على الدعم الفرنسي و الاسباني ، وأبدى ترحيبه بانضمام أي دولة أوربية إلى بريطانيا في حالة اندلاع الحرب مع الولايات المتحدة [2] ، وعبرت الصحافة البريطانية ولاسيما صحيفة التايمز عن استيائها من الإجراء الذي قامت به الولايات المتحدة ، وأخذت تنشر المقالات الساخطة عليها في افتتاحياتها ، وبدا أن مشكلة الباخرة ترنت هيجت المشاعر المكبوتة ضد الامريكيين [3] .

وفي الثلاثين من تشرين الثاني 1861 وجه بالمرستون إنذارا بالحرب إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد جاء فيه انه يسر الحكومة البريطانية أن تقوم الحكومة الأمريكية بإطلاق سراح المعتقلين وتقديم اعتذار مناسب ، فإذا لم تذعن الحكومة الأمريكية خلال ثلاثين يوما للإنذار فأن التعليمات الصادرة إلى الوزير البريطاني المفوض في واشنطن ليونز تقضي بأن يقطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ويعود إلى لندن [4] . تدخل الأمير البرت في الموضوع مستخدما بذلك نفوذه الملكي ، وخفف من لهجة بالمرستون في التعامل مع الحكومة الأمريكية [5] ، وفي الوقت نفسه عبرت الحكومة الأمريكية عن عدم رضاها لما قام به قبطان السفينة الأمريكية التي احتجزت المبعوثين ، وأمر لنكولن بإطلاق سراحهما في الثاني من كانون الثاني 1862 ، وقام بعد التشاور مع وزرائه بإرسال رسالة اعتذار الى الحكومة البريطانية ، وبذلك يمكن القول أن نيران الأزمة تم إخمادها بالمهد دون أن تصل الى مراحل متقدمة تصعب معالجتها [6] .

ومن القضايا الأخرى التي حدثت أثناء الحرب وتركت آثارها على العلاقات البريطانية-الأمريكية قضية نزاع الاباما عام 1862 [7] ، وحدث هذا النزاع بسبب سفينة تم بناؤها في بريطانيا ليستخدمها الجنوبيون كسفينة إغارة عسكرية وتسببت السفينة في

---

(1) **Lane,Peter,Op.Cit,p.171.**

(2) **حيدر طالب حسين الهاشمي، المصدر السابق ، ص252.**

(3) **Ziegler,Paul,Op.Cit,p.115.**

(4) **حيدر شاكر خميس، المصدر السابق ، ص 194 .**

(5) **Adams,Ephraim Douglass,Op.Cit,pp.209;Lunt,W.E.,Op.Cit,p.683.**

(6) **Ward,E.L.Wood,Op.Cit,p.164; Cecil,Algernon,Op.Cit,p.181.**

(7) **Bernstein,George L.,Op.Cit,P.748.**

إحداث أضرار كبيرة بحركة الشحن في الولايات الشمالية [1] ، ولم تقف الولايات الشمالية مكتوفة الأيدي أمام الفعل البريطاني ، فقد عمد سفيرها في لندن آدمز إلى جمع شهادات خطية تثبت ماهية السفن ، وتم رفع هذه الإثباتات إلى الملكة فكتوريا ، وبالفعل تم إصدار أمر بوقف إرسال السفن ، لكن السفن التي كان يتم إرسالها للجنوبيين كانت تصنع بأوراق رسمية لإرسالها إلى فرنسا او إلى مصر او إلى اسبانيا وفي عرض البحر يتم تسليمها للجنوبيين ، ولحل تلك الأزمة طلبت الملكة فكتوريا من بالمرستون شراء تلك السفن ، وتم شراؤها وبذلك حلت أزمة السفن قبل ان تتعقد مع الولايات المتحدة [2] .

استمرت حكومة بالمرستون على إتباع سياسة الحياد في الحرب الأهلية الأمريكية الى حين انتصار الشمال وإعلان وحدة أراضي الولايات المتحدة الأمريكية في نيسان 1865 ، حيث بدأت مرحلة جديدة في العلاقات الأمريكية-البريطانية [3] .

4- موقفه من قضية دوقيتي شلزفيك وهولشتاين 1863-1864

تمت تسوية مشكلة الدوقيتين بعد الحرب البروسية-الدنماركية في عام 1848-1849 ، بموجب معاهدة لندن 1852 ، التي وقعتها كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا والنمسا وبروسيا والسويد والدنمارك ، وكان لبالمرستون الذي شغل في حينها منصب وزير الخارجية دور رئيس في توقيع المعاهدة [4] ، التي نصت على تولي الأمير كرستيان اوف غلوغسبورغ Christian Of Glucksberg عرش الدنمارك بعد وفاة الملك وليم السابع William VII ، الذي لم يكن له وريث وبقاء الدوقيتين مستقلتان ومحتفضتان بدستورهما وعلى عدم انضمامهما الى الدنمارك [5] ، وبعد وفاة وليم السابع في الثامن عشر من تشرين الثاني 1863 ، خلفه الأمير كرستيان باسم الملك كرستيان التاسع ، وبذلك أثيرت مشكلة الدوقيتين من جديد ، وتأزم الوضع عندما صادق الملك الجديد على دستور جديد للدنمارك فصلت بموجبه دوقية شلزفيك عن دوقية هولشتاين واندمجت بالكامل مع الدنمارك خلافا لمعاهدة لندن [6] .

---

(1) Lane,Peter,Op.Cit,p.171.
(2) Butler,James,Op.Cit,p.130.
(3) Bernstein,George L.,Op.Cit,P.749.
(4) Mosse,W.E.,Queen Victoria and Her Ministers in the Schleswig-Holstein Crisis 1863-1864,The English Historical Review,Vol.78,No.307,1963,p.263.
(5) Weech,W.N.,Op.Cit,p.807.
(6) Cecil,Algernon,Op.Cit,p.182.

توجهت أنظار المستشار البروسي اوتوفون بسمارك Ottovon Bismark [1] (1815-1898/1862-1890) إلى دوقيتي شلزفيك وهولشتاين وحاول الاستيلاء عليهما في إطار مساعيه لتوحيد الدويلات الألمانية ، واستغل تصرف الملك الدنماركي كرستيان التاسع المناقض لمعاهدة لندن [2] ، وقف بالمرستون في هذه الأزمة إلى جانب الدنمارك ، لكن الرأي العام البريطاني كان يعارض تورط بريطانيا في الحرب ، وكان بالمرستون نفسه يرى ان بريطانيا لاتستطيع خوض حرب أوربية إلا إذا كانت فرنسا حليفا لها في تلك الحرب ، وفي الوقت نفسه كان بالمرستون يخشى من تحالفه مع فرنسا ، لاعتقاده أن نابليون الثالث سوف يستخدم مثل هذا التحالف للحصول على مزيد من الأراضي في منطقة الراين ، كما سيهدد استقلال بلجيكا[3].

تحالف بسمارك مع النمسا ليقف بوجه بالمرستون ، واعتمد الدنماركيون على دعم بريطانيا لمواجهة التحالف البروسي-النمساوي [4]، وفي تموز 1863 ألقى رئيس الوزراء البريطاني بالمرستون خطابا صارما في مجلس العموم بشأن الدوقيتين للتعبير عن موقفه المؤيد للدنمارك ، وقال فيه : " **نحن مقتنعون أن أي محاولة للتهديد أو لسلب الحقوق والتدخل في استقلال الدنمارك ، فأولئك الذين خلقوا تلك المحاولة سوف يجدون ان النتيجة هي ان الدنمارك ليست وحدها امام هذا التهديد** " [5] ، اعتقد بالمرستون بأن هذا الموقف البريطاني كاف لردع بسمارك عن احتلال الدوقيتين ، واستنتج بأن القوى الأوربية الأخرى ستتدخل لمنع بروسيا والنمسا من الاعتداء على الدنمارك ، لكن بالمرستون أخطأ في تقدير الموقف حيال هذه القضية ، فلم تقم أي دولة أوربية بالتدخل للدفاع عن الدنمارك [6] .

---

(1) سياسي ورجل دولة الماني ، درس القانون ، وفي عام 1847 أصبح عضوا عن بروسيا في الديت الالماني ، وفي عام 1859 أرسل سفيرا لبروسيا في روسيا ، وفي 22 أيلول 1862 عين رئيسا لوزراء بروسيا واستمر في هذا المنصب حتى 1890 ... الوحدة الألمانية ، نجح في هزيمة النمسا المنافس الأول لبروسيا في زعامة الديت الألماني في معركة 1866 ... بسمارك نابليون الثالث في معركة ... 1870 ... بسمارك عن قيام الإمبراطورية الألمانية بزعامة الإمبراطور وليم الأول ، للمزيد ينظر : The New Encyclopedia Britannica,Vol.2,p.242 .

(2) Ward,E.L.Wood,Op.Cit,pp.164-165.

(3) Rayner,Robert M.,Op.Cit,p.271.

(4) Schultz,Harold J.,Op.Cit,p.243.

(5) Quoted in : Thomson,David,England in the nineteen century,pp.159-160.

(6) Weech,W.N.,Op.Cit,p.782.

لم يصغ بسمارك لكلام بالمرستون وعقد تحالفا رسميا مع النمسا في السادس عشر من كانون الثاني 1864 ، وأرسل للدنمارك إنذارا بروسيا–نمساويا مشتركا هدد فيه بسمارك باحتلال الدوقيتين مالم يلغى الدستور الدنماركي ، رفضت الدنمارك الإنذار على الرغم من عدم وقوف أي من الدول الأوربية الى جانبها ، وفي الحادي والعشرين من كانون الثاني 1864 استولت الدولتان بالقوة على شلزفيك وهولشتاين ، فأخذت بروسيا شلزفيك وأخذت النمسا هولشتاين [1] .

لم يستطع بالمرستون أن يقنع الملكة فكتوريا والسياسيين البريطانيين والرأي العام بالتدخل الى جانب الدنمارك [2] ، وساهم موقف بالمرستون المتذبذب تجاه الدنمارك في تحقيق بروسيا النصر الحاسم عليها ، حيث ولد بالمرستون انطباعا خاطئا لدى الدنماركيين بأن بريطانيا ستساعدهم ، الأمر الذي شجعهم لخوض الحرب ضد بروسيا دون ان تكون لديهم فرصة واحدة للانتصار، وقد قال بسمارك في هذه المناسبة " **ان موقف بالمرستون من مسألة الدنمارك وتهديده بالوقوف الى جانبها ، لم يكن الا مجرد وهم**" [3] .

استاءت الملكة فكتوريا من أداء بالمرستون ووزير خارجيته رسل إزاء قضية الدوقيتين ، واعتقدت الملكة أن من واجبها إبقاء البلاد بعيدة عن الحرب ، وكتبت بهذا الشأن إلى جون رسل في الثالث عشر من شباط 1864 قائلة : " **انها لن تسمح ابدا لهذا البلد أن يتورط في حرب لاتكون المصالح البريطانية معنية فيها** " ، كما أكدت على ضرورة ان يبقى وزراؤها محايدين وان يحرروا أنفسهم من الانحياز إلى الدنمارك [4].

كانت قضية الدوقيتين آخر القضايا التي تدخل فيها بالمرستون[5] ، وفي الانتخابات العامة التي جرت في تموز 1865 حقق بالمرستون فوزا ساحقا عن مقاطعة تيفرتون ، و حصل حزبه على 369 مقعد في مجلس العموم مقابل 289 مقعد لحزب المحافظين وكان قد بلغ من العمر الحادية والثمانين عاما ، وبدا عليه المرض وظهرت عليه

---

[1] **Mosse,W.E.,Op.Cit,p.274;Cecil,Algernon,Op.Cit,p.183.**
[2] **Marcham,A.J.,Op.Cit,p.62.**
[3] **مقتبس في : ا.ل.راوس،المصدر السابق ، ص ص213-214.**
[4] **Cecil,Algernon,Op.Cit,p.184.**
[5] **Trevelyan,G.M.,history of England,p.655.**

علامات الضعف وبالرغم من ذلك فقد كان نشيطا ، ففي بداية عام 1865 ركب حصانه وسار به من كامبرج الى مدينة هارو قاطعا مسافة تقدر بأثني عشر ميلا [1] ، وعانى بالمرستون في أواخر حياته من مرض النقرس وتغلب عليه المرض في الأشهر الأخيرة من حياته ، وكان يصل الى مقعده في مجلس العموم بصعوبة كبيرة ، وأخيرا أدت برودة الطقس إلى إصابته بالتهاب حاد ، وأصبحت حالته ميؤوساً منها ، وفي الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الثامن عشر من تشرين الأول 1865 توفي بالمرستون ، وأقيمت له جنازة رسمية تليق بمكانته ، ودفن بدير ويست منستر Westminster بناءً على وصيته ، بالقرب من قبر كاننغ وكاستلريه ، وأقيم لبالمرستون بالقرب من قبره تمثال بمواجهة تمثال كاننغ في محيط المكان ، ودفنت زوجة بالمرستون بعد أربع سنوات بجانب زوجها ، ولم يترك بالمرستون وريثا من بعده فانقرض لقب العائلة بعد وفاته [2] .

كان بالمرستون رئيس الوزراء البريطاني الوحيد الذي حظي بالحب والتقدير الحقيقي والدائم من لدن الشعب البريطاني ، وكانت سنواته الأخيرة في الحكومة من أجمل وأكثر السنوات رفاهية وانتعاشا بالنسبة لبريطانيا ، وعندما كان يتحدث عن مدة مابعد حكومته كان يردد : " **عالماً جديداً بالانتظار وسيكون لغلادستون طريقته الخاصة في إدارة شؤون هذا البلد** " ، وفي أيامه الأخيرة كان بالمرستون يكتب عن ثقته بالأسطول البحري البريطاني والتحصينات التي أقامها في كيوبك في كندا في حال قيام الأمريكيين بأية مشاكل [3] .

وقد وردت فيه كثير من الآراء وأهمها رأي الملكة فكتوريا ، فقد عبرت عن رأيها ببالمرستون بعد وفاته قائلة : " **لديه صفات جميلة وأخرى رديئة وأبشع مافيه سياسته الخارجية ... أشد مايزعجني فيه إدارته للشؤون الخارجية ... وكرئيس وزراء أيضا فأن إدارته للشؤون البريطانية جيدة ، ويتصرف معي بشكل جيد ولكنني لا أحبه ابدا** " [4] .

---

(1) Sanders,Lloyd C.,Op.Cit,p.239.
(2) Trollope,Anthony,Op.Cit,pp.198-199.
(3) Quoted in : Guedalla,Philip,Op.Cit,p.404.
(4) Quotedin:Edwards,T. Charles&Richardson,B.,They Saw Its Happen An Anthology of Eyewitness accounts of events in British history 1689-1897,Oxford,1962,p.268.

ومن الجدير بالذكر إن رحيل بالمرستون يمثل رحيل آخر وزراء الملك جورج الثالث الباقين على قيد الحياة حتى عام 1865 ، وبرحيله تنتهي حقبة مهمة جدا من العصر الفكتوري الذي تميز بالتوسع البريطاني في الخارج والرخاء الاقتصادي ، تلك الحقبة التي ابتدأت برئاسة صهره ملبورن وانتهت برئاسته للوزراء [1] ، وكانت هذه الحقبة مكللة بالانجازات المهمة على الصعيد الخارجي ، وكان مشوار بالمرستون السياسي طويلا إذ استمر مايقارب الستين عاما (1807-1865) كان بالمرستون في معظمها أما وزيراً أو رئيس وزراء ، وعمل مع تسعة رؤوساء وزراء في حياته [2] ، وبعد وفاته أطلقت الملكة فكتوريا تقييما عدته منصفا لبالمرستون اذ قالت : " **لقد صدمنا بوفاة المسكين بالمرستون فقد كان يذكرنا بالماضي ، الماضي السعيد الذي ولى إلى الأبد ، وأن وفاته خسارة كبيرة ، لقد كانت له صفاته الراقية وكان يتمتع بخلق رفيع رغم ماكان يمتلكه من صفات غير ذلك ، والله يشهد إننا قد دخلنا معه في خلاف فظيع حول الشؤون الخارجية ، ولكنه كرئيس للوزراء قد نجح في إدارة شؤون البلد على نحو جيد ، وكان يتصرف معي بشكل حسن ولكنني لم أحبه أبدا ولم استطع أن احترمه ، لقد كان حقودا محبا للانتقام وكثيرا ما أثرت مشاعره الخاصة ونزعاته الذاتية على أفعاله السياسية والى حد كبير ومع ذلك فهو يعد خسارة كبيرة لبريطانيا** " [3] .

---

(1) Cecil,Algernon,Op.Cit,p.187.
(2) Warner,George Townsend&Marten,C.H.K.,Op.Cit,p.626.
(3) Quoted in :Cecil,Algernon,Op.Cit,pp.188-189.

الخاتمة

توصل الباحث الى جملة من الاستنتاجات من خلال دراسة سياسة اللورد بالمرستون الخارجية ومن أهمها

- تميز بالمرستون بشخصيته القوية وبذكائه الحاد وفطنته السياسية وتربى في أسرة ارستقراطية بريطانية ، وكان لذلك دور كبير في توجيهه توجيها سياسيا بالرغم من فقدانه لوالديه في مرحلة مبكرة من حياته ، كما ساهمت شرافته الايرلندية في بروزه في مجال العمل السياسي واستطاع من خلال هذه المنزلة ان يدخل الى مجلس العموم .
- لم يؤثر فقدان بالمرستون لوالديه على مستقبله السياسي ، بالرغم من تأثره بوفاتهما وحاز بالمرستون اعجاب أصدقاء والده ، الذين وقفوا الى جانبه ودعموه ولاسيما اللورد مالميزبري الذي اعجب بشخصية بالمرستون ، وكان الاخير يستشيره في معظم القضايا الصعبة التي تواجهه .
- تأثر بالمرستون بشكل كبير بوزير الخارجية ورئيس الوزراء البريطاني كاننغ ، وعد بالمرستون ابرز تلاميذه المخلصين في السياسة ، وعند بروز جناح كاننغ من حزب المحافظين كان بالمرستون عنصرا فعالا فيه ، وتميزت خطب بالمرستون بتبنيه الليبرالية ودعم الانظمة الدستورية في اوربا وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الاخرى بما يخدم مصلحة بريطانيا ، وسعى الى تطبيق تلك المباديء على الواقع العملي من خلال توليه وزارة الخارجية .
- برز دور بالمرستون في مجلس العموم بشأن السياسية الخارجية في وقت مبكر ، من خلال حديثه عن الثورة اليونانية والقضية البرتغالية ، وبالرغم من كونه وزيرا للحرب الا ان سنواته الاخيرة في هذه الوزارة تميزت باهتمامه اهتماما كبيرا بمتابعته للاحداث السياسية الخارجية ، وانتقاده للحكومة محاولا رسم مسار سياسي جديد لنفسه بعيد عن حزب المحافظين ، وساهمت الافكار الليبرالية التي طرحها بالمرستون في تقربه من حزب الاحرار الذين استدعوه ليكون وزيرا للخارجية في حكومة غراي عام 1830.

- ركز بالمرستون بعد عام 1830 على الشؤون الخارجية ، وكرس نفسه للعمل في هذا الاتجاه ، من خلال ادارته للوزارة لثلاث مرات ، وبالرغم من تركه لوزارة الخارجية من حين لآخر الا ان اهتمامه بالشؤون الخارجية استمر من خلال وجوده في مجلس العموم .
- من خلال مدة عمله الطويلة في وزارة الخارجية البريطانية ساهم بالمرستون في تطوير نمط جديد للسياسة الخارجية البريطانية وللحكومة قائم على عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الاخرى ، الا في حالة تعرض المصالح البريطانية للخطر، كما حدث عندما تصدى لدولة محمد علي الفتية التي اقامها بمساعدة ابنه ابراهيم .
- ساند الحركات التحررية في أوربا ، ودعى الحكام الاوربيين الى منح الاستقلال للمناطق التي يحتلونها خارج حدود بلدانهم في أوربا ، كما دعا حكام الدول الاوربية الى اتباع النظم الدستورية البرلمانية والاقتداء بالنظام البرلماني البريطاني لتجنب الثورات ضدهم ، واعتقد ان ذلك يصب في مصلحة بلاده من خلال دعم ونشر تلك الانظمة السياسية في اوربا ، واتضح ذلك في سياسته تجاه اسبانيا والبرتغال . وبالرغم من ليبراليته فقد كان استعماريا من الدرجة الاولى ، فقد وسع مستعمرات بريطانيا وحطم امبراطوية محمد علي ، وقضى بعنف على الثورة الهندية ، وشارك باحتلال الصين بسبب ازمة الافيون ، وغير ذلك مماجعل بريطانيا اقوى دولة استعمارية في العالم انذاك .
- راهن بالمرستون على قوة الاسطول البريطاني في معظم القضايا الخارجية التي واجهته ، واستفاد من تفوق بلاده في البحر لتنفيذ سياساته ، حيث استخدم ما يسمى بدبلوماسية الاساطيل .
- حرص بالمرستون على عدم الاخلال بتوازن القوى في أوربا من خلال بروز احدى الدول على حساب الدول الاخرى ، ولم يكن مؤمنا بتسوية فينا بل استخدمها كوسيلة لتطويق فرنسا في أوربا وعدم السماح لها بالتوسع وتهديد جيرانها ، فوقف ضدها بقوة عندما حاولت الاستيلاء على بلجيكا عام 1830 ، وشكل التحالف الرباعي المكون من بريطانيا وفرنسا واسبانيا والبرتغال لاحتوائها .

- اعتقد بالمرستون ان الخطر الحقيقي على المصالح البريطانية في أوربا والعالم هو تحالف القوتين الكبيرتين في أوربا فرنسا وروسيا وبذل جهوداً كبيرة لمنع اتفاق الدولتين معا ضد بريطانيا ، ولاسيما فيما يخص الدولة العثمانية ، فعندما ساندت فرنسا محمد علي ضد الدولة العثمانية ، تخلى بالمرستون عن عدائه مع روسيا وتجاوز كل خلافاته معها للوقوف بوجه محمد علي وفرنسا ، اما في حرب القرم فاعتمد بالمرستون على تحالفه مع فرنسا بتحطيم الطموحات الروسية في غزو الدولة العثمانية .
- ساهم بالمرستون في احتواء سياسة فرنسا الثورية لاسيما بعد ثورة عام 1848 ووصول نابليون الثالث الى السلطة ، وسعى للتحالف مع فرنسا ومنعها من القيام بأي توسع بأوربا قد يخل بتوازن القوى ، ونجح في ذلك الى حد ما .
- كان بالمرستون خصما عنيدا للسياسة الخارجية الروسية ، وطيلة وجوده في منصب وزارة الخارجية او رئاسة الوزراء لم يدخر جهدا للتصدي لاي محاولة روسية للتوسع الخارجي وتهديد المصالح البريطانية في الهند والدولة العثمانية ، ونجح في افشال كل المخططات التي وضعتها روسيا لتهديد المصالح البريطانية في الشرق ، ونجح في مؤتمر باريس 1856 الذي انهى حرب القرم بالزام روسيا بحياد البحر الاسود .
- لم يتردد بالمرستون في اتخاذ أي اجراء للحفاظ على المصالح البريطانية ، حتى لو كان ذلك الاجراء هو اعلان الحرب ، فقد خاض حروبا مع الصين ومع شاه فارس ومع والي مصر محمد علي باشا ومع روسيا من اجل حماية المصالح البريطانية بالدرجة الاساس .
- تبنى بالمرستون سياسة الحفاظ على بقاء الدولة العثمانية ، ودعم وجودها واستمرارها ، وكان يسخر من افكار القيصر الروسي نيقولا الاول الذي كان يصف الدولة العثمانية برجل اوربا المريض ، واعتقد بالمرستون ان انهيار الدولة العثمانية بهجوم روسي او بثورة داخلية سيؤدي الى حدوث مشاكل وحروب أوربية حول تقسيم ممتلكاتها لذلك فمن الافضل ان تعيش هذه الدولة لمدة اطول حسب اعتقاده ، وتصدى الى أي محاولة لاضعافها والاستيلاء على املاكها .

- ظهر تناقض واضح في سياسة بالمرستون الخارجية التي اتسمت بالليبرالية ، ففي الوقت الذي طالما اعلن فيه بالمرستون دعمه للثورات القومية والحركات الدستورية في أوربا ، لم يتخذ أي خطوة فعلية وملموسة لتأييد الثورة في هنكاريا عام 1848 ، وترك تلك الثورة لمصيرها المحتوم على يد النمسا وروسيا ، كما انه شن حرباً ظالمة ضد الصين عام 1839 وعام 1857 من اجل حماية مصالح التجار البريطانيين الذين يتاجرون بشكل غير شرعي مع الصين .
- تميز بالمرستون اثناء توليه مناصبه التي حصل عليها في الوزارات المتعاقبة بكفاءته في اداء عمله الوظيفي بالدرجة الاساس واخلاصه لمصالح بلاده ، وامتلك دعما شعبيا وجماهيريا كبيرا في بريطانيا وخارجها ، وساعدته شعبيته الكبيرة في بريطانيا على بقائه في مقعده في مجلس العموم منذ عام 1807 وحتى وفاته .
- اتسمت شخصية بالمرستون بالقوة والاستقلالية ، وكان مندفعا في اتخاذ قراراته احيانا ، معتقدا ان تلك القرارات تخدم مصلحة بلاده ، وكان يتبع السياسة التي يراها مناسبة لتحقيق ذلك حتى لو اضطر الى الاختلاف في وجهات النظر مع زملائه في الوزارة ، وكثيرا ما اختلف مع الملكة فكتوريا حول استقلاليته في ادارة وزارة الخارجية ، ولم يسمح للملكة ان تفرض ارادتها عليه ، الامر الذي ادى الى غضب الملكة عليه واقالته من منصب وزارة الخارجية عام 1851 .
- لم يرزق بالمرستون بطفل بعد زواجه من ايميلي لامب عام 1839 ، لذلك انقرض اللقب النبيل الذي حمله الفسكونت الثالث بالمرستون بعد وفاته .

قائمة المصادر

القرآن الكريم

أولا : الوثائق المنشورة :-

1- Francis,George Henry,Opinions and policy of the Right Honourable Viscount Palmerston,London,1852.

2- Hurewitz , J.C. , The Middle East And North Africa in World Politics (1535-1914) , Adocumentary Record , Vol.1 , London , 1975.

3- Wiener,Joel H.,Great Britain Foreign Policy and the Span of Empire 1689-1971 A Documentary History,Vol.1,London,(n.d.).

4- The Letters of Queen Victoria (A Selection form Her Majesty's Correspondence Between the years 1837and1861) in Three Volumes , by Arther Christopher Benson and Viscount Esher,Vol.II,London,1908.

ثانيا : الرسائل والاطاريح الجامعية:-

1- احمد محسن عبد البديري ، السياسة البريطانية تجاه المضائق 1841-1878، رسالة ماجستير ، كلية التربية – صفي الدين الحلي ، جامعة بابل ، 2011 .

2- احمد ناطق ابراهيم العبيدي، مضائق البسفور والدردنيل 1815-1854، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية ابن رشد جامعة بغداد ، 2008 .

3- أروى خالد علي مصطفى ، وليم بت والسياسة البريطانية 1783-1806، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، 2007.

4- ثعبان حسب الله علوان الشمري ، ابراهيم باشا نشاطه العسكري ودوره السياسي والإداري 1789-1848، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة ديالى ، 2005 .

5-حسين عبد الواحد بدر، المسألة اليونانية 1821-1832 دراسة تاريخية عن ثورة اليونان واستقلالها عن الدولة العثمانية ، رسالة ماجستير، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 2003.

6-حيدر شاكر خميس ، ابراهام لنكولن ودوره السياسي في الولايات المتحدة الامريكية 1809-1865،اطروحة دكتوراه ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، 2011.

7- حيدر صبري شاكر الخيقاني ، الملكة فكتوريا وأثرها في السياسة الخارجية البريطانية 1837-1901 ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 2009.

8- حيدر طالب حسين الهاشمي ، الحرب الأهلية الأمريكية 1861-1865، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية – ابن رشد ، جامعة بغداد ، 2006.

9- رنا عبد الجبار حسين الزهيري ، سياسة بريطانيا تجاه الهند 1764-1858 ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 2011.

10- زيدان حسان حاوي الشويلي ، مؤتمر فينا 1814-1815، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة بغداد ، 2004.

11- سامي صالح محمد الصياد ، الصراع البريطاني-الفرنسي على مشروع قناة السويس 1854-1869، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 2006 .

12- سهيلة شندي عوان البدري ، وليم غلادستون والقضية الايرلندية 1868-1894، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ،2005.

13- عدي محسن غافل الهاشمي ، الإصلاح البرلماني في بريطانيا في العصر الفكتوري (1837-1901) أطروحة دكتوراه ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، 2006 .

14- فواز مطر نصيف الدليمي ، التنافس البريطاني الروسي في منطقة الخليج العربي 1798-1907، اطروحة دكتوراه ، كلية الاداب ، جامعة بغداد 2007.

15- ....، تغلغل النفوذ البريطاني في العراق1869-1914، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1989.

16- مهدي صالح هادي الجبوري ، المانيا 1789-1871 دراسة في دور بروسيا في توحيد المانيا ، أطروحة دكتوراه ، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية ، الجامعة المستنصرية ، 2004 .

17- نايف محمد حسن الاحبابي ، الإدارة البريطانية في الهند 1858-1905، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1997.

18- نرجس كريم خضير جدران الخفاجي ، دور كاستلري في اوربا (1812- 1822) رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة ذي قار ،2010.

19- نزار علوان عبد الله ، التطورات الداخلية في الحجاز وعلاقاته الخارجية 1803-1858 ، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، 2011.

20- نعيم كريم عجيمي الشويلي ، مترنيخ ودوره السياسي في أوربا 1809-1823، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بغداد 2006 .

21- وفاء طه رحيم العنبكي ، كافور ودوره في الوحدة الايطالية 1810-1861، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 2010 .

ثالثا: الكتب العربية والمعربة:-

1- احمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1972 .

2- أرنولد ولسن، الخليج العربي ، ترجمة:عبد القادر يوسف ، مكتبة الأمل ، الكويت ،د.ت .

3- آمال السبكي ، أوربا في القرن التاسع عشر – فرنسا في مئة عام ، ط1 ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، جدة ، .1985

4- بيير رونوفان ، تاريخ العلاقات الدولية 1815-1914، ترجمة : جلال يحيى ، الإسكندرية ، 1968.

5- تايلور ، الصراع على السيادة في أوربا 1848-1918، ترجمة: كاظم هاشم نعمة ويوئيل يوسف عزيز ، بغداد، 1980 .

6- جمال زكريا قاسم ، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، إمارات الخليج العربي في عصر التوسع الأوربي الأول (1507-1840) ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،2001 ، ج1.

7- جوزيف حجار ، أوربا ومصير الشرق العربي " حرب الاستعمار على محمد علي والنهضة العربية " ، ترجمة : بطرس الحلاق وماجد نعمة ، بيروت ، .1976

8- جون فيلبي ، تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد عبد الوهاب السلفية ، ترجمة : عمر الديراوي ، المكتبة الاهلية ، بيروت ، د.ت .

9- جون كيلي ، بريطانيا والخليج 1795-1870 ، ترجمة : محمد امين عبد الله ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ،(د.ت)، ج1+ج2.

10- جيفري براون ، الحضارة الغربية في القرن التاسع عشر 1815-1914 ، ترجمة: عبلة حجاب ، المكتبة الأهلية ، بيروت ، 1963 .

11- حسن سلمان محمود ، الكويت ماضيها وحاضرها ، المكتبة الاهلية ، د.ت .

12- خضر خضر ، تطور العلاقات الدولية من الثورة الفرنسية وحتى بداية الحرب العالمية الأولى 1789-1914، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس ، 1998.

13- زكي صالح ، مجمل تاريخ العراق الدولي في العهد العثماني ، مطبعة الرابطة ، بغداد ، 1949.

14- صباح مهدي رميض ، تاريخ جنوب الجزيرة العربية الحديث ، ط1، دار الفكر ناشرون وموزعون ، عمان ، 2010.

15- عبد العزيز سليمان نوار ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،د.ت.

16- عبد الفتاح ابراهيم ، على طريق الهند ، ط2 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 2004.

17- عبد الفتاح حسن ابو عليه ، تاريخ الدولة السعودية الثانية 1840-1891 ، ط4، دار المريخ للنشر ، الرياض 1991.

18- فاروق عثمان أباظه ، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر 1839-1918 ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة 1976 .

19- فؤاد سعيد العابد ، سياسة بريطانيا في الخليج العربي خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت ، 1981 .

20- كارلتون هيز ، التاريخ الأوربي الحديث 1789-1914 ، ترجمة : فاضل حسين ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، بغداد ، .1987

21- كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، ط5 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، .1968

22- ك.م.بانيكار، آسيا والسيطرة الغربية ، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد ، دار المعارف ، القاهرة ، .1962

23- لطيفة محمد سالم ، الحكم المصري في الشام 1831-1841 ، ط2 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، .1990

24- لوتسكي ، تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ترجمة: دار التقدم أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي ، موسكو، 1971.

25- مؤلف مجهول ، مذكرات تاريخية عن حملة ابراهيم باشا على سوريا ، تحقيق : أحمد غسان سبانو ، دار قتيبة للطباعة والنشر ، دمشق ، د.ت .

26- محمد صبري ، تاريخ مصر الحديث من محمد علي الى اليوم ، ط1 ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1926.
27- محمد عرابي نخلة ، تاريخ الإحساء السياسي(1818-1913) منشورات ذات السلاسل ، الكويت،(د.ت).
28- محمد عفيفي ، محمد علي مؤسس مصر الحديثة ، القاهرة ، 2006.
29- محمد كمال دسوقي ، تاريخ أوربا الحديث 1800-1900، مطبعة النهضة الجديدة ، د ت.
30- محمد مبروك نافع ، أوربا في القرن التاسع عشر صفحات من تاريخ الصراع بين الشعوب والحكومات ، ط2، مطبعة مصر، القاهرة ،1992.
31- محمد مصطفى صفوت ، انكلترا وقناة السويس 1854-1956 ، المكتبة التجارية الكبرى ، الاسكندرية ،1956 .
32- مصطفى عقيل ، سياسة ايران في الخليج العربي على عهد ناصر الدين شاه ، دار الثقافة ، الدوحة ، 1987.
33- نور الدين حاطوم ، تاريخ الحركات القومية ، يقظة القوميات الأوربية ، دار الفكر الحديث ، بيروت ، 1969، ج1+ج3.
34-هارولد تمبرلي و أ.ج.غرانت ، أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين1789-1950، ترجمة: بهاء فهمي ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ،1985، ج1.
35- هاشم صالح التكريتي ، المسألة الشرقية-المرحلة الأولى 1774-1856، بيت الحكمة ، بغداد 1990.
36- هـ.ا.ل.فشر ، تاريخ أوربا في العصر الحديث 1789-1950، ترجمة : احمد نجيب هاشم ووديع الضبع ، ط9 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1993.
37- هيو ج. شونفيلد ، قناة السويس ، ترجمة : أحمد خاكي ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، بور سعيد ، 1945 .

رابعا :الكتب الأجنبية

ا-الكتب الانكليزية:-

1- Adams,Ephraim Douglass,Great Britain and the American civil war,New York,1924.

2- Anderson,M.S.,The Great Powers and the Near East 1774-1923, London,1970.

3- An Illustrated History of Modern Europe 1789-1939.

4- Artz,Frederick B.,Reaction and Revolution 1814-1832,London,1934.

5- Arvel B.&Harran,Martin J.,Reading English History,New York,1967.

6-Barlen , M.E. , The Foundations of Modern Europe 1789-1871 , London , 1969.

7- Bell,Herbert C.F.,Lord Palmerston,2Vol,London,1966 .

8- Bidwell,W.H.,Lord Palmerston and his policy,NewYork,1852.

9- Boveri,Margret,MinaretandPipe Line,London,1939.

10- Brace,Richard M.,The making of the modern world from the Renaissance to the present,United state of America,1955.

12- Brourgeois,Emile,History of Modern France 1815-1852,Vol.1,London ,1919.

13-Brown,David,Palmerston and the politics of foreign policy 1846-1855,Manchester University press,2002.

14-Bruun,Geoffrey,Revolution and Reaction1848-1852 mid century watershed,Toronto,(n.d).

15-Bulwer,Henry Lytton,The life of Henry John Temple Viscount Palmerston,London, 1870,Vol.1.

16- Bullard,Reader,Britain and the Middle East From Earliest Times to 1952,New York,1952.

17- Bullard , Reader,Britain and The Middle East,London,1964.

18- Butler,James,A history of England 1815-1939,London,1960.

19- Cecil,Algernon,Queen Victoria and her pirme Minsters,London,1953.

20- Cecil,Woodham Smith,Queen Victoria from her birth to the death of the Prince Consort ,New York,1973.

21- Chatterji,Nikshoy C.,Muddle of the Middle East,Vol.1,New Delhi,1973.

22- Cook,Chris&Stevenson,John,Modern European history 1763-1985, London,1987.

23-Contributors,Various,European Civilization its Origin and development ,Vol.11,London,1939.

24-Craig,Gordon A.,Europe 1815-1914,United State,1966.

25- Dunbaugh,Edwin,The Collier Quick and easy guide to World history, New York,1963.

26- E.Kirk,George,A short history of the middle east ,London,1959.

27- Edwards,T. Charles&Richardson,B.,They Saw Its Happen An Anthology of Eyewitness accounts of events in British history 1689-1897,Oxford ,1962.

28- Encor,R.C.K.,England 1870-1914,Oxford,1966.

29- Flint,John E.,The Cambridge History of Africa,Vol.5,London,1976 .

30- Fraser-Tytler,W.K.,Afghanistan a Study of Political Development in Central Asia,Oxford University Press,London,1950.

31-Friedjung,Heinrich,The struggle for supremacy in Germany1859-1866, London,1935.

32- Gavin,R.J.,Aden Under British Rule 1839-1967,Lndon,1979.

33-Gottschalk,Louis&Lach,Donald,The Transformation of Modern Europe,Chicago,1954.

34- Guedalla,Phillip,Palmerston,London,1950.

35- Halevy,Elie,Victorian Years1841-1895,London,1962.

36- Hawley,Donald,The Trucial States,London ,1972 .

36- Hawkins,Angus,The Forgotten Prime Minister Of The 14^{th} Earl Of Derby 1799-1851,Vol.1,Oxford University Press ,2007.

37- Hayes,Carlton J.H.,A political and cvltvral history of modern Europe, New York,(n.d.),Vol.2.

38- Holbraad,carsten,The Concert of Europe A study in German and British international Theory 1815-1914,London,1970.

39- Holland Rose , J(and others) , The Cambridge History of The British Empire,Vol.2, Cambridge,1961.

40- Hollis,Christopher,European History 1815-1914, Vol.2,London,1929.

41-Ibrahim Abu Lughod,The transformation of Palestine,Evanston,1971.

42-Jansen,G.H.,Zionism,Israel and Asian Nationalism,Beirut,1971.

43- Johnson , Douglas , Guizot Aspects of French History 1787-1874 , London ,1963.

44- Joy,James Richard,Ten Englishmen of the Nineteenth Century,Ebook 2002.

45- Justic for India A letter to Lord Palmerston , by plain speaker , London , 1858.

46- kertes,G.A.,Document in the Political History of the European Continent 1815-1839,Oxford,1968.

47- Lane,Peter,Success in British history 1760-1914,London,1978.

48-Lange,Daniel Adolphus,Lord Palmerston and isthmus of Suez Canal two letters addressed to the Editor of "the Times",London,1857.
49- Laski,Harold J.,Parliamentary Government in England ,London,1945.
50-Lengyel,Emil,World without end The middle east,New York,1953.
51- Littlefield,Henry W.,History of Europe Since 1815,New York ,1957.
52-Lord Palmerston's Foreign Policy in and out of Europe,by:A late Resident in China,London,1857.
53- Lunt,W.E.,History of England,NewYork,(n.d.).
54-Ludwig,Emil , The Nile The Life-story of river , Translated by : Mary H.Lindsay , London , 1963 .
55- Lichien Nung, The political History of China 1840-1928,London,1968.
56- Mabell,Countess of airlie,Lady Palmerston and her times , London , (n.d.) ,Vol.1.
57- Mansfield,Peter,The British in Egypt ,London,1971.
58- Marcham,A.J.,Foreign Policy,London,1973.
59- Marriott,John A.R.,English political Institutions,Oxford,1938.
60- Marriott,J.A.R.,The Remaking of Modern Europe1789-1878,London ,1944.
61- Marriott,The Evolution of Modern Europe 1453-1939 ,London,(n.d.) .
62- Marriott,J.A.R.,The Eastern Question An Historical Stady in European Diplomasy,Oxford,1963.
63- Marx,Karl,The Story of live Lord Palmerston,London,1853.
64 -Marquis of Lorne,Viscount Palmerston,K.G.,New Yourk,1892.
65- Material for the true history of Lord Palmerston , Robert Hardwicke , London , 1866.

66- Maurois,Andre,The Miracle of England,translated by : Hamish Miles, NewYork and London,1937.
67- May,Thomas Erskine,The Constitutional History of England Since the Accession of George III 1760-1860,Vol,1,Boston,1863.
68- Medlicotm,W.N.,From Metternich to Hitler A spect of British and foreign history 1814-1939,London,1963.
69- Miller,William,The Ottoman Empire and its Successors 1801-1927, London ,1966.
70- Morfill ,W.R.,A history of Russia ,London,1902.
71- Mowat,R.B.,A History of Europe and the Modern World 1492-1928, Oxford,1931.
72-Muir,Ramsay,British History,London,1945.
73- M'gilchrist,Jhon,Lord Palmerston abiography,London,1865.
74- Newth,A.M.,Britain and the world 1789-1901 , Penguin Education , (n.d.).
75- Nutting,Anthony,The Arab Anarrative History from Mohammed to Present,London,1994.
76- Peretz,Don,The Middle East today,New York,1963.
77- Rayner,Robert M.,A Concise History of Modern Europe 1789-1914, London,(n.d.).
78- Ridley,Jasper,history of England,London,1981.
79- Ridley,Jasper,Lord Palmerston,London,1970.
80- Rifaat Bey,M.,The A Wakening of Modern Egypt ,London,1947.
81-Justic for India A letter to Lord Palmerston , by plain speaker , London, 1858.

82- Samra,Chattar Singh,India and Anglo-Soviet Relations 1917-1947, Pombay,1959.

83- Sanders,Lloyd,life of Viscount Palmerston,London,1888.

84- Schurmann,Franz&Schell,Orville,Imperial Chine The eighteenth and nineteenth Centuries,London,1977.

85- Schultz, Harold J.,History of England, London,(n.d.).

86-Sokolow,Nahum,history of Zionism 1600-1918,Vol.1,New York,(n.d.).

87- Somlmi,Arrigo,The Making Of Modern Italy,London,1925.

88-Stewart,Desmond,Theodor Hertzl Artist and Politician,London,(n.d.).

89-Strachey,Lytton,Queen Victoria,London,1951.

90- Stratford,Esme Wingfield,The History of British Civilization,London ,1932.

91- Taylor,A.J.P.,Europe Grandeur and Decline,London,1950 .

92- Temperley,Harold,The Crimea England And the Near East , London , 1964.

93- Thompson , J.M. , Louis Napoleon and the second Empire , New York , 1955.

94- Thomson,David,Europe Since Napoleon,London,(n.d.) .

95- Traill,H.D.&Mann,J.S.,Our Country,Vol.VI,London,(n.d.) .

96- Trevelyan,George Macaulay,British History in the Nineteenth Century and after 1782-1919,London,(n.d.).

97- Trevelyan,George Macaulay,Garibaldi and the making of Italy, London,1962.

98- Trevelyan,G.M.,History of England,London,1952.

99- Trollope,Anthony,Lord Palmerston English Political Leaders,London ,1882.

100-Ward,E.L.Wood,History of England,London,1973.

101-Warner,George Townsend and Marten,C.H.K.,The ground of British history,vol.2,London,1933.

102- Williams,Roger L.,The World of Napoleon III 1851-1870,New York ,1966.

103- Wilks,Washington,The Half Century,London,1852.

104-Wilks,Washington,Palmerston in three Epochs:A Comparision of Facts with opinions,London,1854.

105-Wood,Anthony,Nineteenth Century Britain 1815-1915,London,1963.

106- Young , G.M. , Early Victorian England 1830-1865 , Vol.II , London , 1963.

107- Ziegler , Paul R. , Palmerston British History in Perspective , London ,2003.

2-الكتب الفرنسية:-

1- Ancel,Jacoues,Manuel Historique De La Question D'orient 1792-1930 ,Paris,1931.

2- Ficouelmont , Le Comte De , Lord Palmerston L'Angleterre Et Continent , Paris , 1852.

3- Issaac,Jules (and others), De La Revolution De 1789 Ala Revolution De 1848,Paris,1960.

4- Lorin,Henri,L Egypte D'Aujourd'hui Le Pays Et Les Hommes, Paris,1926.

5-Maurois,Andre,Histoire D,Angleterre,Paris,1937.

خامسا : البحوث والدراسات

1- البحوث العربية :-

1- حيدر صبري شاكر الخيقاني ، اللورد هنري جون تمبل بالمرستون ودوره في السياسة الخارجية البريطانية (1830-1865) "دراسات في التاريخ والآثار" مجلة ، العدد 13، كلية الآداب ، جامعة بغداد ،.2009

2-البحوث الانكليزية :-

1- Alder,G.J.,The Key to India Britian and the Heart Problem 1830-1863,Middle Eastern Studies,Vol.10,No.2,(May.1974).

2- Bartle,G.F.,Bowring and the Near Eastern Crisis of 1838-1840,The English Historical Review,No.313,Vol.79,(October.1964).

3- Bernstein,George L.,Special Relationship and Appeasement : Liberal Policy towards America in the age of Palmerston,The Historical Journal,Vol.41,No.3,1998.

4- Bidwell,W.H.,The Eclectic Magazine of foreign literature,Science and Art,New York,1852.

5- Bolsover,G.H.,Palmerston and Metternich on the Eastern Question in 1834,The English Historical Review,Vol.51,No.202,(April1936).

6-Crawley , C.W. , Anglo-Russian Relations 1815-1840 , Historical Journal ,No.1,Vol.3,1929.

7- Hearder,H.,Napoleon III Threat to break off diplomatic relations with England during the Cricic over the Orsini attempt in 1858,The English Historical Review,Vol.22,No.284,Oxford,(July.1957) .

8- Middelton,Charles R.,Cabinet Decision Making at the accession of Qeen Victoria: The Crisis of the East 1839-1840 ,The Journal of Modern History,Vol.51,No.2,Jun.1979.

9- Mosse,W.E.,Queen Victoria and Her Ministers in the Schleswig-Holstein Crisis 1863-1864,The English Historical Review,Vol.78,No.307,1963.

10- Rodkey,F.S.,Colonel Campbell's Report on Egypt in 1840,With Palmerston's Comments,Cambridge Historical Journal,No.1,Vol.3,1929.

11- Rodkey,F.S.,Lord Palmerston's Policy for the Rejuvenation of Turkey 1839-1841,The Royal Historical Society,Vol.12,Fourth Series .

12- Scherer,Paul H.,partner or puppet? Lord John Russell at the Foreign Office 1859-1862,A Quarterly Journal Concerned With British Studies,Vol.19,No.3,1987.

13- Thurston,G.J.,The Italian War of 1859 and the reorientation of Russian Foreign policy,The Historical Journal,Vol.20,London,1977.

14- Volodarsky,Mikhail,Persia and the great powers 1856-1869,Middle Eastern Studies,Vol.19,no.1,(jan.1933).

15-Weber,Frank G.,Palmerston and Prussian Liberalism1848,The Journal of Modern Historory,Vol.35,No.2,(Jun.1963).

سادسا : الموسوعات والقواميس العربية والاجنبية :-

1- آلن بالمر ، موسوعة التاريخ الحديث ، ترجمة : سوسن فيصل السامر ويوسف محمد أمين ، دار المأمون ، بغداد 1992 ، ج1-ج2.

2- Encyclopedia Americana,Americano Corporation,1979,vol.21.

3-Howat,G.M.D.,Dictionary of World history,London,1973.

4-The New Encyclopdia Britannica,Chicago,2003.

5-Webester,Merriam,Webster's Biographical dictionary,U.S.A.

سابعا : الانترنت :-

1-Charles Grant-Wikipedia,The free Encyclopedia .
2-Dudley Ryder 1st Earl of Harrowby-Wikipedia,The free Encyclopedia .
3- 2nd Viscount Palmerston-Wikipedia The free Encyclpedia.
4- James Harris, 1st Malmesbury-Wikipedia The free Encyclopedia.
5- James Edward Harris,2nd Earl of Malmesbury-Wikipedia,The free Encyclopedia.
6- HenryPittyFitzmarice3rd Marquis of Lansdowne-Wikipedia,The free Encyclopedia.
7- 4Kitab.com
8- Internet:History of the modern word 1815-1910,The Terror in Portugal.
www.mohamoon.net -
9-Viscount Palmerston(1723-1865)-Wikipedia,The free Encyclqopedia .

الملاحق

ملحق رقم (1)

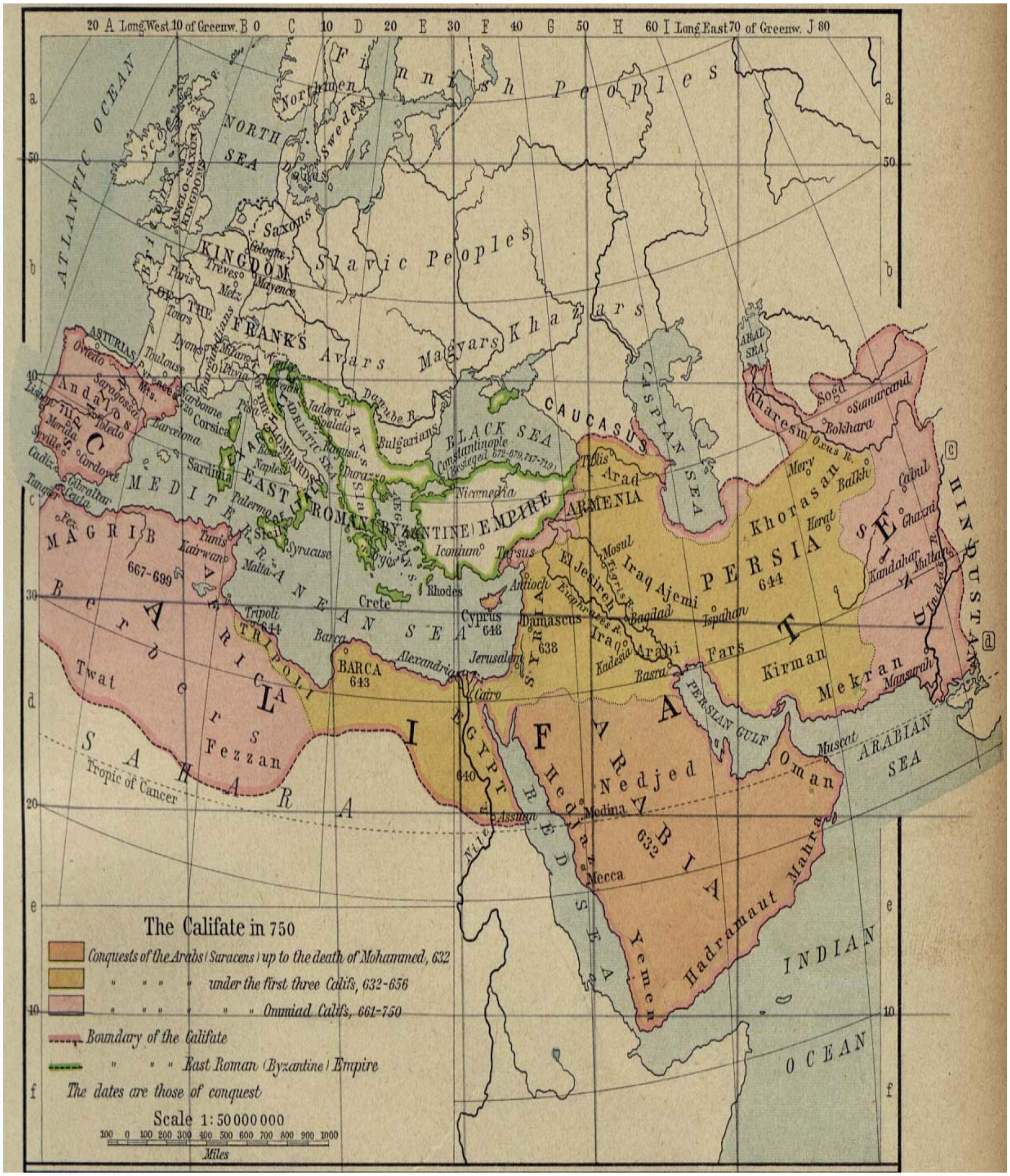
خريطة تبين موقع بلجيكا بالنسبة لبريطانيا



and map sites **[WWW.Maps]**

ملحق رقم (2)

خارطة تبين موقع طريق الفرات عبر بلاد الشام وبلاد مابين النـهرين



and map sites WWW.Maps

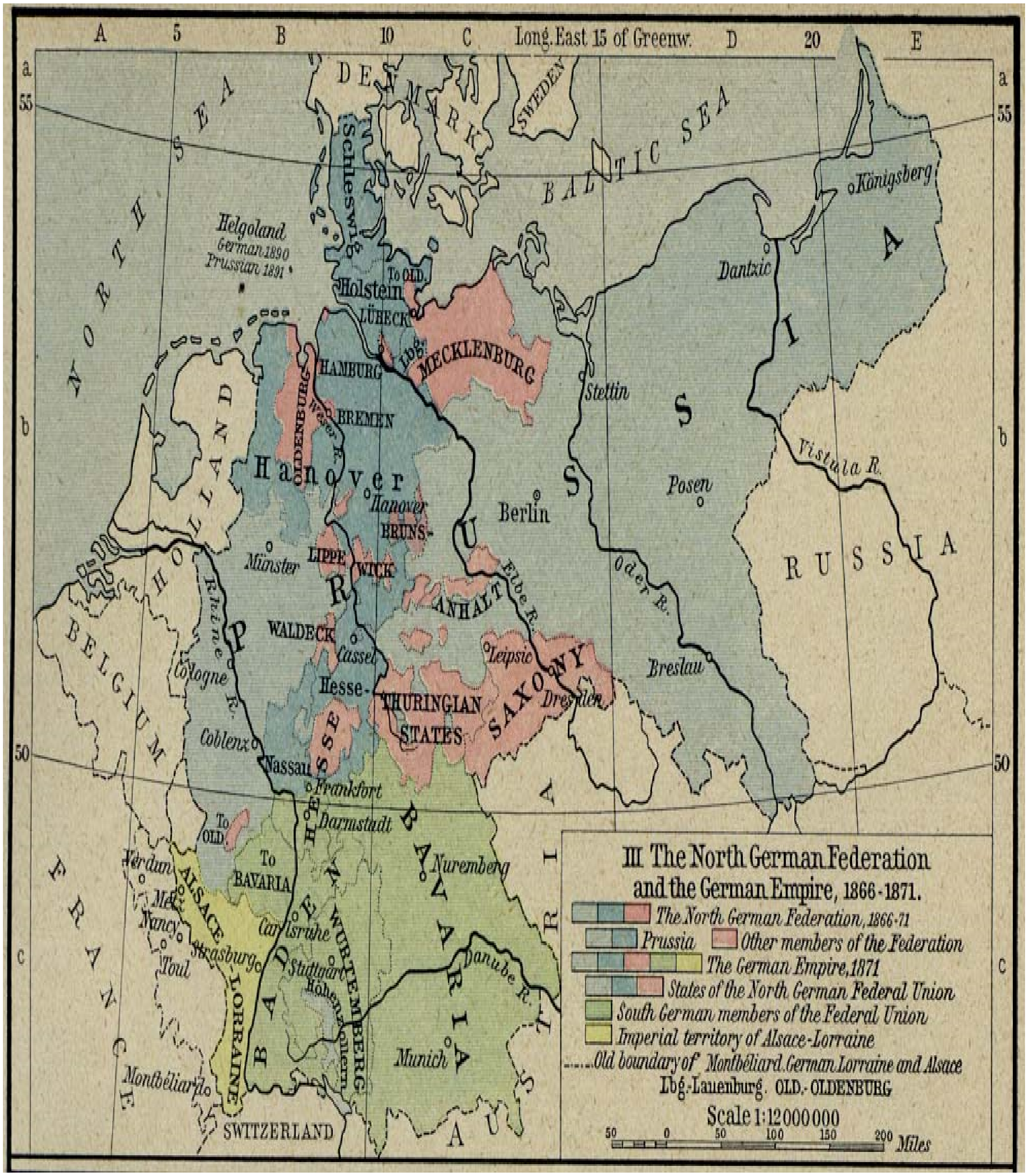
ملحق رقم (3)ح
خارطة تبين موقع اقليم هرات على الحدود الافغانية-الفارسية



and map sites [WWW.Maps]

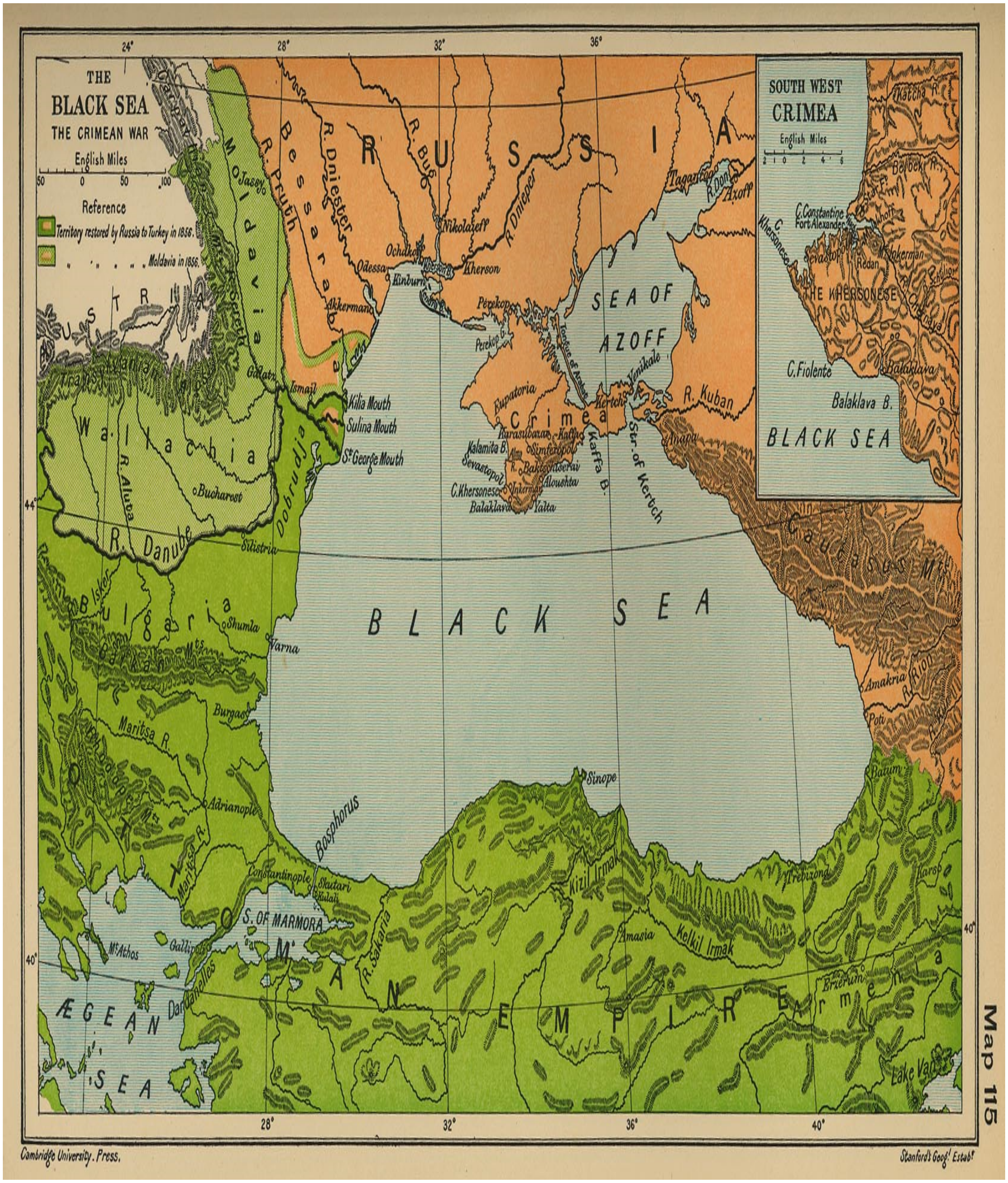
ملحق رقم (4)

خارطة تبين موقع دوقيتي شلزفيك وهولشتاين على الحدود البروسية- الدنماركية



and map sites **WWW.Maps**

ملحق رقم (5)
خريطة توضح ميادين حرب القرم



and map sites WWW.Maps

ملحق رقم (6)
حكومة بالمرستون التي شكلها عام
1855[1]

ت	الاسم	المنصب
1	اللورد بالمرستون	رئيس الوزراء
2	وليم ايوارت غلادستون	وزير المالية
3	اللورد كلارندون	وزير الخارجية
4	السير جورج غراي	وزير الداخلية
5	اللورد كرانوورث	وزير العدل
6	سدني هيربرت	وزير المستعمرات
7	اللورد بانيمور	وزير الحرب
8	السير جيمس غراهام	وزير البحرية
9	دوق ارجيل	وزير الختم السري
10	السير تشارلس وود	رئيس مجلس السيطرة
11	اللورد ستانلي اوف الديرلي	رئيس مجلس التجارة
12	اللورد هاروبي	مستشار دوقية لانكستر
13	اللورد كاننغ	مدير البريد العام
14	اللورد لانسداون	وزير بلا وزارة

[1] Ritchie,J.Ewing,Op.Cit,Vol.II,p.121.

ملحق رقم (7)
حكومة بالمرستون التي شكلها عام [1] 1859

ت	الاسم	المنصب
1	اللورد بالمرستون	رئيس الوزراء
2	وليم ايوارت غلادستون	وزير المالية
2	اللورد جون رسل	وزير الخارجية
3	السير جورج كورنواليس	وزير الداخلية
4	اللورد كامبل	وزير العدل
5	دوق نيوكاسل	وزير المستعمرات
6	سدني هيربيرت	وزير الحرب
7	دوق سامرسيت	وزير البحرية
8	السير تشارلس وود	وزير الدولة لشؤون الهند
9	دوق ارجيل	وزير الختم السري
10	توماس ميلنر جيبسون	رئيس مجلس التجارة ولائحة قانون الفقراء
11	السير جورج كراي	مستشار دوقية لانكستر
12	اللورد ايلجين	مدير البريد العام
13	ادوارد كاردويل	وزير شؤون ايرلندا

---

[1] **Ritchie,J.Ewing,Op.Cit,Vol.II,p.286.**

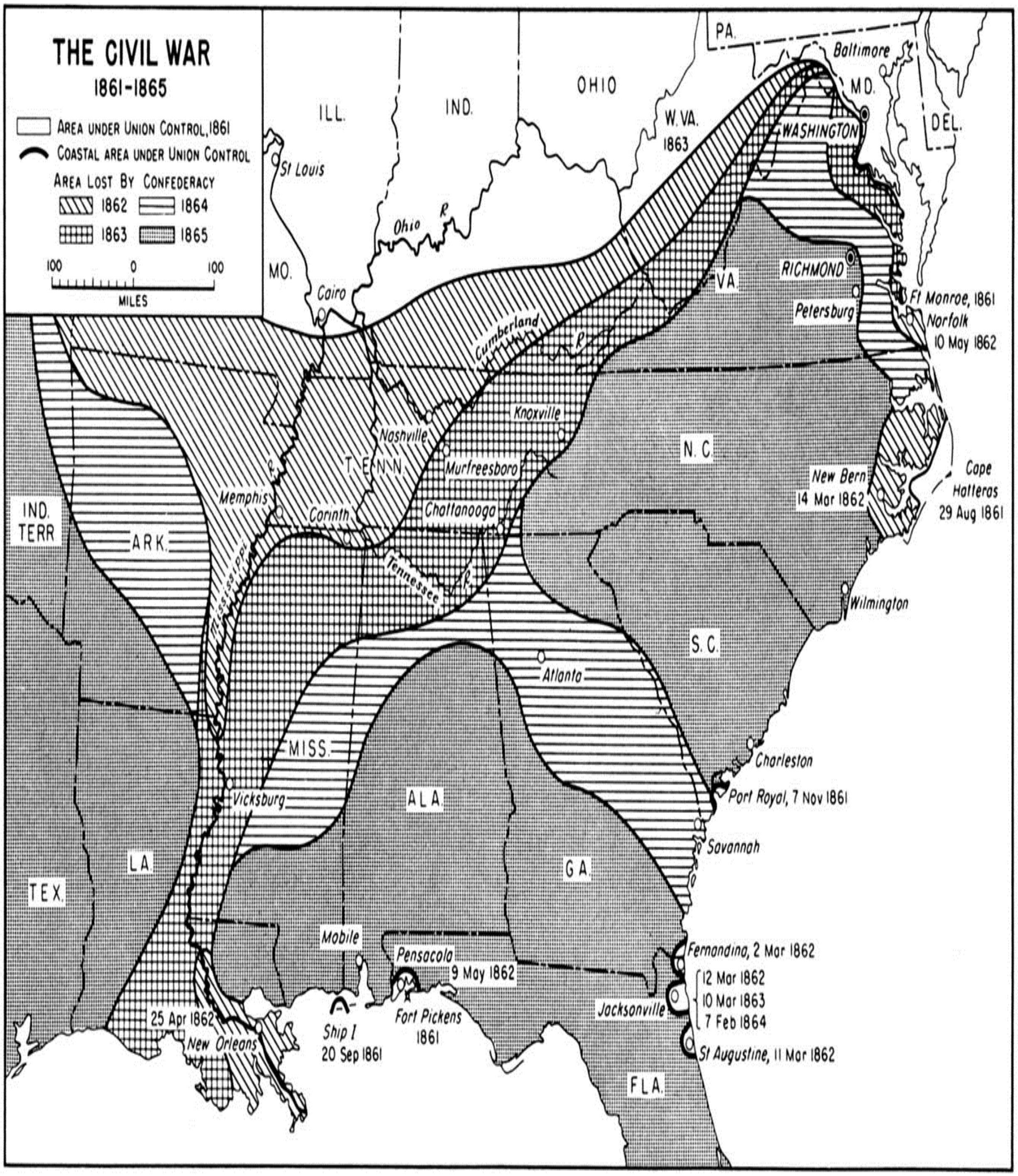
ملحق رقم (8)

خارطة تبين ايطاليا بعد الوحدة



and map sites WWW.Maps

ملحق رقم (9)
خارطة تبين ميادين الحرب الاهلية الامريكية



and map sites WWW.Maps

Abstract

When we study European history in the nineteenth century , we will find that many important characters have participated in forming this historical period that is characterized by its many important events and whose role and effect is not confined to be on Europe only , but also on the whole world , and more particularly the British politicians since the nineteenth century is distinguished by Great Britain's control over most continents of the world , old and new , and the greatness of Britain and her dominance is attributed to the political group who govern it , who led the country's home and foreign affairs.

We can't study British history without referring to Lord Palmerston , whose influence on British foreign policy had been so great and due to this , I selected this subject to be the topic of this dissertation that carries the title " Lord Palmerston and his role in British foreign policy 1830-1865 " , and I choose to start from the year 1830 since it was the year in which Palmerston became Great Britain's minister of foreign affairs for the first time on October 1830 and the year 1865 represented the end of Palmerston's life.

The dissertation consists of an introduction , five chapters , a conclusion , a list of references and an abstract .The first chapter is on the social and intellectual biography of Henry John Temple Palmerston before his coming to foreign office 1784 – 1830 . This chapter is divided into two sections . The first one deals with Palmerston's biography and his family 1784-1807 . As for the second section of the first chapter ,It deals with the posts that Palmerston occupied from 1807-1830.

The second chapter , which is under the title , Lord Palmerton as a foreign secretary or minister for the first time from 1830-1834 , shows Palmerston's way of dealing with political issues during this period .

The third chapter is on Palmerston's foreign policy when he held the foreign secretary during Melbourne's government from 1835-1841.

Concerning the fourth chapter , It explains queen Victoria's attitude of Palmerston's foreign policy from 1846-1851, the period in which Palmerston became the foreign secretary for the third time .This chapter is divided into two sections .The first one deals with Lord Palmerston as a foreign minister in William John Russell's government 1846-1851 .The second section deals with Palmerston's disagreement with the Court on his foreign policy from 1846-1851 .This section concentrates on her Majesty's objection or opposition to Palmerston's administration of the foreign office during this period. .

The fifth chapter shows Palmerston's way of dealing with the foreign affairs as he became the government's prime minister from 1855 – 1865 . It studies the most important events during this period and Palmerston's opinions and attitudes of them.

The dissertation ends with a conclusion that sums up the findings of the study .

Ministry of Higher Education
and Scientific Research
Al – Mustansirya University
College of Education

Lord Henry John Temple Palmerston and his Role in British Foreign Policy 1830 - 1865

A Dissertation Submitted

To the Council of the College of Education – Al Mustansirya University in Partial Fulfillment of the Requirements for Degree of Doctoral of Philosophy in Modern History

By: Ayad Tarkan Ibraheem Aldleme

Supervised by
Prof . Dr.
Lutfy Jahfar Faraj

2012 A.D **1433 A.H**